المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

الجزء الثالث من المجلد السابع والثمانين

١ اكتوبر سنة ١٩٣٥ — ٤ رجب سنة ١٣٥٤

الغدد والشخصية

الشخصية لفظ مولّد ، حديث التوليد في اللغة العربية ، ولُدّ ليدلّ على ما يدل عليه اللفظ الانكليزي Personality . والشخصية لفظ يصعب تحديده حتى في اللغات الاعجمية ، وان كان معناه بوجهٍ عام لا يخفى على اللبيب . وموضوع هذا الفصل يتناول اثر الغدد الصمّ في احداث المميزات الخاصة التي تميّز شخصية عن اخرى . وهو من قلم الدكتور هسكنز Hoskins مدير معامل البحث في معهدٍ خاصٍّ بدرس الجهاز العصبي والغدد الصم في مدرسة الطب بجامعة هارفرد الاميركية

في كل جسمٍ غدد كثيرة . وهي في الواقع معامل كيمائية حيّة . ولعلّ اشهرها الغدد اللعابية التي تفرز اللعاب فترطب به الفم . والغدد الدمعية التي تفرز الدمع . وغدد العرق في الجلد التي تفرز العرق فتهمل على الجسم الابتراد بتبخرها في حرارة الصيف . هذه الغدد جميعاً تتناول من الدم الذي يجري فيها في عروق دقيقة ، موادّ مختلفة ثم تركبها فتصنع منها مفرزاتها الخاصة بها . ثم تفرز هذه المفرزات في اقنية خاصة الى الفم او العيون او سطح الجلد

ولكن الغدد التي يدور عليها بحثنا في هذا الفصل تختلف عن الغدد التي تقدّم ذكرها ، في ان مفرزاتها لا تفرز في اقنية الى الخارج ، بل تعاد رأساً الى الدم وهو مارٌّ في عروقه الدقيقة التي تخترقها . وفعلها لذلك لا ينحصر في عضوٍ خاص دون آخر ، بل تجري مع الدم الى جميع اعضاء الجسم ولنسجه فتؤثر فيه تأثيراً يختلف باختلاف العضو او النسيج وباختلاف المادة المفرزة والغدة التي افرزتها

هذه الغدد تعرف بالغدد الصمّ ، ومفرزاتها تعرف بالمفرزات الداخلية او بالهرمونات

والهرمونات من اقوى العقاقير التي عرفها الانسان واشدها فعلاً . ففي كل جسم سويّ ، مبلغ خمس قمحة من هرمون تفرزه الغدة الدرقية . والجسم يستعمل من هذه المادة نحو ثلاث قمحات ونصف قمحة في السنة ، اي انهُ يستعمل منهُ ما قدره نصف قرص من الاسبيرين . ولكننا مع ذلك لا نستغني عنهُ ، بل اذا أضرت غدة احدهم الدرقية لعلّة ما ، عن افراز هرمونها هذا (وهو يعرف باسم الثيروكسين نسبةً الى اسم الغدة ثيرويد وقد يصحّ ان ندعوه باللغة العربية دَرَقين قياساً على نسبته الى اسمها العربي) فقد ذلك الرجل نصف الفكر وأصبح أبله لا يعقل

وثمة هرمونات اخرى غير الثيروكسين ، تشبههُ في قوة فعلها ، بل بعضها يفوقهُ ، ونحن نعتمد عليها في حياتنا وفي كل ما يجمل لهذه الحياة شأناً في نظرنا

على اننا يجب الاّ نغالي . فبعض الكتّاب الذين المّوا ببعض ما للغدد الصم من الاثر في حياة الانسان تطرّفوا في القول اذ ذهبوا الى ان شخصية الانسان لا تعتمد الاّ على مفرزات الغدد الصم. ولكن الواقع ان العناصر والعوامل التي تكوّن « الشخصية » كثيرة ومختلفة . ولكن الصنعيين الذين يفوقان غيرهما في تكوينها ، هما ذهن الانسان وشعوره ، أي تفكيره وانفعاله . فعلى عقله يتوقف الرأي في هل هو ذكيٌّ أو أبله ، والذكاء يتوقف على الدماغ الذي يرثهُ الانسان من اسلافه. ولكن نموّ العقل يتوقف الى حد بعيد على هرمونات الغدد الصم . وأهم من العقل في تكوين الشخصية اتصال الانسان وحدتهُ وسداده وكبتهُ لانفعاله او استسلامه لهُ فنحن نحب من الرفاق من كان مرحاً لعوباً ، وقد نمرض عمن كان مقطباً يغلب فيهِ القتام على النور . والانفعال متصل اوثق اتصال بالغرائز . بل قيل ان الانفعالات تمثل للانسان ما تحسّ بهِ غرائزه . والغرائز تعتمد اعظم اعتماد على مفرزات الغدد الصم في طبيعتها وقوتها

فلننظر الآن في بعض هذه الغدد كل على حدة

في الدماغ غدة تدعى الغدة النخمية Pituitary تقع في منخفض من الجمجمة في مؤخر الدماغ . فاذا عجزت هذه الغدة عن النموّ نموّاً سويّاً ، ظلّ صاحبها صغير الجثة طول الحياة . وصغر جثته يميزه عن غيره ، ويؤثر من الناحية البكولوجية في شخصيته ، لانهُ يحسّ دائماً بحافز نفسي يحفزه الى محاولة التعويض بكلامهِ أو عملهِ عن هذا النقص البادي في جسمه

واذا كبرت هذه الغدة في عهد الطفولة كبراً غير سويّ ، نشأ جسم صاحبها عملاقاً . ففي احدى الولايات المتوسطة في اميركا شاب في السابعة عشرة من العمر ، يبلغ طوله ثماني اقدام ، لأن غدتهُ النخمية طغت في نموها وكثرة افرازها على الحدود الطبيعية . فاذا طغت الغدة النخمية هذا الطغيان بعد سني الطفولة ، ظهر أثرها في نمو الجسم نموّاً مشوّهاً . فقد تطول الذراعان والساقان ولا يكبر الرأس . أو قد يكبر الرأس وتطول الساقان وتبقى الذراعان سويتين . فيصبح صاحبها مسخاً من المسوخ يشبه الغورلاّ . ولا ريب في ان لهذا التشويه الخَلْقي تأثيراً في خُلُقهِ وشخصيته.

بل عليه ان يواجه خطراً اعظم من هذا . فانهُ يكون في بدء نموّه العجيب نشيطاً شديد النشاط واقر الحيوية ، فيفعل ما يعجز عنهُ الاسوياء ثم تضعف قوتهُ ويخمد نشاطهُ ويصبح وكأنهُ حطام انسان لا انساناً . وعلماء الولايات المتحدة الاميركية يضربون المثل في هذا التحول بلاعب رياضيّ مشهور عندهم زاد ما تفرزهُ غدتهُ النخمية ، فصار لوفرة نشاطهِ يقذف الكرة (بايس بول) فتذف جبّار فيعجز انداده عن ردها أو التقاطها . فطار ذكرهُ كلّ مطار ، وصار كل فريق يتنافس مع الفريق الآخر في ضمهِ اليهِ ، ثم لم يلبث حتى خبت تلك الشعلة فيهِ وخمد ذلك النشاط ، فأخذ يهوي من فريق المقدمة الى آخر في المرتبة الثانية فالثالثة ، الى ان اصبح متشرداً زائغ البصر متهدّل الاعضاء

وتفرز الغدة النخمية هرموناً آخر لهُ صلة وثيقة بالنموّ الجنسي او الشقي (sexual) . فاذا عجزت هذه الغدة عن افراز المقدار الكافي من هذا الهرمون ، ظلّ صاحبها من الناحية الجنسية هو والطفل سواء . ولا يبعد ان يكون هوَسة المصلحين من هذا الطراز من الناس . فان عجزهم عن اشباع الغريزة الجنسية فيهم يدفعهم الى محاولة اصلاح العالم ، ويغالون في محاولتهم ، لان ذلك يضفي عليهم لوناً من ألوان الشعور بالقوة والسلطان

وقد كشف العلماء من عهد قريب هرموناً آخر تفرزهُ الغدة النخمية يضبط توليد اللبن في الانثى . ففي المراحل الاخيرة من حمل المرأة ، وبعد ولادة الطفل ، يكون عمل هذا الهرمون تنبيهَ الاعضاء والنسُج اللازمة لاعداد غذاء الوليد . وقد ثبت ان لهذا الهرمون — وقد دعي باسم بروﻻكتين prolactin — أثراً في فعل غرائز الامومة وتنبيهها في الحيوان ، ولا يبعد ان يكون لهُ هذا الاثر نفسهُ في الانسان كذلك . ختن هذا الهرمون في اناث الجرذان حملها على ان تنبذ صغاراً وترأمها بعناية الام . وحقن الديوك بها حملها على أن تقيق قَيْق الدجاج . ولا اريد ان اقول ان حب الام يرجع الى هذا الهرمون وانما ارجح ان البحث في المستقبل سوف يبيّن ان للبروﻻكتين اثراً عظيماً في حب الام

***

في الجانب الاسفل من العنق تجد الغدة الدرقية . فاذا عجزت هذه الغدة عجزاً مطلقاً عن افراز هرمونها ، كانت سرعة الافعال الحيوية في صاحبها نصف سرعتها في الاسوياء من الناس فيكون في الغالب شارد الفكر بطيء الفهم ضعيف الذاكرة . اما حياتهُ الانفعالية فتكاد تكون كالبحر الرهو لا يثيرها مثير ولا يحفزها حافز ، ولكن البحث أثبت ان العجز التام في الغدة الدرقية نادر ، ولكن بعض العجز فيها ليس بالنادر ، بل هو كثير الوقوع ، ومما يبعث على الاسف ان معظم الاطباء يتخطّاهُ او يجهلهُ

فالذين تعجز غددهم الدرقية عن افراز هرمونها ، بعض العجز ، يميلون الى السمنة في الغالب ، ويتعبون بسرعة من كل عمل جسماني ، ويغضبون ويبرمون لاقل سبب . ثم تراهم وقد جموا ما تفرّق

من حبال حياتهم ، فيسلكون زمام امرهم ، ولكن ذلك لا يطول ، فيستغرقون في لجة الشعور بالضعف والعجز . ولا يمكننا الآن ان نستند الى احصاءات وافية في هذا الصدد ، ولكن المرجّح ان الذين يوصفون في الحياة والمجتمع ، بانهم مصابون بالنورستينيا هم في الواقع مصابون بعجز غير تام في غددهم الدرقية

ولا بدّ من القول في هذا المقام ان للنورستينيا اسباباً اخرى غير عجز الغدة الدرقية ، ونقص هرمونها ، فاذا كان السبب هذا العجز امكن في الحال اصلاحها . فاضافة عُشْرجية من خلاصة الغدة الدرقية في اليوم يكفي احياناً لذلك

يقابل ذلك ان لتضخم الغدد الدرقية وطغيان افرازها نتائج اصعب من نتائج عجزها ونقص هرمونها . فتضخمها وطغيان هرمونها يزيدان سرعة الافعال الحيوية ، بل يضاعفانها احياناً ، فيعيش صاحبها وكأنهُ سلك كهربائي ، يصبح نهماً ولكن نهمتهُ قلما تجدي في تجهيز موقده الحيوي بالوقود الكافي ، فلا يلبث ان يحترق قتلاً ويموت . وقد عولج بعضهم باستئصال هذه الغدة وحقن صاحبها بمقدار ما يجب ان تفرزهُ الغدة السوية في جسمهِ كل يوم فنجح العلاج . أو قد يستأصل جانب منها حتى لا يفرز الباقي من الهرمون الاّ ما يكفي صاحبهُ ليعيش عيشة سوية

***

وفي اعلى الصدر الغدة الصعترية وقد طال البحث فيها ولكنهُ لم يسفر بعد عن نتائج يصحّ السكوت عليها . وانما يظنّ ان لها صلة بالنموّ وان ضمورها او عدم نموّها يجعل صاحبها ضعيف الجسم ضعيف الشخصية . ولكن في خلال السنة الماضية جربت تجارب بهرمونها دلّت على ان حقنها في صغار الجرذان يستعجل نموها ويستحثّ افعالها الحيوية والعقلية

فقد اخذ الدكتور رونتري الاميركي وصحبه طائفة من الجرذان واضافوا الى غذائها خلاصة الغدة الصعترية خمسة اجيال متعاقبة . ثم لاحظوا جرذان الجيل الخامس فاذا السرعة في نموّ الجرذان نموّاً جسميّاً وعقليّاً ستة اضعافها في الجيل الاول . فقد ظهرت الاسنان في جرذان الجيل الرابع في خلال اربع وعشرين ساعة تقابلها تسعة ايام او عشرة في الجيل الاول . وفتحت العينان ونبت الصوف في جرذان الجيل الخامس في اليوم الثاني والثالث بدلاً من اليوم الرابع عشر الى السابع عشر . وفطمت في اليومين الثاني والثالث بدلاً من اليوم السادس . وتقدمت سن البلوغ في ذكور الجيل الخامس الى الفترة الواقعة بين اليوم الرابع واليوم الثامن عشر بدلاً من الفترة الواقعة بين اليوم الخمسين واليوم التسعين . اما في الاناث فتقدمت سن البلوغ فيها من ٧٠ — ٩٠ يوماً الى ٢٠ — ٣٥ يوماً وزادت قوة الاخصاب كذلك

وهذا اذا تصورنا ما يقابله في البشر كان كما يأتي : اذا اضفنا خلاصة الغدة الصعترية الى غذاء

خمسة أجيال من فريق من الناس استطعنا ان نقطع طول الجيل الخامس اذ يبلغ بضعة اسابيع من العمر وتمكن الطفل نفسه من المشي وعمره لبضع سنة وان يبرع ويبرز في الالعاب في الخامسة وان يتخرج في المدارس الثانوية وهو في العاشرة

ومن الغدد التي لها تأثير في شخصية الانسان الغدد المعروفة بالغدد الكظرية . وهي واقعة في الجسم فوق الكليتين . وتفرز هرمونا يعرف باسم الادرينالين . والراجح ان افراز هذه الغدد لا مقام لهُ في حياته الهادئة المألوفة . ولكنهُ يصبح ذا شأن كبير في الحوادث العارضة والمفاجآت والاحوال التي يسيطر فيها الانفعال على الجسم . ففي هذه الاحوال تفرز هذه الغدد افرازها الخاص فتمكن الجسم من مواجهة الحالة الجديدة ، التي تقتضي احياناً الفرار من خطر محدق ، او القوة والنشاط في مواجهة خطر محدق . ولولا الادرينالين هذا لما كانت شخصية الانسان ما تكون عليهِ عادة في امثال هذه المواقف

ولكن الفرق بين الانسان البدائي والانسان المتحضر ان العوارض كانت تقتضي من الاول دائماً نشاطاً عظيماً في مواجهتها او الفرار منها وكان الادرينالين يعينهُ على ذلك ولكن الانسان المتحضر يجد ان بعض هذه المواقف العارضة تقتضي منهُ كبت الانفعال وكبح جماح النفس ، ومع ذلك تظل هذه الغدد تفرز الادرينالين والادرينالين يحثهُ من غير أن يدري إلى النشاط والعنف . فتزيد صعوبة ضبط النفس عليه

وتفرز الغدد الكظرية هرمونا آخر يدعى « كورتين » والظاهر ان لهُ تأثيراً عاماً في جميع خلايا الجسم . فاذا عجزت هذه الغدد عن افراز الكورتين اصيب صاحبها بمرض يدعى مرض أديسن فيضعف جسمهُ ويصبح قلقاً رمتاً تسهل استثارتهُ ويرغب عن التعاون مع رفاقهِ . فاذا حقن بالكورتين استردَّ عافيتهُ ونشاطهُ ورغبتهُ في العمل والتعاون . ولم يفرغ العلماء حتى الآن من بحث هذا الهرمون وتأثيره في الجسم وانما تدل بعض التجارب والحوادث التي وصفها الاطباء على ان لهُ صلة بالحياة الجنسية

***

واخيراً لا بدَّ من كلمة عن الغدد الجنسية أو الشقية . ففي العصور القديمة كانت الحيوانات المستعملة في الحقول تخصى لكي تلين ولا تشاكس ولكي يسهل تسمينها توطئة لبيعها . فاذا ازيلت هذه الغدد قبل البلوغ في الحيوان أو في الانسان ، قصَّر من شأن كل منهُ ، عن البلوغ الجنسي ، وفقدَ النشاط ، فيفقد الحيوان شهوة المزاوجة والانسان كل عناية بالجنس الآخر . ولكن اذا عملت عملية السل بعد سن البلوغ كان لها نتائج تختلف عن نتائجها قبلهُ . فيصبح الرجل قلق الطبع ، وتضحي المرأة شديدة الانفعال سريعة التبرُّم والتأثر ، وفي كلا الجنسين يميل من سلبت غدده الجنسية الى السمنة

حكمة « جوته »

بقلم عبد الرحمن صدقي

ليست الحكمة وقفاً على الشيخوخة . ولكن الحكيم لاشك يزداد مع السن حكمة بما يجتمع له على تطاول الايام من المشاهدات والتجارب ينضم بعضها الى البعض فيسترق بها الجملة ويبلغ القمة . فاذا اضفنا الى هذا ما هو معلوم مشهور عن الالماني من انهُ لا كاتب منهم الاّ وهو بطبعه من طلاّب الفلسفة وتنّاد الاخلاق ، تجلس لنا التقدير الصحيح لحكمة جوته كبير ادبائهم وهو في السبعين من عمره الحافل المديد . وهذه الحكمة التي تعرض لآفاق الفكر جميعها من فنون وعلوم وشعر وخبرة عملية وفلسفة ودين وغير ذلك لاتنحصر في حيّز بعينه كالازهار المجففة بل هي كشجرة الفينانة تمتد اغصانها ناضرة الإيعان وتنوّر غلائلها متعددة الالوان في كل صفحة من صفحاته وفي كل سفر من اسفاره سواء أكان منظوماً او منثوراً ، مبحثاً علميًّا او نقداً فنيًّا ، قصصاً او رجعة لحياته او مسرحية من عديد مسرحياته . وجوته منال الحكيم . والذي يجعلهُ اتم تمثيلاً للحكمة هو انهُ أوتي ما لا يؤتاهُ الحكيم عادةً من مختلف المواهب وشتى الدوافع النفسية

وتقوم حكمة جوته على انهُ لا ينفك يضم الى نفسه ما تشعّب ويؤلف المتعارض من الميول والنزعات كما تلتقي اقطار الدائرة في المركز . فليس هو من اهل المذهب المدرسي ولا المذهب الابداعي وانما هو فيما وراء هذا وذاك . وليس هو بالمسيحي ولا الوثني ولا غير ذلك من العقائد الملزمة لانهُ في المحل الأرفع الأبعد ولعني به الاقرب الى المركز حيث لا تشعب ولا افتراق . فهو يستوفر ويستكثر على الدوام ومن كل شيء . وكأنما عنده سر يجمل القيم المتعاوتة ووجهات النظر المتضاربة تجتمع في عيشة واحدة بل ينضاف بعضها الى البعض فيحصل من تضاترها زيادة الكل . ولم يكن جوته في موقف سالب يترك الاشياء تقبل عليه فحسب . بل كان فعالاً موجباً يسعى لها ويجتبيها اليه من شتى الآفاق مهما كانت غريبة وسحيقة . والعجيب العجيب ان نجد بجموع هذه الاشتات الهائلة فيه كتلة متماسكة . وثمة عظمة جوته الحكيم . وليس القارىء هذا الجمع العجيب مجلوًّا فيما اختزناهُ لهُ من اسفار الحكمة في ديوانه الشرقي :

كتب التفكير والحكمة والمثل

تصدر هذه الكتب عن تجاريب شاعرنا وحكمته بعد بلوغه هذه السن . وهي حافلة بالهداية والعبرة . ولا مشاحة في ان جوته افاد الكثير في هذا الباب من مطالعاته لترجمة كتاب العظات لفريد الدين العطار وكتاب قابوس فضلاً عن المامه بحكم لقمان وبيدبا وغيرهما . ونحن نجتزىء بفقرة من كل سفر من اسفار جوته الثلاث على سبيل المثال :

﴿ لذة الاحسان ﴾ « ما أحلى نظرة الجارية ذات الدل وهي تغمز بطرفها ، والنديم تفتح عينه بالرضى ساعة يحتسي كأسه ، وما أحلى تسليم السيد الآمر بشملك بعطفه ، وشعاع الشمس في الخريف يتمشك بدفئه . فليكن أحلى من ذلك جميعه في نفسك هذه اللحظة الخطيفة تمتد بها كف للتقير في طلب الصدقة وتتلقى منك بالجد الجميل ما تجود به . وما أحلاها وقتئذٍ نظرة وما أحلاها تحية وما أحلاها بلاغة في السؤال . تأمل هذا فاذا أنت الكريم الجواد على الدوام »

﴿ دين التسليم ﴾ « من الحماقة أن يتعصب كلٌ لدينه . واذا صحَّ أن الاسلام هو التسليم لله لوجب أن نحيا ونموت مسلمين أجمعين »

﴿ مثل الايمان ﴾ « تحدَّرت من السماء الى لجة المحضَّ قطرة مرتجفة . فأمحت عليها الأمواج خفقاً وتعصفياً . ولكن الله جزاها عن صبر إيمانها خيراً . فوهب لقطرة المطر ثروة واعتصاماً . فاحتوتها الصدفة في حرز حريز . وأتمَّ عليها العز والجزاء الأوفى فهي اليوم على تاج مليكنا درَّة تتألق حلوة اللمح سنية البهاء »

كتاب السخط

ليس في طاقة الانسان أن يكبت فورات غضبه ويكظم نوازي نقمته . بل من الخير أن يحتال على تنفيسها ، ولاسيما ان كان حرج صدره بحيث يكدر صفاء الخاطر ويمتاق الخيال عن تحليقه . وأمرُّ ما يعانيه الشعراء سوء التقدير فتراهم يقابلونهُ بالمغالاة بأقدارهم والمفاخرة بمزاياهم . وليس يخاف ان الناس اذا ذكروا العظماء فأول ما يحبون استذاحه فيهم التواضع ثم لا يفيضون فيما عداه من المناقب والملكات . والتواضع ابداً حليف المصانعة وضرب من التملق مقصود بهِ الى إنامة الحسد أو الشعور بالغضاضة بين فاضل ومفضول ، فهو في الظاهر تسوية وفي الباطن ترضية وكأنهُ اعتذار النابغ عن نبوغه . وما حسن المعاشرة بين الناس الاَّ انكار كل كبير لنفسه وفي هذا حكم على المجتمع بالبطلان ، اللهمَّ الاَّ اذا تأتت للكبير القدرة على ان يترضى اعتزاز الغير بأنفسهم ليرتضوا منهُ اعتزازه بنفسه . ولقد كان شعراء الشرق يبسطون اللسان في ممدوحيهم بالهجاء كلما أخلفوا منهم الظن وخيبوا الرجاء أما شاعرنا فكان ذا حظوة عند الامراء . وانما شكواهُ من سوء التقدير من الشعب وعليهِ يصب جام نقمته وسخطه

﴿ البغض بالجملة ﴾ « اني لأحب البغض ولا غنى للفؤاد عن حبه . وليس بي بغض شخص بعينهِ . فاذا كان لا بدَّ لي من البغضاء فما أنذا على الاهبة ، أبغض أصنافاً من الناس بالجملة »

﴿ اعتبارات سخيفة ﴾ « يعاب على المرء مدحه لنفسه . ولكن أليس فاعل الخير بالمادح نفسه بالخير الذي هو فاعله ! ثم، أليس الخير لولا التسمية في الكلام هو الخير في كل حال وبالرغم من كل مقال!

أيها الحمقى ، ذروا للحكيم الواثق بحكمته أن يلذ مثلما تلتذون جنونكم بالاستهتار بتافه محامدكم وسخيف اعتباركم »

﴿ ماذا في الكبر ﴾ « ما بالكم أيها المشايخ الدجاجلة ، تذمون نتنة الكبر العاتية ؟ لو شاء الله لي أن أكون دودة لكان خلقي دردة »

﴿ كيد الوضيع الرفيع ﴾ « كيف أرهبهم ، وهذا لسان حالهم يقول : ليس في الامكان أبدع مما كان ، أو كما نحيا لو تركنا غيرنا يحيا ؟ » -

﴿ شاهد الكنود ﴾ « ما من سعيد هانىء الا بادره الجار بالتنغيص . كذلك لم يعش ذو فضل حياته العاملة الا كان هم الناس في رجمه ، فاذا ما قضى نحبه جمعوا على القبور الحجارة الوفيرة ليقيموا لتكريم هذا المنكود بهم تمثالا . ولو عقلوا وجه مصلحتهم لكان الاولى لهم ان يكتموا أمر المسكين ويدعوه في طوايا النسيان أبد الآبدين »

﴿ الدناءة ﴾ « فيم التشكي من الدناءة ، وانها في الدنيا ذات الحول والطول . هي صاحبة الامر في الشر طلبا للمنفعة ، وهي المتصرفة في العدل كما شاء لها الهوى . أفتريد أيها الحاج المتخطى خروجا على القضاء المحتوم ؟ ألا دع الصلصال والاعصار ، فلا بد من الدوار وتذرية الغبار »

كتاب الساقي

لا يمكن أن يخلو ديوان شرقي من ذكر الولع بالخمر وهوى الغلمان . ويقول جوته انهُ بمقتضى أدب العصر يتناول هذا الغرض الاخير بمنتهى الطهر . ويقدم الى ذلك بأن الميل المتبادل بين الشباب والكبر هو على أصح معانيه علاقة تهذيبية بين معلم ومتعلم . وتعلق الفتى بمن يكبره سنا ليس بالظاهرة النادرة ولكن النادر هو حسن الالتفات الى الاستفادة منهُ . وليس أدل على ذلك من مراقبة العلاقة بين الحفيد والجد ، ففي هذه العلاقة تسر ذهنية الاطفال حق الثناء ولان همهم يكون منصرفا الى الشيخ المحبوب يعون وقاره ويطيعون كلمته ويعون ما استطاعوا وعيه من خبرته . وما لنا نقصر الكلام على سن الطفولة ، وهذي سائر النفوس المطبوعة على الطهر تأنس من نفسها في كل اطوارها حاجة الى هذه العلاقة القائمة على التقدير والاجلال . ولئن كان الصبي يستغل أحيانا عطف الشيخ لادراك رغائبه الصبيانية واشباع بداوته البريئة الا ان اعطاءه التلطف والمراضاة يحمل على التساهل والاغضاء . وليس الشيخ بأقل سعادة بهذه العلاقة فانه ليطربهُ ويتصباه أن يرى الفتى الغض الطموح مأخوذا بالعجب والاعجاب برجاحة عقله وحكمة سنه في حين تنبثق طوالهُ من هذا العقل في النفس الناشئة الزكية . واليك بعض المقتطفات من هذا الكتاب :

— فلنكن سكارى جميعا . فالشباب سكر بلا خمر ، والشيوخ يستدركون الشباب بفضل الشراب ، ولا غرو فالحياة المسكينة معذبة بالهم ، وليس يطرد الهم مثل الكرم

— الخمر محرمة بلا ريب . فاذا كان لا بد من شربها فلا تشربها الا سرقا . فانك ان عاقرتم ممذوقة كنت مضاعف الاثم

— أقول غير مبالغ في القول : من كان منكم غير قادر على الشرب فليس يصح له حب . كذلك

انتم أيها الندامى لستم بأحسن حالاً ، فمن كان سكره غير قادر على الحب فليس يصح له شرب

— تعال أيها الغلام الحبيب . لماذا تلزم الباب ؟ كن من اليوم نديمي تكن الخمر كلها رحيقاً

— يا لك من خبيث صغير ! أبرز من الخمر على رشدي . وهذا هو المهم عندي ، لكي آنس بقربك أيها النديم الخبيث على الرغم من سكري

— اليوم في السكور قامت في الحانة جلبة يا لها من جلبة ، صاحب الحان والندمان والمشادل والرحام . وكم من لجاج وكم من خصام ! والناي يعزف والطبل يقرع . عربدة ما أفظعها عربدة . فدخلت مع الناس في غمارها من غبطة ومن حب . ان الخلق ليعنون عليّ الامتهار وخلع العذار ولكنني مبتعد في حزم وسلام عن مجادلة فقهاء المكاتب ووعاظ المنابر

— يدعونك الشاعر العظيم كلما طلعت في الاسواق . واني اشديد الاصغاء حين تنشد واني لأشد اصغاء لك حين تصمت . ولكني أحبك اعمق ما احبك حين تقباني قبلة التذكار . فان الكلام يذهب ، أما القبلة فباقية في صميم الفؤاد . ولئن كان لنظام القوافي قدرها الكبير فان خيراً منها اطالة التفكير . فانشد الناس فنوناً من النظيم واصمت صمتك البليغ مع النديم

كتاب الفرس

في هذا الكتاب يشيد جوته بذكر دين المجوس ويرى أن عبادة الشمس والنار مهما تكن معنوية فانها مع هذا عملية جد عملية . ولا غرابة في ان يتحمس جوته لتعاليم من يعبدون الله في نور الشمس وفي النار والهواء والماء وفي خصب الارض وحياة النبات . فان هذا التأليه للطبيعة يتفق واحساسه العميق بها حتى لينطق به كل سطر من « وصية المجوسي الأخيرة » لاخوانه في الدين وهو من الحياة في آخر الدروة المصورة بالنور الازلي

« اذا الشمس فوق أجنحة الفجر ذرّ قرنها ، واطلع جانب قرصها الوهاج فوق الذرى ، فمن ذا الذي لا يرفع اليها البصر خاشعاً . لكم أحسست في حياتي المديدة مراراً لا تحصى لدى شروقها انني طارح اليها لكي اشهد الرحمن على عرشه واسبح باسمه سبحانه مسدر الوجود ورب العالمين ، ولكي اسلك الصراط المستقيم صراط الذين هم أهل لهذا المشهد العظيم ، ولكي اهتدي ابد الدهر بنوره العميم . وبعد فهذي وصيتي المباركة اودعها صدور اخواني واوكلها الى صدق عزائمهم : « عليكم القيام بفرائض الحياة الشاقة كل يوم . وما بكم حاجة بعدها الى وحي يوحى » . . . .

ويلي هذا تفصيل الفرائض وكلها ناطق بعبادة جوته للحياة وتقديسه الجهاد فيها

كتاب تيمور

يرى جوته ان كتاباً كهذا كان من حقه ان توضع دعائمه بعد عامين كاملين من العكوف والتوفر على موضوعه حتى يتأتى للشاعر مواجهة هذي الخطوب الجسام بما يتفق وروعتها وتراعي

آفاقها . كما يجمل به تخفيفاً لفجاعتها من حين الى حين ان يظهر الاستاذ نصر الدين النديم الى جانب مولاه الطاغية المخرب . وما اكثر ما يروي الرواة من نوادره ويخص جوته بالذكر هذه النادرة :

«وكان تيمور دميم الخلقة أعور أعرج ، وفي ذات يوم والاستاذ نصر الدين بين يديه أمر تيمور بالحلاق فلما أتم حلق رأسه عرض له بالمرآة فلما رأى تيمور في المرآة قبحهُ أجهش بالبكاء وبكى الى جانبه الاستاذ . وظل الاثنان يبكيان نحو ساعتين وأقبل بعض الخلان فجعلوا يواسون تيمور ويسرون عنهُ بالحكايات حتى نسي . وكف تيمور عن بكائه ولكن الاستاذ لم يكف بل زادت عبراته انهماراً . فقال لهُ تيمور : « وبعد ، انني نظرت في المرآة فرأيت قرط قبحي ، فحزنت وانا صاحب الحول والطول وخزائن المال والجواري الحسان ان اكون بهذا القبح . وانت ، ماذا يجعلك تبكي وتمضي في البكاء ؟ » فأجاب الاستاذ « إنك صادفت وجهك في المرآة مرة فلم تطق رؤيتهُ وطفقت تبكي . فاذا يكون من امري أنا المقضي عليَّ برؤية وجهك صباح مساء ، فأذا لم ابكِ فلمن البكاء» فضحك تيمور لقوله حتى استلقى على ظهره

ومع ان الشاعر لم ينفسح لهُ الأجل لتحقيق ما رسمهُ لنفسه ، ووقف عند المقطوعتين اللتين نظمهما ولم يشتمل كتاب تيمور على غيرهما الا انهما في الحق حسبه جلالاً وروعةً

﴿ الشتاء وتيمور ﴾ « هذا الشتاء أنزل بهم بلاءه ، وتنفس بينهم برد انتقامه فثارت صرصراً عاتية ، وسلط عليهم زعازع زمهريره وغواشي صقيعه . ثم انحدر حتى مجلس تيمور وأهاب به مرعداً متوعداً : « على رسلك واتئد ايها الشقي ! ايها الطاغية الغشوم ! او لم يكفك القلوب ما اصطلت من عذابك واكتوت بهِ من نارك ؟ فان تك مريداً من الشياطين فانا المريد الآخر . وانك شيخ تمرَّس بالسنين وتمرَّست بهِ وانني لكذلك . وانت المريخ وانا كيوان . وكلا الكوكبين شؤم وفي اقترانهما إيذان بالويل والثبور وعظائم الأمور . وانت تهلك الأنفس وتحصد جذوتها ، ولكن رياحي أفتل برداً مما تستطيع . ولئن كانت عصائبك الهمج قد سامت المؤمنين سوء النكال . فقد كان ما كان ! وسترى اذا آن الاوان باذن الله شراً مما جرى . ووالله انك لست لي بكفء وهو على ما أقول شهيد . أجل والله سوف لا تغني عنك حرارة الوطيس المسجور وشواظ كانون شيئاً ، ولن يعصمك عاصم من برد الموت

﴿ قارورة العطر ﴾ « لكي يتحبب اليك الطب بالعطر العبق ويزيد في انشراحك وبهجتك ، يهلك العطار على النار العدد المديد من اكمام الورد . وليستقطر ملء قارورة صغيرة تهدى اليك ، قارورة مخروطة مستدقة كسيط أناملك ، لابد لهُ من عالم منها . عالم من القوى الحيَّة التي تنبثق عنها الورود مؤذنة بهيام البليل بها وترجيعه شجيَّ اغانيه في حبِّها

فهل ترانا نذكر هذه الآلام والعطر ينغم حسنا ويزيد في متاعنا ! لكم هلكت أنفس لا عداد لها ظلماً في سبيل عظمة تيمور ! »

مجمع اللغة العربية الملكي

للاب انستاس الكرملي

[عضو المجمع]

٥ — النسبة الى الكيمياء : كيمياويّ

وردت (الكيميائي او الكيميائية) بالهمزة ، مراراً عديدة في مجلة المجمع ، وانا اذكر هنا ما ورد منها بهذه الصورة في « خلاصة لاعمال لجنة علوم الحياة والطب » . من ذلك في ص ٦٨ و٧٢ و٧٩ (وكررت اربع مرّات) و٨٠ و٨٣ (وكررت اربع مرّات) و٩٠ و٩٦ ولا اتعرّض لسرد ما بقي منها في سائر الصفحات ، فان المجلة لم تذكر النسبة الى الكيمياء الاّ بالهمزة اي كيميائي . وهو غلط بيّن لا يحتاج الى التصريح به . نعم ، ان اصحاب الكتب والجرائد والمجلات في ديار وادي النيل يقولون ما نطق به مجلة المجمع . اما العراقيون الخُلّص والسوريون الافصاح واللبنانيون الفصحاء والفلسطينيون البلغاء فلا يقولون إلاّ « كيمياوي او كيمويّ او كيميّ او كياوي » حسب تقدير الكلمة المنسوب اليها من « كيمياء او كيميا او كيا » اللهمّ الاّ بعض الحديثي العهد منهم في الكتابة (والمراد بهم هنا اولئك الذين هم من البلاد الناطقة بالضاد) فانهم اخذوا يقلّدون المصريين في نسبتهم هذه . وهي — على ما قلنا — صريحة الخطأ . وذلك لانك ان اعتبرت هذه اللفظة (اي كيمياء او كيميا او كيا) دخيلة في العربية او اصيلة ، فانك لا تقول إلاّ « كيمياويّ » اذا نسبتها الى المهموزة الآخر ، و« كيميّ او كيموي او كياويّ » اذا نسبتها الى كيا

***

اما ان الكيمياوي نسبة الى الكيمياء المهموزة الآخر هي الصحيحة ، دون الكيميائي ، التي هي خطأ شنيع ، فظاهر جلي من كلام سيبويه . فقد قال في كتابه الجليل (٢ : ٧٨ من طبعة بولاق) ما هذا نصّهُ بحرفه : « هذا باب الاضافة الى كل اسم كان آخرهُ ألفاً ، وكان على خمسة احرف . . . « واما الممدود ، مصروفاً كان او غير مصروف ، كثر عددهُ او قلّ ، فانهُ لا يحذف . وذلك قولك في خنفساء : خنفساوي ، وفي حرملاء : حرملاوي . وفي معيوراء : معيوراوي . وذلك ان آخر الاسم لما تحرك ، وكان حيّما ، يدخلهُ الجرّ والنصب والرفع ، صار بمنزلة سلامان وزعفران ، وكالاواخر

التي من نفس الحرف نحو احرنجام واشهيباب ، فصارت هكذا ، كما صار آخر معزى حين نوّن بمنزلة آخر مَرْمَى ، وانما جسروا على حذف الالف لانهامية لا يدخلها جرّ ولا نصب ولا رفع فحذفوها» اه

وقال في ص ٧٩ من كتابه المذكور : « هذا باب الاضافة [اي النسبة حسب تعبير الغير] الى كل اسم ممدود لا يدخله التنوين ، كثير العدد كان او قليله — ... فالاضافة اليه ان لا يحذف منهُ شيء وتبدل الواو مكان الهمزة ، ليفرقوا بينهُ وبين المنوّن الذي هو من نفس الحرف ، وما جعل بمنزلته وذلك قولك في ذكرياء : ذكرياوي ، وفي بروكاء : بروكاوي » . اه بنصه

فعلامَ تعتمد اللجنة في قولها «كيميائي» ، فان كانت قد اعتمدت على القواعد العربية المقرّرة في جميع كتب النحاة والصرفيين فان هذه الضوابط لم تخرج في النسبة عما ذكرناهُ ، اي كيمياوي بالواو لا بالهمزة . اما اذا قيل ان السماع نقل البناء كيميائي » بالهمز لا بالواو ، فاننا لم نرَ ذلك في ديوان قديم يعتمد عليهِ اعتماد حجة ، أو ثبت ، بل رأينا نحن بالعكس في ما عثرنا عليهِ

قال ابن الاثير (وهو كما تعلم من فصحاء الاخباريين وعبارتهُ منقحة احسن من عبارات كثيرين من اندادهِ) في حوادث سنة ٥٠٢ للهجرة (١٠ : ٣٣١ من طبعة ليدن في هولندة) : « وصل الى المهدية ثلاثة نفر غرباء ، فكتبوا الى اميرها يحيى بن تميم يقولون انهم يعملون الكيمياء ، فاحضرهم عندهُ وأمرهم ان يعملوا شيئاً يراهُ من صناعتهم ... فلما رأى الكياوية المكان خالياً من جمع ثاروا بهم ... واخذ القائد ابرهيم السيف فقاتل الكياوية ، ووقع الصوت ، فدخل اصحاب الامير يحيى فقاتلوا الكياوية ، وكان زيهم زي اهل الاندلس »

وقد لاحظ الناشر ان في نسختين من هذا الكامل وردت في مكان الكياوية «الكيميانية» (اي بنون بعد الالف) قائلا : وهذه تكون على الطريقة الإرَميّة ، وليس على الاسلوب العربي الفصيح ، ولعلها من الناسخ الذي كان واقفاً على امر او النسبة عند الإرَميين . ووردت الكياوي والكيمياوي في كتاب النويري على ما ذكره دوزي في معجمه . وذكر دوزي عدة مؤلفين استعملوا الكياوي والكيموي في كلامهم فنحيل القارىء على مطالعة معجمه . ثم قال المستشرق الهولندي المذكور : « ذكر الكيميائي » بالهمز صاحب الفهرست في ص ٣٥١ من طبعة الافرنج ، الاّ ان الاعتماد على نص هذا الكتاب ضعيف ، لانّ النسخة التي اعتمدها الناشر كانت في غاية السقم وركة العبارة وكثيرة الاوهام . فقد ورد في الصفحة المذكورة وفي السطر عينه ما هذا قوامه : «المقالة العاشرة من كتاب الفهرست ويحتوي على اخبار الكيميائيين والصَنعويين من الفلاسفة القدماء والمحدثين »

فقوله « الصنعويين » نسبة الى الصنعة ، غريب جدًّا ، بل شنيع وفي ابعد غاية من الشناعة والقباحة والغلط ، اذ حقهُ ان يقول : « الصنعيين » مثلاً او اهل الصنعة او اصحاب الصنعة او ما ضاهى هذا الاستعمال ، لانّ الكيمياء تسمى ايضاً الصنعة والصناعة وعلم الصنعة من باب

التغليب . ومن العجيب ان كلمة « الصنعويين » لم تتكرر في السفر المذكور ولا كلمة «الكيميائيين» فالظاهر انهما من اغلاط النساخ . وقد بين الاستاذ المحقق عبدالله مخلص ان كتاب الفهرست هذا المطبوع في اوربا (الذي طبع طبعة ثانية مشوّهة في مصر) مشحون اغلاطاً بل نسيج اغلاط لا تقدر وكلها او معظمها اقبح من قرد او من ذرل . راجع مقالة الاستاذ الجليل والمدقق الكبير في مجلة لغة العرب (٦: ٥٠٢ الى ٥٠٦) ترَ العجب ؛ فهي جزيلة الفائدة لمن يحاول الاعتماد على هذا التأليف من غير ان يتصدى لنقده نقداً صحيحاً

والخلاصة اني رأيت الترك والفرس ومن اخذ عنهم لا يقولون الاّ «الكيميائي» وأما فصحاء العرب من عراقيين وسوريين ولبنانيين وفلسطينيين ، من اقدمين ومعاصرين ، فلا يقولون الاّ « كيمياوي » . على ان بعض المحدثين من الناطقين بالضاد اخذوا يقلدون المصريين في مصطلحهم من غير ان يتثبتوا في صحة هذا الامر ، لكن ذلك لم يؤثر في واضعي المعاجم ادنى تأثير . راجع المعاجم الفرنسية الى العربية والانكليزية الى العربية كنجاري بك وبادجر ومن نقل عنهما كصاحب الفرائد الدرية والقاموس العصري وغيرها فانك تجدهم يقولون جميعاً « كيمياوي »

وبعد هذا البسط الصريح ، من ذا الذي لا يرى ان صحة النسبة الى الكيمياء : « كيمياويّ » وما الكيميائي الاّ غلط شنيع ؟

٦ — البعولة لم ترد بمعنى الجنس او الشق

ومن « مصطلحات لجنة علوم الحياة والطب » ما جاء في ص ٩٦ قول اعضائها : « التكاثر غير البعولي asexual multiplication » والعرب لم تعرف البعولة بمعنى sex الانكليزية او sexe الفرنسية والذي عرفوه بهذا المعنى « الجنس » قال في لسان العرب في مادة (ح ر ي) : « من قال حرّى لم يغيره عن لفظه في ما زاد على الواحد ، وسوّى بين الجنسين اعني المذكر والمؤنث لانهُ مصدر » اه . وكذا ورد ايضاً في شرح القاموس للزبيدي

على ان بعضهم رأى ان « الجنس » بهذا المعنى قد يختلط بالجنس لما هو فوق النوع . ولذلك اقترحنا ان تكون اللفظة العربية « الشقّ » بكسر الاول لمنع كل لبس . وكنا قد كتبنا ذلك في احد اعداد الجوائب الصادرة في سنة ١٨٨٣ التي كانت تنشر في الاستانة . ثم عدنا فكتبنا في مجلتنا لغة العرب في سنة ١٩٢٩ ما هذا نصُّه : (٧ : ٨٩٤) « ويوضح المؤلفان بنوع خاص ان التعقيم لا يتلف عضو الجسم او غدته ، بل يُظهران ان لا اثر له في وغبة الشق (الجنس من جهة الذكورة والانوثة) . آه » — فعدنا الشقّ والجنس شيئاً واحداً . والسبب في تفضيلنا الشق على الجنس اجتناب اللبس على ما قلنا . — وثانياً لان الكلمة الحرّية مشتقة من اللاتينية Sexus ، التي قال فيها صاحب معجم اصول الكلم اللاتينية ص ٣٤٥ : « Sexus معناها الحرفي «التقسيم والتفريق والتمييز » والكلمة مشتقة من اصل هو Sec ومشتقات كلمة Secare والظاهر ان اللفظة كانت

في اول وضعها Sec-tus اي تقريق . وفي اللسان القديم (اللاتيني) C T تنتقل غالباً الى S S مثل sectilis و vexare والجنس المشترك sexus (وهو لا يتصرّف) يفيد ايضاً معنى الجنس ...» اه كلام المحدّثين

قلنا ولما كانت اللاتينية sexus والعربية « شِقّ » بمعنى واحد ، خيّرنا الشق على الجنس لما قدّمنا من الاسباب : ولاسيّما لان من معاني « الشِقّ » ايضاً في العربية : النصف من كل شيء وعلماء البشر يذهبون الى ان الناس نصفهم ذكور ونصفهم اناث . فالشق اذن يوافق ان يكون بمعنى « الجنس » وان كانت هذه الكلمة لا غبار عليها

وقد ذكر محمد بك شرف في معجمه الانكليزي الى العربي بازاء sex ما يأتي : « (جنس). شِقّة [وضبطها ضبط قلم بكسر فتشديد] (ج . شقائق) « ان النساء شقائق الرجال » . وقد عرّبها المحدثون بكلمة جنس . والحال ان الجنس يقابلهُ genus بالفرنجية ولهذا وجب التمييز لأمن اللبس » اه كلام البك — قلنا : ان الجنس عربي فصيح لا غبار عليهِ بمعنى احد قسمي الخلق الذكور والاناث . وهو ليس من وضع المحدثين ، بل من وضع الاقدمين على ما رأيت من استشهادنا بلسان العرب وتاج العروس . والنحاة والصرفيون الاقدمون كثيراً ما استعملوا « الجنس » ليشملوا بهذا اللفظ الذكور والاناث . — اما (الشِقّة) التي استعملها الدكتور العلامة فانها لم ترد في كلام العرب الاقدمين ولا المولدين ابداً . والعبارة التي اوردها حضرتهُ هي حديث على ما رواه صاحب النهاية ، اذ قال : « النساء شقائق الرجال » وفسّرها بقولهِ : « نظائرهم واشباههم في الاخلاق والطباع ، كأنهنّ شققن منهم ، ولأن حوّاء خلقت من آدم عليهِ السلام » اه

فالشِقّة كما ترى لا تعني الجنس ابداً وهي وزان كِسْرة ولا تجمع على شقائق بل على شِقَق كَكِسَر ، واما الشقائق فهي جمع شقيقة ككبيرة وكبائر وقليلة وقلائل وصغيرة وصغائر . والذي يستغرب في كلام الدكتور النطاميّ انهُ استعمل الجنس بعد ان رذلهُ وذلك في ما بيّن من مصطلحاتهِ في هذا اللفظ ، ولم يستعمل الشِقّ ولا الشقيقة ولا الشِقّة . فانك تراهُ يقول بعد ذلك : « ارتكاس جنسي وانقلاب جنسي وانتخاب جنسي وتنقية جنسية ونقاوة جنسية والجنسية وكيفية الجنسيّة وجنسيًّا ومن جهة الجنسية » وهذا عجيب منهُ بعد ان طعن في اول الامر بهذه اللفظة ، فكيف عاد الى اتخاذها وترك سواها بتاتاً ؟ أليس لانهُ رأى ان «الجنس» هي أحسن لفظة تقوم بمعنى اللفظة الافرنجية ؟

واما قولهُ : « والحال ان الجنس يقابلهُ genus بالفرنجية ، ولهذا وجب التمييز لأمن اللبس » فنقول لحضرتهِ . اطمئنّ بالاً اذ لا خوف في اللبس فان اليونانيين يستعملون genos لكلا المعنيين اي للجنس الذي هو فوق النوع وللجنس الذي هو بمعنى قسم الذكور وقسم الاناث . هذا فضلاً عن ان الاقدمين لم يعرفوا « الشِقّ ولا الشِقّة ولا الشقيقة لمعنى الجنس . وفي هذا القدر مجزأة

٧ — الوحيدة مؤنث الوحيد لا الوَحِيدة

ومما قرأناه بغرابة باللغة قول احد اعضاء المجمع في سرد السفحة ١٥٥ : «وحيدة . ترد هذه الكلمة على الالسنة والاقلام كثيراً . فيقال مثلا . » وهي المسألة الوحيدة . . . » او « الفتاة الوحيدة .» وهو خطأ ، اذ لم ينقل هذا التأنيث عن العرب فيما نعرفهُ من اقوال اللغويين . فانهم قالوا في تأنيث وحيد : وحِيدَة . فقد جاء في « اللسان : ورجل أحَد ،ووَحَد ، ووَحِد ، ووَحْد ، ووحيد ومتوحّد : اي منفرد . والانثى وحيدة . حكاه ابو عليّ في التذكرة ،وانشد : كالبيدانة الوحدة اه . والبيدانة الاتان الوحشية ، او التي تسكن البيداء . قاموس . وقال في شرح القاموس : وهي ، اي الانثى ،وَحِيدَة بفتح فكسر فقط . اه

قلنا : الوحِيدة (بفتح فكسر) ليست الاّ تأنيث الوَحِد كفذر ، دون سائر الالفاظ . اما أحَد ووَحَد بالتحريك فهما تقعان على المذكر والمؤنث معاً كما في المصباح ، كما قد يكون لاحد مؤنث خاصّ بهِ ، اذ قال الفيوميّ نفسهُ : « واما تأنيث احد فلا يكون الاّ بالالف ، لكن لا يقال لإحدى الاّ مع غيرها نحو : احدى عشرة واحدى وعشرون . قال ثعلب : وليس للاحد جمع . . . وتأنيث الواحد : واحدة بالهاء » اه . — قلنا : وتأنيث متوحّد : متوحّدة على القياس المشهور . وكذلك يقال في (وحيد) فان مؤنثها (وحيدة) بالهاء لا وحدة بحذف الياء ، إذ هذا القول مخالف لاحكام العربية ونصوص ائمتها ولانهُ لم يسمع بهِ احد ، ولان الوَحِيدة (بفتح فكسر) مؤنث (وَحِد) بفتح وكسر وليس بمؤنث سائر مترادفاتها . ومؤنث (وَحْد) بسكون الحاء (وَحْدة) بلا تغيير او (وَحْده) بهاء في الآخر . وانما خصّ المؤلف الوَحِد بقوله وحدة تلبيساً للقائل ، لان فعلاً بفتح فكسر قد يبقى على حالهِ في التذكير والتأنيث وقد يغير ، اما انهُ قد يبقى على حالهِ فكقولهم (عَجِيف) بمعنى (اعجف) فان مؤنثهُ بلا هاء كما في اللسان والتاج . واما انهُ قد يغير فكقولهم (حذِر) فان مؤنثهُ (حذرة)

اذن فلم يبق الاّ التنبيه على مؤنث (وَحِد) لينفي اللغوي كل صورة اخرى من فكر المطالع ويقف على الحقّ الصراح . زد على ما نقول ان الامر ينجلي من كلام الشارح . وهذا نصّ عبارتهِ : « ورجل وَحَد وأحَد محركتين ، ووَحِيد ككتف ووحيد كأمير ، ووحَدٌ كعدل ومتوحّد اي منفرد ... وهي اي الانثى وَحِيدة بفتح فكسر فقط ، ولذا عدل عن اصطلاحه وهو قوله : وهي بهاء لانهُ لو قال ذلك لاحتمل او تعين او يرجع للالفاظ التي تطلق على المذكر مطلقاً . قاله شيخنا . قلت: وهذا حكاه ابو علي في التذكرة وانشد: كالبيدانة الوحدة . قال الازهري: وكذلك فريدٌ وفردٌ وفَرْدٌ » . اه المقصود من ايراده

فهذا نصّ صريح على ان « الوحدة» مؤنث لفظة واحدة دون اخواتها المترادفات وهي «وَحِيد »

بفتح فكسر . ويدعم كلامهُ هذا بقوله : « وكذلك فريد وفَرد وفَرْد » فهو نصّ صريح جليّ على ان « وحيداً » يؤنث بالهاء كما ان فريداً يؤنث بالهاء اي فريدة ، وقد صرّح بذلك جميع اللغويين سرًّا او جهراً . على ان بعض المكابرين قد يروق في تصيد الشارح إبهاماً ، اذ ليس شيئاً من الغموض او اللُبْس ، فلا يسلمون بما اوضحناه . فنزيد على ما تقدّم نص صاحب الاوقيانوس فهو اوضح من الشمس في رائعة النهار ، فقد قال : « وَحيد وزان كتف بمعنى وحيد بتؤنث وحدة » فهل بعد هذا التصريح شبهة او ريب ؟ ومع ذلك فأتيك بنصّ آخر اطمئناناً لقلبك . قال ياقوت في معجم البلدان : « الوحيدة مؤنثة الذي قبله (والذي قبلهُ هو الوحيد) من اعراض المدينة بينها وبين مكة » فلو لم يكن في كلامهم (الوحيدة) بل (الوحدة) لقالوا هذه دون تلك

على اننا لا نقول ان (وحِدة) بفتح فكسر غلط ، بل نقول ان الوحِدة مؤنثة الوحد . والوحيدة مؤنثة الوحيد . واخطأ من ذهب الى غير هذا المذهب . ومن الغريب اني قرأت بعض مقالات كتبت بعد صدور مجلة المجمع ، واذ بأصحابها يخطئون (الوحيدة) اعتماداً على ما جاء في المجلة ولا يسلمون الاّ بالوَحِدة . فانظر الى هذا الضرر الصادر من كاتب ينشر مقالهُ في مجلةٍ يعتمد عليها ، فاذا هي تسوق الناس الى آراء لم يقل بها العلماء الاثبات والائمة الثقات

٨ — اكتشف الشيء فصيح

وورد في الصفحة ١٤٧ كلام هذا نصُّهُ : « يخلّط الكتاب كثيراً في استعمال هذه الافعال فيقولون مثلاً : اكتشف طبيب دواء كذا كما يقولون : استكشفهُ ، ويقولون . العالم المكتشف وهم في ذلك كله مخطئون . ذلك بأن (اكتشف) جاء لازماً ومتعدياً في معنيين مختلفين . وقد مثلوا للاّزم بما يأتي : اكتشفت المرأة ، اذا بالغت في التكشف . . . . » ومثلوا المتعدي بقولهم : اكتشف الكبش النعجة ، اذا نزا » اه — قلنا : اذن فالكلام فصيح في قول من قال : اكتشف الدواء والعالم المكتشف ، اذ هو من باب الجار ، فمعنى اكتشف الشيء الهجوم على حقيقتهِ أو على ما خفي منهُ وإلفاحهُ وانتاجه وانماؤه وبثهُ في العالم للانتفاع بهِ . وهو من باب الاستعارة ، فهو اذن من فصيح الكلام وعاليه وما فصحهُ واعلاه الاّ الاستعارة . (راجع المقتطف في صفحة ٣١٤ جزء ٣ مجلد ٨٦ من جزء مارس ١٩٣٥ تَرَ فيهِ بحثاً سهلاً في هذا الموضوع)

وكان قد اطلع على زبدة هذا البحث العلامة الجليل واللغوي المدقق الاستاذ مصطفى افندي جواد فكتب الينا ما هذا بعض عباراتهِ البديعة المعنى وذلك بتاريخ ٢٩ آذار (مارس) سنة ١٩٣٥ من باريس :

« أما مقالتكم في « اكتشف » وتجويز هذا الفعل ، فالدنيا كلها معكم ولا عليكم . . . وتجويز هذا الفعل عندي يستند الى عدة اركان : (الاول) انهُ زيدت عليهِ التاء لقصر الفعل على ارادة الفعل

التصرُّفيّة . ويقابلها في الفرنسية للغائب Se . والفرق بين النتيجتين ان الفعل الفرنسي يصح لازماً والفعل العربي متعدّياً ، الاّ ما عاد على جسد الفاعل ، مثل : «اغتسل» و «امتشط» . ومن هذا الباب : « خيّر واختار ، ونخب وانتخب ، وعاق واعتاق ، وعدّ واعتدّ ، وجرّ واجترّ ، وصاد واصطاد ، وبنى وابتنى ، وعلا واعتلى ، (كأن في العلو منفعة خاصة بنفسه) ونها وانتهى ، وعرا واعترى ، وصلى واصطلى ، وشرى واشترى ، وباع وابتاع ، وشهى واشتهى ، وحلب واحتلب ، وقطع واقتطع ، وقدح واقتدح ، وقاد واقتاد ، وعاد واعتاد ، وكنف واكتنف » وما يصعب ذكره ويطول . فاضافة تاء التصرُّف الى الفاعل مما لاحاجة بالقائل ان يستأمر فيه ولا ان يستأذن ، وكذلك هو في الفرنسية كالذي اشرنا اليه ، فاكتشف المتعدّي من هذا الباب الذي يعتري امرهُ الافعال اللازمة فيصيرها متعدّية في احيان ، مثل : «صفا واصطفاه ، وجبى واجتباه ، وبدر وابتدره ، وعام واعتامهُ ، وعن وامتحنهُ » وما الى ذلك . فالمكتشف ممن يستبقون الخير لانفسهم ويجلبون العظمة لمراتبهم

(والوجه الثاني) انهُ من اكتشف الكبش النعجة اي نزا عليها . والامر على ما قلتم ، فان المكتشف ينزو على الحقيقة ليلقحها وينتجها . ومن هذا الاسلوب : « قتله بحثاً وعلماً وتحقيقاً » والقتل للاحياء وهي من الجسمانيات . ومنهُ : « دقّق النظر » فان التدقيق للجسمانيات كالحجارة والحديد . و« أحسَنَ اخلاقهُ » فالحسن للجسمانيات . ومنهُ قول ابن جني : « وكدورة الفكر وجمود النفس » وهما للماء وهو من الجسمانيات . وتقول « من العناصر الاربعة » . وان اعترض معترض بأن هذا التوجيه يجيز استعمال « اكتشف » للمعنويات ولا يبيحهُ للجسمانيات لان قولهم : «اكتشف الصقع القلاني» لا يفسر « بلقحه وانتجه » فيرد عليه قولهُ بأن الذهن لا يبادر الى هذا التفسير لمنع القرينة اياه ، كما لا يبادر ذهن القارىء في كتب الحديث وعلله الى أن « جَرْحَهُ » في باب الجرح والتعديل ، يفيد الجرح الحقيقي لمنع القرينة الحصينة ، بلْهَ ان المراد بـ« اكتشف الكبش النعجة» هو الغزو عليها وما يحصل بعد الغزو ، فهو تابع ومتمم . يدل على ذلك ان اكتشف هو واصلهُ من (الكاف والشين والفاء) لا يفيدان معنى الالقاح والنتج ، فهذا المعنى عارض لا اصيل وتابع لا متبوع واذ كان الاصل لمعنى « اكتشف » هذا هو « الغزو » ، حَسُنَ ان يستعمل فيما يعنيه الكتّاب اليوم لافادة التسلط مع السابقية . ويسوغ مثل هذا الاستعمال قولهم قديماً « نُتِجَ هذا من ذاك » وقول الحريري في المقامة السادسة عشرة وهي المغربية : « فتداعينا الى ان يستنتج لهُ الافكار ، وتفترع منهُ الابكار »

(والوجه الثالث) ان يُعدَّ من « اكتشف فلان » بالغ في التكشف . كما ورد في كتب المغازي فان احد المحاربين قد حملتهُ الحمية ان يكتشف — كما في مغازي الواقدي والاغاني — فكأنهُ كان

ـ قد رفع ما على رأسهِ حماسة واغتياظاً . ولا تزال العرب تفعل ذلك عند احتدام غضبها وركوبها خطة وعرة ونية خشناء . ثم ينقل الفعل الى حالة التعدية لتعدّيه بنفسهِ الى المنصوب فيكون مثل « اسطاده واعتلاهُ واشتهاهُ » فالاصل فيهنّ جعلهُ «ينصاد وينعلي وينشعي» ولاعقاب ولاحساب في شرح مثال هذا بـ « ينفعل » فاكتشفهُ : جعلهُ «ينكشف» وبغير هذا التحليل اللغوي الفلسفي لا تصح تعدية « افتعل » المقصور على « ارادة الفاعل التصرفية» لان الاصل اللزوم مثل : «امتشط واغتسل واعتجر وادّرع واقتبع وادّهن واطّلى » فان قال قائل : ان هذه افعال تختص بجسده فلا حاجة الى المفعول ، قلنا : انها وان كانت افعالاً خاصة بجسده ، فانها خاصة ايضاً بأجزاء من جسده فلمَ لم يقولوا : « امتشط شعره ، واغتسل بدنهُ ، او بشرتهُ ، واعتجر رأسهُ» وغيرها مما يجانسها ؟ على انهم قالوا : « دهن رأسهُ ، وطلى بدنهُ » وما شابههما . ويزيدك يقيناً بأن مذهبنا لاحب ورود « اكتسى الثوب ، وارتداهُ ، وانتعل النعلين » في كلام فصحائهم . وهو من اطوار تحول الافعال الذي اشرنا اليه » . الى هنا كلام الاستاذ المصطفى

وكنا قد كتبنا في المقتطف في المقالة المذكورة ايضاً (في ص٣١٧) : « وكان الاقدمون من السلف (يكتشفون أي يكشفون عورتهم) في المصيبة العظمى أو لبثّ التحسر في صدور الشهود . » فكتب الينا الاستاذ المحقق من باريس في ٢٨ ابريل من هذه السنة ١٩٣٥ يقول :

« اكتشف الذي رأيتموهُ في تاريخ الطبري (١ : ١٣١٦ من طبعة اوربة) ورأيتهُ أنا في كتب المغازي وذكرتهُ في ردودي بمعنى : رفع ما على رأسهِ لا كشف عن عورتهِ . ولم تفعل العرب للتحميس التكشيف عن عوراتها

أما قولكم ان العرب كانت تفعل ذلك في الملمات ، فلا اعتقدهُ البتة . فاني — وان كنت تركي الاصل خالص التركية — لا أجد في العرب من يستحق ان ينسب اليهِ هذا القول، ولا يزالون اليوم يفرّعون رؤوسهم (كما تقول العامة) عند الغضب . نعم، ورد في حوادث الجبناء من كشف العورة شيء قليل ، وهو ضد الحماسة ، كما فعل عمرو بن العاص في صفّين حينما ادركهُ عليّ بن ابي طالب ليضربه بالسيف ، فرمى بنفسهِ عن فرسهِ ، وكشف عن عورتهِ ، لان عليّ ابن ابي طالب لم يكن ينظر الى عورة غيره، ولا الى عورة غيره، وهذه الحادثة تؤيد ذلك . فنجّى عمرو نفسهُ . وقال الشاعر: « كما ردّها يوماً بسوْأةِ عمرو» . يعني ردّ ضربة السيف . وكما قال الشاعر الشامي في وصف ابن العاص ، والشاعر هو مهذّب الدين الطرابلسي :

هذا ولم يغدر مُعَـا ويةُ ولا عمرو مكَـرْ
بطل بسَوْأتِهِ يُقا تِل لا بِصَارمِهِ الذكَرْ

وهذا من اقذع الاهجية عندهم . فكيف يكشفون عوراتهم للحماسة والانكرار في الحرب ؟ هذا ما وصل اليهِ علمي » . اه كلام الاستاذ

النظام الادبي

بين الحيوانات (١)

يسلّم معظم المتعلمين بأن الحيوانات العليا متصفة بالذكاء وان كانت درجته أدنى من درجة ذكاء الانسان . ولكن يندر بينهم من تراهُ مستعدًّا للتسليم بأن الحيوانات تشاطرهم قواعد النظام الادبي الذي يسود الحياة فالنظام الادبي في نظرهم صفة خاصة بالانسان . ولكن الباحث يستطيع ان يكشف بين الحيوانات الوانًا من التصرف يصح ان تحسب اساساً للنظام الادبي وأهمها اربعة

حق التملك

اولاً — ان الحضارة الصناعية راسية على ما يعرف بحق التملك . وجانب كبير من قوانيننا المدنية يدور على هذا الحق . أتستغرب ايها القارىء اذا قلنا لك ان حق التملك معروف عند الحيوانات كذلك وانها تدافع عنه ؟

ان حق التملك هذا مشاهد بين الحيوانات من اعلاها الى السمك ولكنه على اوضح ما يكون بين الحيوانات العليا . فالطيور مثلاً تدعي حق تملكها العش الذي تقطنه والمنطقة التي تجاورهُ كذلك . وبعض العقبان لا تسلّم لمنافس من العقبان ان يشاطرها المناطق الخاصة بها . اما حق التملك عند القردة فيمتد الى كل شيء لهُ قيمة في نظرها . فالباحث « برهم Brehm » يذكر ان «بابوناه» عني بقعسمة من الصفيح لسبب ما فصار يأخذها معهُ كل ليلة الى المكان الذي ينام فيه ويعالجها كأنها ملكه الخاص . والفرديس Alverdes راقب قرداً اسيراً كان يلعب بكرات من المطاط وقطع من الخشب فصار يحنق حنقاً شديداً اذا مسها احد لان هذه الاشياء ملكه الخاص . واذا جاز لنا ان نفسر افعال الحيوانات كما نفسر افعال الناس صح لدينا ان نقول انها متصفة بحس التملك وانها تدرك حقها في التملك نتيجة سبْقها الى بقعة من البقاع او الى استحواذها شيئاً من الاشياء كحق الغزو او الفتح بين الشعوب

الالم الادبي

ثانياً — لا ريب في انك ايها القارىء لاحظت تصرف كلب من الكلاب عندما أنّبهُ صاحبه او زجره . فهو لا يفر من أمامه كأنهُ يخشى ان يلكمهُ او يلطمهُ بل يظل قريباً من صاحبه او بالحري يقترب منهُ وفي عينيه معنى التوسل وقد يحاول ان يلحس يدي صاحبه . فهذا التصرف ليس قائماً على خوف الكلب من العقاب . فعلى ماذا يقوم ؟

وقد قام بين الالمان عالم يدعى كوهلر قضى سنوات في مستعمرة من القردة المعروفة باسم

---

(١) ملخص مقال للكاتب العلمي جيمس لوبا في مجلة هارپرز الاميركية

شيانزي في جزيرة تناريف ووضع كتاباً جعل عنوانه « عقلية القردة » فذكر فيهِ القصة التالية :

لاحظت في احد الايام وانا اطعم طائفة من القردة مجتمعة حولي ان احدى الاناث تنتزع الطعام من احد الذكور الضعاف . فنهرتها وضربتها . فتراجعت الى الوراء وصرخت ثم جعلت تحدق بي واذا بها في اللحظة التالية قد رمت ذراعيها حول عنقي ولم تستقر حتى ربتُّ لها على ظهرها . وهذه ظاهرة غير عادية في حياة القردة الانفعالية . فالذي يتأثر بهِ الكلب والقرد ليس الخوف من العقاب الاليم ضرباً او لكماً بل هي تصاب اذا ضربت او انفصلت عن جماعتها بألم أدبي هو من قبيل الالم الذي تصاب بهِ اذا قاطعك او اقصاك من تحب

العطف والمساعدة

ثالثاً — ان السخاء والمساعدة الصادرين من انسان لا غرض له ولا غاية خاصة من اجل الصفات الادبية في الانسان واسماها . وقد لوحظت هذه الصفات عينها في الحيوانات . فالطيور من نوع معين تتصرف بعضها مع بعض تصرفاً لو شاهدناهُ في الانسان لنعوناهُ « الحنان » . ولعل هذه الصفة اي صفة الحنان تبدو على اروعها في الفيلة — بصرف النظر عن القرود . فاذا جرح فيل برصاصة اصابتهُ تهرول اليهِ الفيلة التي على مقربة منهُ لغوثهِ . فاذا وقع الجريح ركع بعضها الى جانبهِ فيضع بعضها انيابه تحته ويلف البعض الآخر خراطيمه حول عنقه بغية انهاضه

ولكن القردة تفوق حتى الفيلة في هذا . ففي الكتب التي وضعها العلماء ودوَّنوا فيها حياة القردة نجد أمثلة عديدة على ذلك ولكننا نكتفي بذكر مثال واحد منقول من كتاب طرمانيس في « ذكاء الحيوانات » . وهو ان ذكراً من الحيوان وقع من شجرة فاصيب في معصمهِ . فنال عناية خاصة من القردة الاخرى وخاصة من قردة يجوز مع انها لم تكن تتصل بهِ بصلة نسب . فكانت قبل ان تبدأ طعامها تأخذ اول قطعة من الطعام تقدم اليها وتعطيه اياها . وقد قال طرمانيس انهُ في خلال مراقبته للقردة مدة طويلة لاحظ انهُ اذا صرخ قرد ما صرخة الم احاط بهِ جمهور من القردة واحاطوهُ بعطفهم . ولم يكن من النادر ان يحيطوه كذلك باذرعتهم كما تفعل نحن الناس بطفل متوجع

الشكر والاعتراف بالجميل

رابعاً — ومن الصفات الادبية التي تلاحظ في القردة صفة الشكر والاعتراف بالجميل . فالعلامة وهلر الالماني يذكر حادثة اقفل فيها الباب خطأ على قردين فاضطرا ان يبقيا خارجه وكان الجو بارداً ماطراً . وكانا واقفين امام الباب ينتظران . وعلى وجههما امارات الخوف اذ مرَّ بهما ففتح لهما الباب . ولكنهما بدلاً من ان يسرعا الى الدخول تأخر كل منهما قليلاً لكي يشكر لصاحبه هذا الخير بوضع ذراعيه حول عنقه . ولو كان الغرض من هذا المقال رسم صورة تامة لحياة الحيوانات من ناحية انفعالاتها لوجب ان نقول شيئاً عن حسدها وغيرتها وخوفها ولرأى القراء اذن ما يراهُ العلماء الذين توفروا على درس حياتها وهي ان هذه الحيوانات اقرب ما تكون الى الانسان من ناحية حياتها الانفعالية

اسلحة الجيش المصري القديم — ١

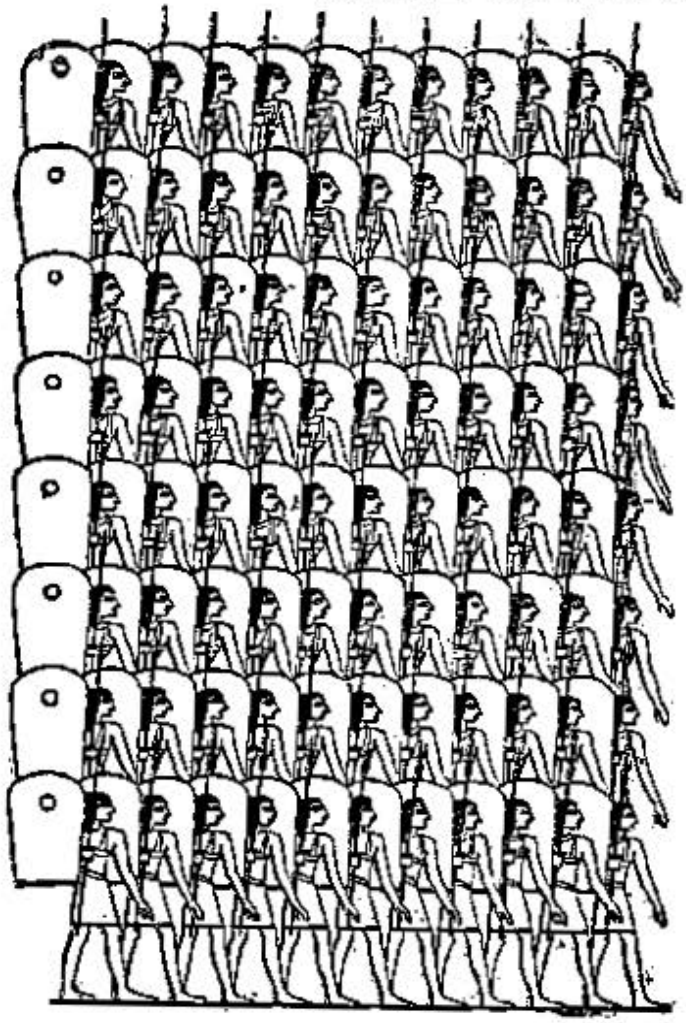

فصيلة من الجنود المشاة المسلحة بأسلحة ثقيلة

مقتطف اكتوبر ١٩٣٥ امام صفحة ٢٨٥

اساحة الجيش المصري[1]

في ايام الفراعنة

لعبد الرحمن زكي
الملازم الاول في الجيش المصري

اذا استعرضنا الادوار التاريخية التي مرّ بها الجيش المصري القديم وجدنا ان اهم المعارك التي خاضها كانت في عصر الامبراطورية الجديدة التي وضع اساسها احمس الاول طارد الهكسوس من مصر وهو الذي يلقبهُ بعض مؤرخي العصر الحديث بلقب نابليون مصر القديمة . ولم تكن الحروب التي خاض الجيش المصري غمارها حتى ذلك الحين سوى معارك صغيرة نشبت بين المصريين وقبائل الصحراء او بين امراء المصريين انفسهم

بدأ الجيش الذي قام على رأسهِ احمس يتدرّب على اعمال الحروب الكبيرة كما شرع الامراء يتذوّقون طعم الاقتتال . ووافق ذلك ضعف الاحوال السياسية في البلاد الشمالية المجاورة للحدود المصرية . فلما قام ملك مصر بتأسيس ملكه الجديد لم يلق مقاومة تذكر في سوريا . ولا يغيب عن بالنا ان قتال شعب منظم يتبع نظاماً دقيقاً من قواعد الحرب يختلف باختلاف الغارات التي تشنها قبائل البدو او جماعات اهل النوبة بقصد الاستيلاء على الرقيق او نهب المواشي او اتلاف المحصولات والزراعة . فلما جاء عصر تحوتمس الثالث كانت الخطط العسكرية (الستراتيجية) قد بلغت حدّاً فائقاً من الدرس . فنجده يقصّ علينا انباء حملاته المتتالية بأسلوب عسكري ووصف دقيق احتوى على كل التفصيلات التي نجد مثلها اليوم في وصف حملة عسكرية حديثة ، بدلاً من الاساليب العامة الدارجة التي وصف بها اسلافه غاراتهم التي شنوها ضد اعدائهم من البربر وسكان البادية . وكان ملك مصر يقود حملاته ضد اعداء بلاده بدلاً من القواد الذين كانوا يخضعون قبائل الحدود الثائرة ويتسلمون قيادة الوحدات الكبيرة . ووجد الملوك ان الحرب فضيلة وفي دماء المعركة انمى معاني « التضحية »

كان فرعون مصر يأخذ مكانه في طليعة المعمعة يقاتل في عربته الحربية التي يقودها بنفسه كما يقاتل جنوده . وان النقوش التي على جدران الهياكل الأثرية لتبين جليًّا اشتراك الملوك المصريين مع جنودهم الى حيث قادهم المجد في ساحات القتال

أن مبدأ تكوين الجيوش المصرية الكبيرة وجد في مصر منذ طرد احمس الرعاة . ومن ثمّ كان

---

(١) هذا الفصل مقتبس من كتاب لي تاريخ الجيش المصري في أيام الفراعنة أعده كاتب هذا المقال للطبع

ظهورها في آسيا حيث خلدت أعمالها على آثار لا تزال باقية الى يومنا هذا. وليس الغرض التحدث عن تنظيم الجيوش المصرية في المملكة القديمة وان كان هذا البحث مما يلذ الوقوف عليه . ولكن الناحية التي سأقصر الكلام عليها هي الاسلحة التي استخدمها الجيش في فتوحاته المجيدة وغزواته الخالدة

الاسلحة الهجومية والدفاعية

يمكن تقسيم اسلحة قدماء المصريين الى قسمين : الاسلحة الهجومية والاسلحة الدفاعية

فمن اسلحة القسم الاول : القوس والرمح والجريدة والمقلاع والسيف القصير المستقيم والخنجر والمدية والسيف القصير المحدب والبلطة ذات اليد القصيرة وبلطة القتال والصولجان واللسان الذي يشبه النصل المعوجّة كالتي يحملها العبابدة والاثيوبيون. ومن اسلحة القسم الثاني : الخوذة المعدنية وواقية الرأس والدرع او سترة الزرد المصنوعة من الصفائح المعدنية ولم يعرف المصريون واقية الأرجل . وكانت اغطية الذراعين جزءاً من الزرد تؤلف كمّاً قصيراً يمتد الى الكوع

الدرع

كانت الدرع اهم ما يدافع به الجندي عن نفسه ، طولها لا يزيد عن نصف قامة الجندي وكانت في الغالب ضعف عرضها . وفي اكثر الاحوال كانت تغطّى بجلد ثور والشعر الى الخارج كالدرع الاغريقية وتقوّى في بعض الاحايين بحافة او بحافتين من المعدن وترصع بالمسامير والدبابيس المعدنية. اما الناحية الاخرى للدرع فكانت مبطنة بأغصان جافة مجدولة . ويحيط بحافتها أطار خشبي مغطى بالجلد على طريقة الدروع الرومانية والاغريقية

وكان شكل الدرع المصرية مشابهاً لالواح الموتى التي تحفظ في المقابر والتي عثر عليها في القبور ، مستديرة من اعلاها ومربعة من اسفلها تنتفخ قليلاً عند القمة . وبالقرب من الجزء العلوي لسطح الدرع الخارجي كانت توجد تجويفة مستديرة في محل السُرّة . وكانت هذه التجويفة اعمق في الاجناب منها في الجزء المركزي وسطح هذا الجزء كان مع مستوى سطح الدرع تقريباً . ويصعب معرفة الغرض الحقيقي من صنع هذا الجزء على هذا النمط وهل لهُ فائدة دفاعية او هجومية . وكان يثبّت في السطح الداخلي للدرع «علاّقة» لتعلق بها حول الرقبة وكانت هذه العلاّقة تعمل احياناً بكيفية يسهل معها ادخال الذراع فيها والقبض على الحربة وكان للدرع احياناً قبضة يسهل بها تحريك الدرع في اي اتجاه ، وكانت هذه القبضة تركب اما تركيباً عمودياً واما تركيباً افقياً على الدروع

وقد شوهدت على جدران الآثار القديمة ما عدا مقابر بني حسن نماذج اخرى من الدروع تختلف عما سبق وصفه ويغلب على الظن ان هذه كانت تستخدمها الجنود المستأجرة فقط

وكان لبعض الدروع المصرية مقاسات كبيرة غير مألوفة . اختلفت في شكلها عن الدروع العادية فكانت محدبة من القمة على اسلوب العقود القوطية وذات حجم كبير يصعب استخدامها بسهولة

لتقلها . وقد شوهد هذا النوع من الدروع في مقبرة بعض حفريات اسيوط «ليكوبوليس» ولاشك انهُ كان من الامور الاولية التي تراعى في صناعة الدروع خفة موادها لسهولة حملها في السير الطويل وفي ميادين القتال ونشك في انها كانت مغطاة بأي نوع من المعادن

القوس

كانت القوس المصرية تشابه القوس الاوربية التي استعملت قبل عصر البارود . وكان الوتر يثبت اما في جزء بارز مصنوع من القرن في نهايتي القوس أو يثبت في خدش أو حز في خشب القوس من نهايتيه على غير طريقة تثبيت الوتر عند الاسيويين الذين كانوا يثبتونه في خابورين بطرفي رأسي القوس المستديرين

واتبع الاثيوبيون والليبيون وقد اشتهروا بمهارتهم في رماية النبال طريقة المصريين في تثبيت الوتر وكانت قوسهم مشابهة في الهيئة والحجم لقوس جيرانهم

كانت القوس المصرية قطعة اسطوانية من الخشب طولها خمس اقدام أو اكثر بنصف قدم. وهي أما مستقيمة مدببة الطرفين أو مقعرة الوسط عند ما لا تكون مشدودة ، وفي بعض الاحيان كانت تلتصق بها قطعتان من الجلد فوق منتصفها بقليل وتحتها

واذا أريد تثبيت الوتر ركزت نهاية القوس في الارض وضغطت الركبة على الجانب الداخلي من القوس بينما تجذب اليد اليسرى القوس الى الداخل وتدخل اليد الاخرى الوتر في الحز العلوي للقوس. وكان الجندي يجري هذه العملية اما وهو واقف واما وهو جالس على مقعد كما يستطيع تثبيته بينما يضعه مقلوباً فوق كتفه . وفي اثناء الرماية كان الجندي يضع واقية وقاية من الجلد على ذراعه اليسرى لكي لا تصاب بالوتر عند ارتداده او كانت تلف أيضاً حول المعصم . ويسحب الوتر بجذبه بشدة نحو الجسم بواسطة الاصبعين السبابة والابهام وتفرد اليد اليسرى الى نهايتها ويصوّب السهم نحو الهدف

وكان الوتر المصري يصنع من الجلد أو القماش الكتاني أو القنب او امعاء الهررة بعد تجفيفها . واختلفت الأسهم طولاً من ٢٢ الى ٣٤ بوصة بعضها صنع من الخشب والبعض من القصب . وفي غالب الاحيان كانت مغطاة برأس معدنية تحف بهـا من كلا جانبيها ثلاث ريش مغراة وموزعة بالتساوي واستبدلت أحياناً الرأس المعدنية بقطعة مدببة من الخشب القوي . وكانت هـذه ضعيفة التأثير في الحرب فقصر استعمالها على الصيد والقنص والالعاب . واستبدلت القطعة المعدنية بأخرى من حجر الظران المدبب

وكان يحمل القواس جعبة مستطيلة قطرها أربع بوصات تسع عدداً وافراً من الأسهم يثبتها الجندي في حزامه المار فوق صدره الى الجانب المقابل على خلاف طريقة الاغريق الذين كانوا يضعونه فوق اكتافهم . وكان المصريون في اثناء السير يضعون جعبة السهام هذا الوضع . وكان للجعبة

غطاء مزخرف عليه رأس أسد اذا كان صاحبها من كبار القواد . وكان الغطاء يثبت في العلبة بواسطة عروة من الجلد لكي لايفقد عند فتح الجعبة اثناء الاقتتال . وكان للقوس علبة تحميها من الشمس والرطوبة وتحفظ لها مرونتها . وكان لهذه العلبة غطاء من الجلد الناعم مثبتاً بعناية في نهايتها العلوية . وكانت تركب دائماً في العربة الحربية وبقابلها في الجانب الآخر من العربة علبة كبيرة اخرى تحتوي على رمحين وعدد من السهام فضلاً عن العلبة (الجعبة) السابق ذكرها المثبتة حول وسط الجندي

وكان جنود سلاح القوّاسة المشاة يجهزون بقمد صغير للقوس مصنوع من الجلد ويلف حول القوس ويمسك اثناء السير . وبجانب القوس وهو السلاح الرئيسي في حالة الهجوم كانوا يحملون كجنود سلاح القوّاسة الخيالة الذين يحاربون في العربات الحربية خنجراً وعصا مقوسة وصولجاناً وبلطة للالتحام عند ما تنفد سهامهم . وكانت اسلحتهم الدفاعية تشتمل على الخوذة أو واقية الرأس وسترة معدنية . لكن الجنود كانوا لا يحملون الدروع لانها تعرقل استخدامهم للقوس بحرية تامة

الرمح

كان يصنع الرمح او المنخس من الخشب بطول خمس اقدام ، او ستّ ، ورأس معدنية يدخل اليها ساق الرمح ويثبت بالمسامير

أما الجريدة Javelin فكانت اخف من الرمح واقصر . وكانت تصنع من الخشب ورأسها مزدوجة الحرفين من المعدن ذات شكل معين . فإما ان تكون مفرطحة واما ان يزيد سمكها قليلاً من الوسط أو مدببة جداً من حرفها . وكان الطرف الاخير ينتهي بكرة ثقيلة من البرونز لتجميلها وتساعد على توازنها . وكانت تستعمل احياناً مكان الحربة فتقبض عليها كلتا اليدين في حالة الاشتباك القريب . وقد وجدت اشكال كثيرة من الجريدة صنعت من القصّب للصيد لا داعي لوصفها هنا

المقلاع

صنع المقلاع من عروة جلدية او حبل منفتل عريض من الوسط له خيّة حلقة (خية) Loop في احد طرفيه تثبت به وتقبض بشدة باليد . اما الطرف الآخر فينتهي بسوط . وعند استعمال المقلاع كان يدار مرتين او ثلاثاً فوق الرأس لموازنته وزيادة قوته الدافعة . وكان الاغريق لا ينظرون الى المقلاع كسلاح من الاسلحة المحترمة التي تحملها المشاة الثقيلة وان كانت تستخدمه المشاة الخفيفة . وقد ذكر المستر كورتيس كيف ان اسكندر المقدوني لما اراد تصوير جندي فار من جنود الاعداء امر مصوره ان يجعل هذا الجندي مسلحاً بالجريدة والمقلاع . وكانت ذخيرة المقلاع الحصى الصغير والحجارة المدببة او المستديرة وكانت توضع في حقيبة صغيرة تعلق في حزام الوسط

السيف

كان السيف المصري مستقيماً وقصيراً يتباين طوله من قدمين ونصف قدم الى ثلاث اقدام . له

مركبة حربية يجرها حصانان وفيها اميرها ومساعده

مركبة مصرية يقودها اميران ويتبعهما ضابطان كأركان حرب

(جميع الصور في هذا الفصل منقولة عن ولكنسون)

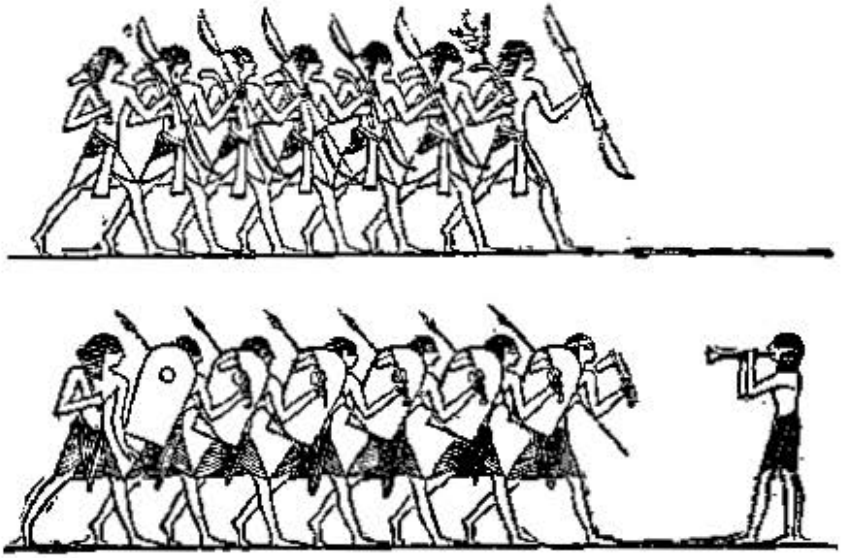

فوق : فصيلة من الجنود المشاة حملة الاقواس . تحت : فصيلة من الجنود المشاة حملة التروس

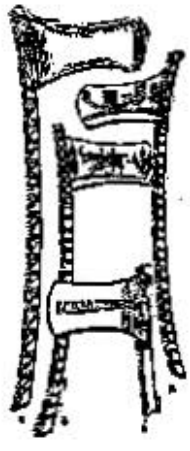

البلطة المصرية
مقتطف اكتوبر ١٩٣٥

المدية المصرية وغمدها
امام صفحة ٣٨٩

من مزدوج ومدبب الطرف . وكان يحمل السيف ورأسه الى اسفل ويستخدم كالخنجر وكانت القبضة بسيطة الصنع منتصفها محوّف تزداد سمكاً بالتدريج من مكان اتصالها بالنصل الى نهايتها وكانت ترصع احياناً بالاحجار الثمينة او الاخشاب النفيسة او المعادن. وكان لسيف الملك رأس او رأسان تصنعان على شكل صقر رمز المعبود رع او الشمس . ويمكن ان نضع الخنجر مع السيف القصير لتشابههما تقريباً مع ان الاول كان اقصر من الثاني. وكانت قبضة الخنجر كقبضة السيف مرصعة بالجواهر . وكان النصل من البرونز السميك من الوسط وله حز خفيف يمتد بين طرفيه . وفي متحف برلين خنجر مصري قديم يعتقد عثر عليه الأثري « باسالاكوا » في احدى حفريات طيبة منذ نصف قرن او اكثر . وهو يمثل تمثيلاً واضحاً صناعة الاسلحة عند قدماء المصريين

المدية

اما المدية فكانت اقصر من السيف ذات حرف (نصل) واحد وقد استخدمت للقطع فقط وكانت تحملها جنود الاسلحة الخفيفة والثقيلة على السواء

السيف القصير Falchion

وكان الضباط والجنود يحملون ضمن اسلحتهم سيفاً قصيراً وفي كثير من النقوش يرى ملك مصر مشتبكاً مع العدو وهو يحمله ومعهُ البلطة ذات اليد القصيرة او النبوت (الصولجان) وكثيراً ما شوهد ضباط الجيش المصري القديم وهم يحملون العصي الخفيفة كالتي يحملها ضباط اليوم . أما في اثناء قيادتهم للجند للاشتباك فكانت اسلحتهم كأسلحة الملك عند ما يحارب على قدميه . وفي حرب العربات كانوا يسلحون بالقوس

البلطةُ ذات اليد القصيرة

وكانت البلطة صغيرة الحجم بسيطة الصناعة لا يزيد طولها على قدمين ونصف قدم . لها نصل واحد . ولم ترَ بلطة مصرية ذات نصلين كما كانت عند الرومان . وشكل هذه البلطة يشبه شكل البلطة التي يستعملها النجار المصري ولم يكن القصد من حملها ان يستعملها الجنود كسلاح هام في الاشتباك بل كانوا يهشمون بها ابواب المدن التي يهاجمونها او يكسرون الاشجار التي يحتاجون الى خشبها لمعداتهم. وكانت البلطة اقل جميع اسلحة القتال زخرفة وبعضها نقش على نصلهِ صورة حيوان أو قارب او رمز من الرموز الدينية ينتهي في الغالب بقدم غزال. وكان الجندي خلال مسيره يحملها في يده او يعلقها على ظهره . ولم يظهر على النقوش الاثرية هل كان للبلطة غمد ام لا . وكانت أيدي بعض البلطات قصيرة جداً لا تزيد قدماً عن طول النصل. وان كان طولها في الغالب يقرب من ثلاث اقدام

وكان شكل النصل في الغالب نصف دائري وقد تفنن الصناع في نقشهِ ورسمهِ

الصولجان

ومن اسلحة المصريين الصولجان الخشبي . كان يحاط باسلاك البرونز . طوله قدمان ونصف قدم. تشتبك في احدى نهايتيه قطعة مثلثة من المعدن تسمى الحارس لتحكيم اليد فوقها حتى لاتفلت عفواً اثناء الضرب . لهُ كرة معدنية تضرب بها المحوذات والدروع . وكانت تسلح بهِ الجنود المشاة او جنود العربات الحربية الذين كانوا يحملون صولجانين معهم يعلّقان على جانبي العربة . وكان للصولجان شأن كبير عند اشتباك فريقي المعركة . فتظهر البسالة بأجلى مظهر لان فرقة من الجنود الشجعان حملة القضبان يستطيعون ارباك العدو وتحطيم قواه بسرعة عجيبة

وكان لدى المصريين نوع آخر من الصوالجة منتظم العمك في طوله الكامل عريض في نهايته العليا وليست لهُ كرة او حارس . وكانت العصي المقوسة او النبابيت (اللسان) تستعملها جنود الاسلحة الخفيفة او الثقيلة وحملة الاقواس . وهذه العصي وان كانت تظهر لاول وهلة كسلاح قديم الفائدة لكن التجارب اثبتت انها تفي بالغرض اثناء الالتحام . وكانت قبائل البشاريين الى عهد قريب تستعمل العصي بدلاً من السيوف

اسلحة بعض الفرق

وكان جنود الاسلحة الثقيلة مجهزين بالدروع والحراب وبعضهم يحملون الدروع والصوالجة والبعض يحملون بلط القتال والدروع ومنها احياناً السيف والعصا المقوسة (اللسان) والعصا العادية

والجنود الخفيفة الذين ليسوا من رماة النبال كانوا مسلحين بنفس الاسلحة لكن اسلحتهم الواقية كانت اخف . اما اسلحة الخيّالة المصرية فلم نعثر على مصادر تسهل الكلام عليها. والآن ننتقل الى وصف العربة الحربية التي كانت عنصراً هامًّا في الجيش المصري

العربة الحربية Chariot

كانت تسع العربة راكبين على مثال العربة الاغريقية Diphros وتسع احياناً ثلاثة : السائق وقائدين . لكن كان ذلك نادراً ولم يشاهد الاَّ عند ما كان الملك يصطحب اميرين في بعض الحفلات احدهما يحمل الصولجان الملكي او انفلابيلا Flabella والآخر يقود العربة

وفي القتال كان كل ضابط يركب عربته وسعهُ سائقهُ وتعلّق خلفه العلامة المميزة لهُ على حزام عريض ويكون حرًّا في استعمال يديهِ للقوس والاسلحة الاخرى . وعند ما يخرج الملك او احد الزعماء بقصد النزهة او زيارة صديق يستقل عربتهُ وحده ليقودها بنفسهِ وامامهُ تجري السوَّاس . فاذا وقفت العربة قبضوا على الروع (جمع مرع مولّدة لسير اللجام) ويأخذون جياد العربة لتسييرها حتى عودة السيد . وكنت ترى دائماً في المعركة هؤلاء الاتباع على استعداد لاية اشارة . فاذا نزل قائد من عربته لقيادة جنوده فوق تل او مرتفع لاتستطيع العربة تسلّقهُ او عند حصار مدينة محصنة

اسرع هؤلاء الاتباع الى الجياد وأخذوها الى مكان امين حتى عودة سيدهم . او تبعوه عن كثب . وفي الغالب كان يوجد فريق آخر من العربات في مؤخرة الجيش لاستبدال العربات المتقدمة عند حدوث مفاجآت او عند ما تضطره الاحوال العسكرية للتقهقر

ويرى الملك في المشاهد العسكرية المنقوشة على جدران المعابد المصرية راكباً جواده او في عربته وليس معهُ سائق . والسروج ملفوفة حول وسطه . ويرى كذلك وهو يحمي قوسهُ ضد الاعداء . ويحتمل ان الفنان المصري تعمد عدم اظهار السائق بجانب الملك لاعتبارات فنية ولكي يظهر الملك وحده واضحاً على الآثار . واشتملت العربة الحربية على راكبين من درجة واحدة يشتركان معاً في خطر القتال ومجده . فاذا كان سائق العربة الملازم للقائد لا يحمل رتبة عالية كان يعد تعيينه لهذا العمل فخراً وامتيازاً . وفي الغالب كان لا يملأ هذه المناصب الا اصحاب الاخلاق الحميدة والمنزلة الرفيعة والذين كانوا اهلاً لاكتساب الشرف لملازمتهم ابناء الملوك والامراء والقواد . وكان اكثر الضباط المصريين ماهرين في قيادة عرباتهم الحربية لا يحتاجون الى من يقود لهم عرباتهم وكانوا يعتبرون ذلك فخراً لهم ودليلاً على مهارتهم في استعمال اسلحتهم اثناء قيادتهم للعربة

العربة الحربية في المعركة

استعمل المصريون السوط كأبطال هوميروس في ملحمته الخالدة واستعملوا احياناً العصي القصيرة . وكان السوط عبارة عن قبضة مستديرة من الخشب الناعم لهُ عروتان احداهما في اعلاه والاخرى في اسفله ولهُ قدة من الجلد او قطعة من الحبل طولها قدمان . يستطيع الجندي ان يعلقهُ من احدى عروتيه في اسفله بينما يستعمل قوسهُ او رمحهُ بسهولة

وعند ما يقابل احد الابطال زعيماً من الاعداء كان يترجل في الحال لينازله بقوة جسمه وبيده بدلاً من القوس او الرمح او البلطة كما كان يفعل الاغريق واهالي طرواده . فاذا تغلب عليه وقتله جردت جثتهُ من الاسلحة . فاذا جرح واصبح غير قادر على المقاومة واستسلم طالباً الرحمة نقل من الميدان في عربة حربية . اما باقي الاسرى الذين يسلمون اسلحتهم ويقدمون انفسهم فكانوا يعاملون معاملة اسرى حرب ويرسلون الى مؤخرة الجيش تحت الحراسة لتقديمهم الى الملك ثم يشتركون فيما بعد في حفلات النصر بعد انتهاء الحرب . وكانت تعد ايدي القتلى من جند الاعداء امام الملك وتسجل اعدادهم رسمياً بواسطة المسجلين . ويذكر عددهم تمجيداً لذكر حكم الملك . وترى مشاهد الاسرى امام الملك على جدران مدينة هابو بطيبة . والصورة الكبيرة المنقوشة على الفناء الداخلي من هذا المعبد العظيم تمثل الملك رمسيس جالساً في عربته وامامهُ المسجل يأخذ ايدي القتلى ليضعهم في كوم كبير ويعدهم يداً بعد يد

ويستدل من مكان الملك في تلك اللوحة على انهُ من المحتمل ان كان للعربة المصرية مقعد وان كانت اكثر النقوش لا تظهر مقعداً في العربة فكان الجالس يركب على الحرف الامامي او الجانبي

فيها وكانت ارض العربة المصرية مصنوعة من اطار مثبت فيه شبكة متينة من الاغصان الجافة او الحبال كشبكة قوية تقاوم ضغط راكبيها وتكون ليّنة تحتهم اثناء الجري

ولاشك ان العربة المصرية كانت تصنع من الخشب كما اثبتت النقوش العديدة التي يستدل منها على صناعة اجزاء العربة وادوات العمل والقطع التي استعملها الصناع القدماء

وكان جسم العربة خفيفاً جداً يتركب من اطار خشبي منقوش ومزخرف بقطع معدنية اوبكسوّ بالجلد يفرق في ذلك اكثر العربات التي وصفها هوميروس. وكان قعر العربة الذي يقف عليه الجندي مستوياً مكوناً من قطعة واحدة او من جرائد مفتولة ترتكز على العريش بعد اتصاله بمحور عجلتي العربة لتستطيع المحافظة على توازنها وسهولة تحركها وحدها من دون ان تنقلب ولكي لا يكسر العريش. وفي هذه الحالة يكون الثقل موزعاً بين العجلات والجياد. ولم تكن العربة ثقيلة الحمل فان جنديًّا واحداً كان يستطيع حملها بسهولة اذا حمل آخر متاع الجياد. وفي حالة ركوب اثنين لم يكن من الصعب على جوادين شد العربة والجري بها. وكان لكل عربة مسند او قائم متوسط الارتفاع ليتكيء فوقها العريش عند ما تؤخذ الجياد بعيداً فلا يقع العريش على الارض. وكان هذا القائم على شكل انسان يمثل اسيراً من الاعداء

قلنا ان اكثر اجزاء اجناب العربة وظهرها كانت مكشوفة. وهذا الجزء الاخير لم يكن له أطار أو حرف لمنع الجندي من السقوط الفجائي. وكانت تُعلق على احد الجانبين جعبة السهام او علبة القوس محلاة بالنقوش والزخارف تملوها صورة اسد وتوضع الجعبة مائلة متجهة الى الامام. ولا يتسع المقام هنا لتفصيل عمل كل من النجار والحداد وصانع الجلود ...هؤلاء الثلاثة الذين اشتركوا في صناعة العجلات الحربية. وكان لكل عجلة ستة «براشق» spokes اسطوانية وكان للعجلات المستعملة في الشؤون المدنية او العربات الخاصة المستعملة في داخل المدن اربعة «براشق» فقط. وكانت تثبت العجلة في نهاية المحور بواسطة (شيوى) او خابور له احياناً رأس مزخرفة وله (تيلة) متينة تمنع انزلاق العجلة من محورها ولم تشاهد على الآثار عربات لها اكثر من عجلتين. ولم يكن للعربات المصرية حاجز لوقاية راكبها من الامام او الاجناب

لم تر عربات مصرية يجرها اكثر من جوادين وان كان بعض اعداء المصريين استعملوا العربات التي تجرها اربعة جياد. وكان فيلق العربات المصرية كالمشاة مقسماً الى جنود خفيفة وثقيلة وكلاهما مسلح بالأقواس فالاول هو سلاح العربات الخفيفة فكان يستخدم لازعاج العدو بمقذوفات الحجارة ولذلك كان يستلزم خفة الحركة. اما الثاني وهو سلاح العربات الثقيلة فكان يستخدم لتفريق شمل الجماعات الكثيفة من مشاة الاعداء بعد امطارهم بوابل من السهام الثقيلة

نماذج من الاسلحة المصرية بالمتحف

واننا لنشاهد كثيراً من انواع الاسلحة القديمة معروضة في ابهاء المتحف المصري. فيرى

الوانر مجموعة من اسلحة الطراق (الصوان) التي ترجع الى عصور قبل التاريخ في مصر . كما يشاهد مجموعة اخرى من العصي والحراب والبلط والخناجر والعصي المعقوف التي ترمى بها الطيور ومقابض للتروس (ارقام المتحف المصري ٦١٥٠ B ٤)

وبين مكتشفات مقبرة توت عنخ آمون يشاهد هيكل مركبة حربية من خشب مذهب ومزين برسوم بارزة ومطعم بشرائط من الزجاج المختلف الالوان . وفي الوسط «خراطيش» الملك والملكة يحملها صقر باسط جناحيه وبين قمة المركبة وحافتها الخارجية جملة رسوم تمثل ستة من الاسرى الزنوج والاسيويين . وبالقرب من هذه العربة يشاهد الوانر مركبة اخرى عليها شارة الملك على شكل ابي الهول يطأ اعداءه بأقدامه ويرى ايضاً اربعة سروج من عدة الجياد التي كانت تجر العربات وقد ازدان زوج منها بزأسين مذهبتين للآلهة «بس» (١٠٥—١٠٨)

وتحتوي مكتشفات مقبرة هذا الملك الشاب على مجموعة جميلة من الاقواس المطعمة والمكسوة بالذهب والعصي الخشبية المزركشة برقائق الذهب والصوالجة والاقواس والمدى والكاكين والسهام التي لا يزال كثير منها محافظاً على رياشه ، ونصالها مختلفة المواد والاشكال . فمنها ما هو مصنوع من البرونز على شكل كثرى او رصاصة ومنها ما هو مصنوع من الزجاج او له اسنة من العاج او من الخشب . ومنها ما هو مذهب او مخروطي النصل للعب

« اطقم » الجياد

ويستطيع القارىء بعد زيارة معروضات بلاد النوبة في المتحف المصري ان يستخرج صورة كاملة للاطقم والحلى التي كانت تزين رؤوس الجياد . فقد كانت تصنع من الحديد او النحاس او الفضة المطعمة بالاحجار الكريمة التي لا يمكن تمييزها عن الصناعة الحديثة التي نشاهدها اليوم . ولا يمكن تمييز الاجزاء التي يتألف منها الطقم الذي صنع في مصر القديمة من الطقم الذي يخرجه احدث مصنع في هذه الايام تناسقاً وتنسيقاً ودقة . كذلك لا تختلف الاجزاء الجلدية من السرج القديم عن السرج الحديث . فالقرطسة والسروج والركابات واللجم لم تتغير منذ القدم . وكانت للجواد مكانة عزيزة لدى سيده . فاذا فارق السيد الحياة زين جواده بأحلى اطقمه واقتيد الى مدفن مولاه ليلحق به يدفن في غرفة ملاصقة للقبر . وكانت الجياد تدلل بالنواقيس النحاسية الصغيرة والخرز الملون والعقود الجميلة على الاسلوب الذي تدلل بها جياد اليوم

المراجع

١ — تاريخ مصر للعلامة برستيد وترجمة الدكتور حسن بك كمال

2 — Manners and Customs of the Ancient Egyptians by "Wilkinson" 3 Vols

3 — Life in Ancient Egypt by "Erman"

4 — Die Bewaffnung des alt agyptischen Heeres. by Wolf.

البنفسج

قد التحفت اوراقها وتطأمنت ... على نفسها في رقة وتواضع
مكحلة الاجفان يقضي حياؤها ... عليها بإغضاء اللحاظ الخواشع
فتكسرها في غمزة ثبتت بها ... محيرة في ناظر غير دامع
وتثني من الاشفاق جيداً منعماً ... يميل بإطراق الحيي المانع
فيطمعنا فيها اريجُ عفافها ... وربَّ عفافٍ كان أغوى لطامع
مجاورة تربّاً غاها ولم تزل ... تحنُّ اليه وهو قيد اصابع
كأن لها ذكر الجميل فريضةً ... تردّدها في صمتها المتتابع
لدن باسقات الدوح ترفع هامها ... مولية عنه الى كل راقع
وهل كبرياء الدوح تعدل نظرة ... لمعصومة في ثوبها المتواضع
بنفسجة قد أسكرت كلَّ ناشقٍ ... كما بهرت باللطف كل مطالع
منمنمة في الروض قامت حسيمةً ... بمكحول جفنيها طرازَ الوشائع
محببة ان زيّنت صدرَ حاملٍ ... حمت ذوقهُ من صارخ اللون فاقع
كأنَّ بها في معرض الزهو خجلةً ... ترد طموح الثائر المتدافع
ضحية طهر في الزمان وزوقٍ ... تزيد بها نوراً على كل ساطع

***

أيا رمز نفسي في الحياة محبةً ... تحاكي هتافَ النائحات السواجع
اردّدها في لامع اليأس كاظماً ... على غلّةٍ تذكي حنايا الاضالع
لسرك كم سامي الذرى كشفت له ... ذراهُ صبوباً كنَّ حليةَ واضع
وكم وادعٍ في لطفهِ متطاهرٍ ... على نفسهِ أعلتهُ رقّةُ وادع
وأكثر هذا الناس زهرٌ بلا شذا ... ومرأى بلا لونٍ ووقرٌ مسامع
هناك كنوزٌ لا تباح لهم ولا ... يقودُ اليها فضلُ شافٍ وشافع
غنيٌّ منهم في العمر تشعرهم به ... وإن بقيت مغمورة نفسُ قانع

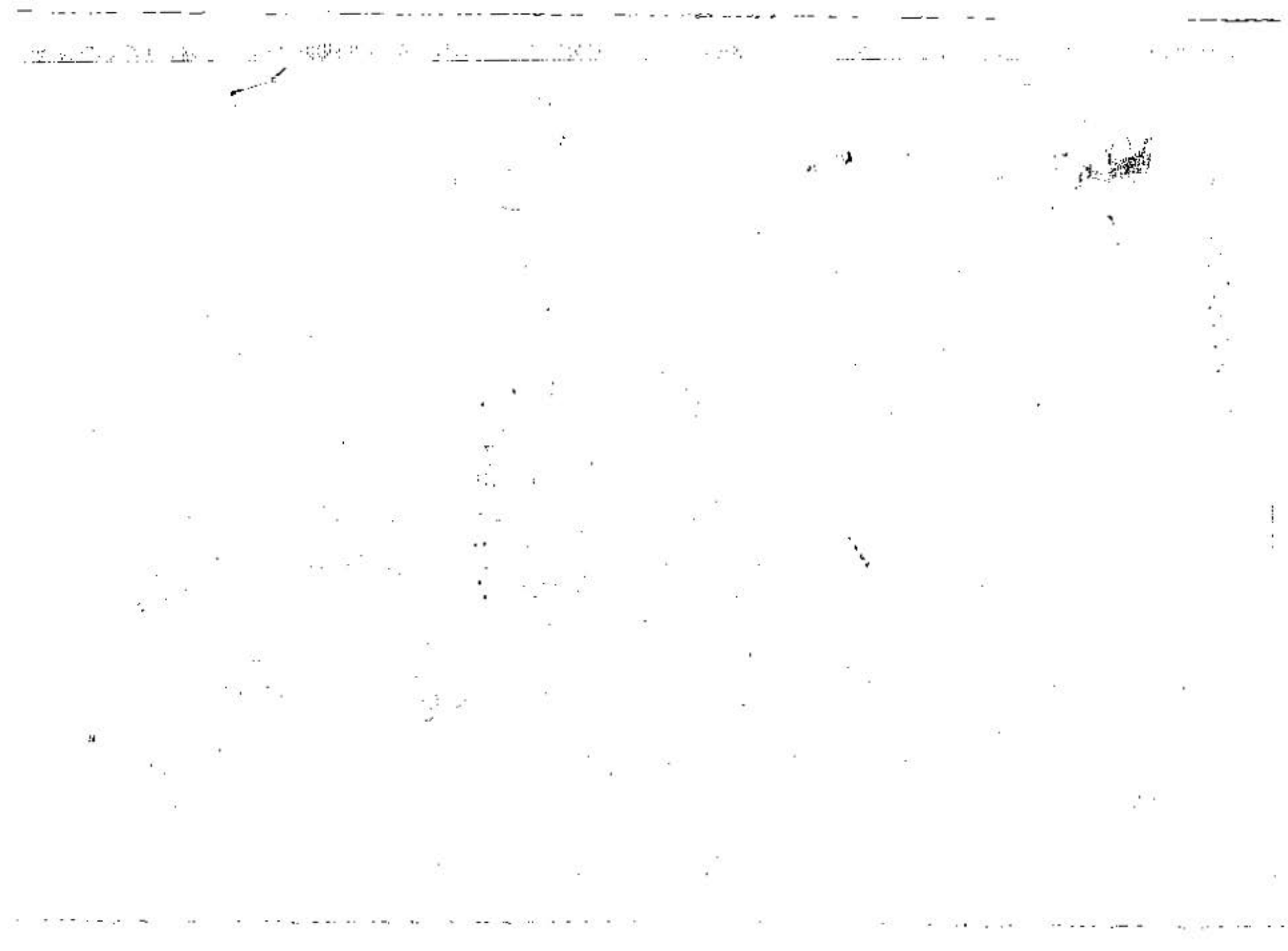

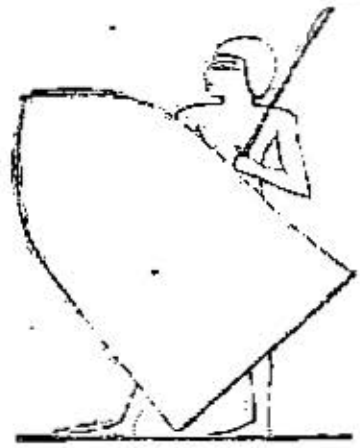

صورة تمثل الفرع السكيثي

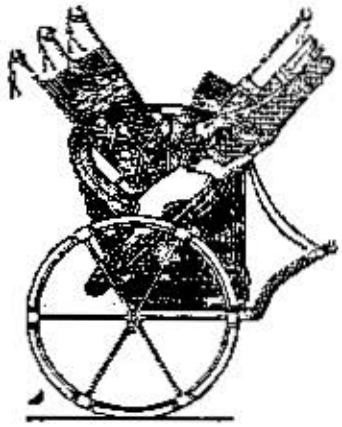

منظر ثاني للمركبة الحربية

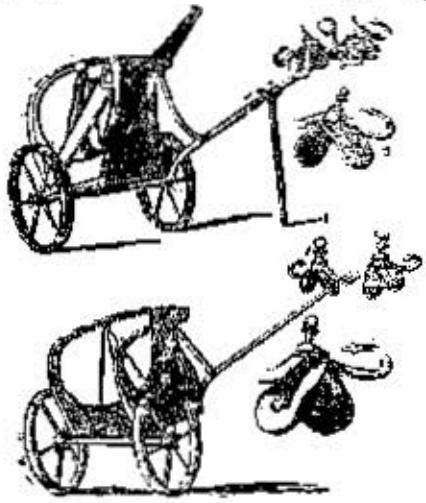

منظر عام للمركبة الحربية «وأطقم» الجياد

صورة تمثل الاستعداد لاطلاق السهم وهن اسهم اضافية

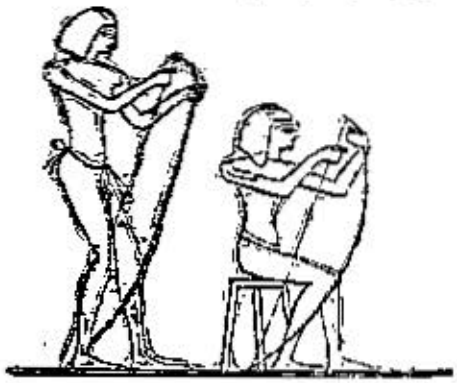

طريقة شد القوس

سطور زرق

رعشة البحر ووجهه وحديثه واصواته

لرامي الراعي

وقفت امام البحر اسأل عن رعشته واحلّل معانيها

لماذا يرتعش البحر ؟؟

أهو يرى نفسه على رحابته وعظمته سجيناً في مكان رُسم لهُ في الارض لا يستطيع ان يفلت من قضبانه ليهجم على اليابسة عدوّته الازلية ويغمرها فيرتعش رعشةَ الاسد السجين الذي يرى امامه فطعاناً يمكنهُ ان يفترسها ولكن الحديد يقف بينهُ وبين مطامعه ، رعشة القوي الشاعر بقوته ولكنهُ لا يستطيع ان يمارسها . .

ام هو يشعر بجريمته عندما يمرّ على بقايا الابطال من غرقاه فيرتعش رعشة الخاطىء الذي حالف الموت فاعطاه في اعماق الماء مكاناً يلقي فيها بعض الخلائق التي حصدتها مناجله وضاقت بها الاضرحة ...

ام هو يضنّ بدرره المستقرة في قلبه ويخاف عليها من حيتانه فيرتعش رعشة الغني امام الايدي الجريئة التي تمتد حول خزائنه الغاصة بذهبها الموفور الدفين ...

ام هو نبيٌّ يرى كل يوم بعين النبوّة يومه الاخير الذي يسدل قيمٌ على روايته ستارها الازرق ويعود الى اليابسة فيرتعش رعشة الحيّ المتشبّث بيومه الخائف من غده ...

ام هو شاعر عبقري روحاني نوراني خلق ليعيش في عالمه الخاص بين افكاره واحلامه وعواطفه بعيداً عن الانسان والانسانية قريباً من نفسه ومن خالقه وليكون جزيرة بارزة مستقلة عن التراب وابنائه في بحر الوجود ، يرى نفسه مُلكاً لسواهُ وساحة عامة يطأها كل عابر وصدراً مفتوح الرئتين والقلب والضلوع تشقّه السفن والدارجات والطرادات والنسّافات على مختلف اسمائها والوانها وتنفث فيه دخانها وتصيح صيحاتها وتلقي مراسيها فيرتعش رعشة العبقرية التي أقامت لنفسها المآكل العاجية فاستباح حماها واسودّ عاجها ؛ رعشة الشاعرية التي سُدلت الستائر على آلهتها فمزّقها الايدي النفاسية الاثيمة ...

ام هو يرى في مائهِ تلك الدموع التي التقطها من العيون الباكية وانهُ من اجل ذلك يجسّم البأس وان كل كثيب يصبّ فيه ثمالة كأسه وانهُ مجموعة الثالات في كأس واحدة ومجموعة الدموع في عين واحدة فترتعش فيهِ الوهية الالم التي اتخذته لها معبداً . . .

ام هو يحدق بالهّهِ « نبتون » ويؤمن بانهُ الله الآلهة فيرتعش رعشة العبادة والايمان . . .

ام هو بين موجتـه المجنونة وغايته المجهولة رجل اضاع عقلهُ فارتعش رعشة المجنون . . .

ام هو يرى الزبد في موجته خمرة في فمه فيرتعش رعشة الثمل . . .

ام هو المرأة المرأة ذات العينين الوقاوين والقامة التي هي اطول من قامات النساء جميعهنّ مندغمات في قامة واحدة ، يراها « كوبيد » اله الحب منتهى حبّه واطار خياله فيمسح بثوبها الازرق دم كل سهم من سهامه بعد ان يرمي بها العشاق فترتعش الرعشة الكبرى ، رعشة الرعشات ، الرعشة التي يرى فيها كل جميل حبه وكل جميلة وجهها الساحر وقلبها الخفاق . . .

لا أدري لماذا يرتعش البحر ولا هو يدري ، هو البحر ومع ذلك فهو لا يعرف نفسه ولعله لا يعرف نفسهُ لانهُ البحر . . .

ان رعشته هي سرّه ، سر قوته ، سر الهّته ، هي عينه الناظرة واذنه السامعة وفمه الناطق ، هي روحه بل هي كل شيء فيه وهو يجهلها لان عظمته تمادت وبعده علا الى حيث لا يراها . . . ومن بلايا الانسانية ان صغيرها وكبيرها يجهلان نفسيهما فالصغير لا يرى في صغره لنفسه وجهاً والكبير يرى نفسه في كبره والناس خياله على صور وألوان عديدة يضيع بينها فلا يدري ايها يختار . . .

البحر مرآة رأيت فيها وجوهاً لم أرها في مرآة ورأيت هذه الوجوه تواكبها ذكريات بعيدة

رأيت أبانا القديم نوح يختال بفلكه على اليمّ وعلى دؤوس الغرق ثم يستقر على سفح جبل ارارات فسألت نفسي : أين امتنى نوح تلك المزايا الفريدة التي اصطفاه من اجلها الله فأغرق الخلائق وابقاه حيًّا ، سألت هذا السؤال لكي أنسج على منوال ذاك الرجل

البار العظيم فأنال حظوة في عيني الرب عند ما تطفح الكيل ويبلغ سيل الخطايا رب الخليقة فتُغمر الخليقة بطوفان آخر . . .

ورأيت فوق القرون وثبة هائلة رمتني تحت اقدام المسيح فرأيته يمشي على المياه وحييته باسم الوداعة والتقى والحلم والصبر والالم والاستشهاد والرحمة والعدل والحكمة وفتحت كتاب التضحية واخذت اقرأ سير الشهداء وتحيلت على كل موجة صليباً ...

ورأيت الفراعنة يتتبعون آثار موسى السائر الى ارض ميعاده فتغرق جيوشهم وخيولهم وأعلامهم فقلت : أين هم الظلام المستبدون يرون دماء ضحاياهم في هذا البحر الاحمر وهل يشعرون ان لكل منهم بحره الاحمر يغرقه باسم الضعيف المظلوم وباسم الحرية المسجونة . . . .

وسمعت اصواتاً طنّانة سخّابة متناقضة تخرج من اعماق البحر فتتجاوب اصداؤها في اودية كياني ، وللبحر كلماته وقاموسه ولغته واحساسه وخواطره . . .

سمعت صوتاً يقول لي : انظر اليّ كيف تتلاقى في ساحتي جميع قوات الارض والسماء كأنها على موعد في بيتي وكيف تشق عبابي السفينة ويلعب باحشائي الغوّاص وكيف يرتد عني الطرف وهو كليل ، انظر وكن مثلي صبوراً رحب الصدر بعيد المطامح واسع الخيال . . . .

وسمعت صوتاً آخر يقول :

صارع صخورك كموجاتي فالحياة جهاد مستديم وأنا عنوان هذا الجهاد ، كن مثلي وثّاباً دائماً وأبداً واذا استرحت من وثبة الامس فلتكن راحتك تأهباً لوثبة الغد . .

وقال صوت ثالث :

أنا مع عظمتي ورحابتي رجل اسير تقيّده شواطئه التي لايستطيع ان يجاوزها فاذكر دائماً وابداً انك مهما علوت وعظمت وشمخت وحملت الصواجلة وركبت العروش لا تستطيع ان تكون حرّاً ، واذكر دائماً وابداً ان الغاية من الحياة انما هي السعي طيلة ايامك ولياليك المعدودة فلتتملص من ربقة الشاطىء الذي يقف في طريق نفسك الطامحة فيمنعها من ان تنبسط بكليتها وتتجلّى بكل ما فيها من انوار ونيران فتحقّق جميع احلامها وتسكب جميع خمورها في كأس الخليقة . . .

وقال لي صوت رابع :

انا رجل وادع ثائر ، عاقل مجنون ترائي يوماً ليّن الملمس كالحرير مصقولاً كالمرآة ويوماً فاغراً فاه فيه نيوب الليوث وباسطاً يداً تحمل اشدّ البراثن فتكاً فكان رأسي يحمل وجهين وجه الحياة ووجه الموت فكن مثلي حكيماً وافرق بين نداك وسيفك فلا تضع احداهما مكان الآخر . . .

وارتفع صوت خامس يقول :

ايها المشرف على عالمنا المتفرس في حياتنا البحرية انظر اليّ انا السمكة الصغيرة تبتلعني السمكة الكبيرة لانها القوة ولانني الضعف ، واليك اشكوها ايها الانسان فهل لك ان تحوّل بطشها عني وتضع في قلبها شيئاً من الرحمة والحنان ، فقلت لها : ايتها المستجيرة بي ، ان ما بك في الماء هو ما بنا على الشاطىء ، نحن اسماك الارض يأكل كبيرنا صغيرنا ويقتل قويّنا ضعيفنا فسيف القوة مصلت في البرّ والبحر وكأن الاقوياء فيهما يؤلفون عصبة واحدة ويتنادون فكلما ربح الظلم فريسة في بطن الماء ربح مثلها على سطح الارض — الظلم يا سمكتي الصغيرة قديم والظلم في كل مكان فلا تحسدي ابناء الارض ولا تحسبي انك اذا خرجتِ من الماء افلتّ من قبضة الاقوياء ...

ودُرتُ حول البحر اسأله : هل هناك ما يشبهك في الارض فتى رأسهُ متواضعاً وقال نعم : تشبهني الصحارى ولكنها بحور جامدة والليالي ولكنها بحور سود . .

وسألتهُ : كيف انت والافق فقال : نحن شقيقان لفظتنا احشاء امرأة واحدة هي الطبيعة والصلات التي تجمعنا عديدة فلونا واحد هو الزرقة وجيوشنا لا تعدّ ولا تحصى فللافق نجومه ولي موجاتي ، وكلانا رمز العظمة واللانهاية ولكل منا وجههُ الغضوب فللافق صاعقته التي يعطس بها ناقه ولي بركاني الثائر على شاطئي ، وفي قلبينا تستقر الدرر ...

وسألتهُ : كيف انت والعباد فقال بلهجة الفائز : انني آخذ اكثر مما اعطي ، ان غرقاي الذين اغتمهم اوفر عدداً من الاسماك التي يقتنصونها مني ...

وسألته هل انت رجل عصاميّ ايها البحر فاجابني متأسفاً : ان عيبي الوحيد هو انني استمير مجدي وقوتي من سواي فلولا تلك الينابيع والانهار والجداول لم اكن ، انها نمت فيّ لأحيا وتصبّ فيّ كنوزها لأصبح مثرياً ، انها تعطيني حينما لا تجبّر وتضع في صدري الواحد الملايين من القلوب ليظلّ نابضاً الى الابد ، انا كالقمر يستمير

نوره من الشمس ولولاها لم يكن القمر ، انا البحر ولكنني رجل مدين لا استطيع ان انطح السحاب بانفي الجبّار ...

وسألتهُ عن البخار لماذا ينفثهُ فه فبدت على وجهه الراحة وقال : انفثه ليؤلفهُ الافق غماماً ويسكبهُ ماء فيحيي ما يبس في الارض ، انا ابن الحنان ، انا ابن التضامن ، لقنتني امثولته القوى التي تضافرت فولدتني ...

وسألتهُ هل للشعر مكان فيك فاجاب : شاعريتي هي في رعشتي وصور خيالي المتوالية المتعاقبة في هذه الموجات المتعاقبة المتوالية ...

وسألتهُ : كيف انت والظما ايها البحر فقال بين الحسرة والدهشة : انا بين ظمأين ظمأي وظمأ الناس فلا في يشرب مائي ولا يرتوي من يشرب مني ...

وسألتهُ عن البراكين التي يثيرها على بعض شواطئه بقوته الدافعة فأجاب : عند ما اغضب الغضبة الكبرى وتعجز الموجة عن ان تسمها اطلق بركاني ومن عجائبي انني اخرج النار من مائي ...

وسألته : كيف انت والجبل فقال : الجبل ضيق وانا فسيح ، الجبل مقطب الجبين وانا طلق المحيا ، الجبل صخرة وأنا رعشة ، الجبل عقل صارم وارادة باطشة وأنا قلب خفاق وشعور صارخ ، واذا كان للجبل عقبانهُ على قمته فلي كنوزي في اعماقي ...

وسألته عن الغزاة الفاتحين فقال :

ان لهم بحورهم ولكنها من دمائه وأنا خير منهم فانك لا ترى على جبيني طابع الجريمة .....

وعن الفلاسفة فقال : أنا في كل كرة من كرات شكهم ويقينهم ، انهم يموتون صرعى بين امواجهم التي تغمر كيانهم ...

وعن المنتحرين فقال : انهم يؤرّون موجتي الصارخة على التراب الصامت

وسألته عن هؤلاء العراة الذين يستحمون فيه فهزّ رأسه وقال :

ان مذهب العري ينتشر في العالم ولكن العريان الذي تريده ليس هذا الذي ينزع ثيابه ويستسلم اليّ ليزداد وزنه ولتقوى معدته واعصابه وانما العريان الحقيقي الذي تنشده هو ذاك الذي ينزع عنه اطمار تقاليده واوهامه التي حملته اياها القرون السالفة فتبدو نفسه حرة جريئة طليقة من قيود الجهل والذل

وسألتهُ : كيف انت والموت فقال : نحن لسانان في فم واحد يوم نغضب

وسألته كيف انت والخيانات فقال : اني اعرفها فكم من عقيدة طرحها في ساحبها ولم يسأل عن غده . . .

وسألته : من هم أعداؤك الالداء فقال : القناعة والبخل والكآبة والعقم . . .

وسألته عن الاحلام فقال : ان نصفها يتلاشى في طيّاتي . . .

وسألته عن الابعاد فقال : انها موجات في بحر الخلود . .

وتماديت في الاسئلة حتى خشيت ان يسمّموني البحر فتتلقّفني يد من ايادية ولكنني قبل ان تركت الشاطىء وعدت الى صلابة الارض سجدت امام « فيتون » وصليت صلاتي الورقاء فقلت :

يارب الماء

ضع من قلبك في قلبي فتتّسع دائرته ويغزر دمه ، واضرب بموجاتك الصخور القائمة في طريق خيالي واحلامي

غذّ ارادتي لأحطم كآبتي وضعفي ، وارفعني الى مستواك لأبسط كتابي في العالمين . .

انزع مني الجداول والانهار والبحيرات والسواقي واجعلني بحراً . .

انا من حبيبك ايها الاله فيتون ومن المعجبين برعشاتك وصيحاتك فاجعلني من اتباعك وافتح لي صدر الموجة لتضمني اليها . .

افتح عيني لتسمك كلك وافتح اذني لتسمع جميع اصواتك ...

جمّلني بالصبر والحكمة واجعل صدري رحباً ليسع الناس ولؤمهم والاقدار وظلمها

اغرق في الوجه القبيح من السابقي وابق لي وجهها الجميل وزده جمالاً . . .

أغرق صحراتي واجعلني بحراً وخذني أنت لا سواك في يومي الاخير وارحني من وطأة ذلك الحجر البارد الثقيل اللئيم أيها الكريم الرحيم . . .

بيروت راجي الراعي

الدين والثقافة الحاضرة

للدكتور عبد الرحمن شهبندر

شأن الدين : ان نظرة واحدة اجمالية في تاريخ الدين تدل على الدور العظيم الذي مثلتهُ العقائد الدينية على مسرح الحياة الاجتماعية ، ولا ادلّ على المقام الرفيع الذي يتبوأهُ الدين في قلوب الجماعات — حتى في السنين الاخيرة الطافحة بالشكوك والثورات على انواعها — من هذه الغارة الشعواء التي تشنها الحكومات اللادينية على العقائد الدينية المتأصلة في النفوس لعلها تستطيع ان تزحزحها عن مكانها . ومن المغو ان يحاول كاتب في التاريخ الحطّ من شأن العامل الديني في التطور الاجتماعي وان يقتصر على العوامل الطبيعية وحدها ، واذا وجد ما يبرّر هذا الموقف في القرن الذي نعيش فيه فلن نجد له مبرراً في القرون الخالية ، لان الدين كما قالت « المملة البريطانية » قوة دافعة من اعظم القوى ، فقد ألّفت هذه القوة الامم ومزّقتها وجمعت الامبراطوريات وفرّقتها واجازت افظع الاعمال المنكرة واوحشها وانسى العادات والحشها والهمت الخلق أنبل الافعال في البطولة والايثار والاخلاص واحدثت اهول الحروب والثورات والاضطهادات وجلبت للناس الحرية والسعادة والسلام ، وكانت في بعض الايام نصيرة الاستبداد وفي بعضها الآخر محطمة قيود الاستعباد، وكانت حيناً من الزمن اساساً متيناً لمدنية جديدة لامعة برّاقة ثم كانت للتقدم والعلم والفن خصماً عنيداً وعقبة كؤوداً

البحث العلمي والعقيدة الدينية : اننا على تمام وفاق مع « الموجز في الاجتماع » عند قوله :[1] لادخل للمباحث المتعلقة باصل الدين في المسألة الآتية وهي : هل كان ثمت وحي استطاع بفضله الانسان ان يعرف ربه ؟ فالبحث العلمي الفلسفي عن اصل الشعور الديني هو غير البحث في قولنا هل اظهر الله ارادته للخلق واطلعهم على مشيئته ؟ ويهمنا كثيراً ان نعرف ما هي الاحوال الطبيعية التي احاطت بالانسان الاول حتى زرعت في نفسه الشعور الديني وساقتهُ الى العبادة وسائر الشعائر الدينية وهنالك شبه اجماع على ان الدين ظاهرة اجتماعية تلازم الجمعية البشرية كما تلازمها الظواهر الاخرى حيثما تألف مجتمع من الافراد فمن لوازمه الاولية ظهور الاوضاع الاساسية من نظام وحكومة وادارة واقتصاد وعقيدة دينية

وقد اجاد الاستاذ ماثيوس في قوله[2] ومع كل الفروق البدهية التي تميز اديان الناس بعضها

(1) Outline of Modern Knowledge, p. 49 (2) Outline of Sociology, p. 252

عن بعض ، وما لهذه الفروق من قيم متنوعة ، فالدين شيء اكبر من اي دين خاص بعينه، وحبو يضع على بساط البحث قضايا صالحة لكل قضية نشأ عن التعاليم التي يقول بها اي مذهب من المذاهب

التعصب الديني عقبة في سبيل البحث : ولم تعالج الموضوعات الدينية بالطريقة العلمية المضبوطة الاَّ في القرن الماضي لان التعصب الديني كان عثرة في سبيل البحث والاستقراء ، يدلك على ذلك ما كان يفعله العلماء حتى اهل الاختصاص منهم عند تصنيفهم الاديان فكانوا يقسمونها الى اديان صحيحة واديان فاسدة غير مدركين ما يعد اليوم بداهة وهو ان الدين ظاهرة اجتماعية تلازم الجمعية البشرية منذ نشأتها الاولى ، وهم يقصدون بالاديان الصحيحة ما وجدوا عليه آباءهم طبعاً وكل ما خالف ذلك فهو فاسد من عمل الشيطان . (ولمكس مولر) العالم الالماني الانكليزي المشهور فصل عظيم في محاربة مثل هذا التصنيف الضيق كما حارب تصنيفاً آخر يشابهه وهو القول ان الاديان قسمان اديان سامية سماوية واديان وضعية ارضية[1]

ولم ينظر احد الى الاديان فيما اعلم نظرة رحبة صحيحة ترى اليد المحجبة وراءها تدير شؤونها وتبعث روحها مثل المتصوفة في الاسلام فقد وقف بعضهم منها موقفاً يجب ان يكون درساً بليغاً حتى للكثيرين ممن يعنون بمثل هذه الامور في اوربا واميركا في العصر الحاضر . وليت بعض السخفاء من المتحمسين الغربيين الذين يستدرون المال من ابناء دينهم « لهداية الوثنيين والمسلمين » او « لنشر النور بين العميان » يفهمون من غربهم فيقرأوا على ضوء الحقائق التي قرّرها علماء (الدين المقارن) ما قاله ابن العربي وقد توفي سنة ٦٣٨ في قصيدته التي طالما استشهدنا بها على سموّ الشعور الديني عند العرب وجعلناها عنواناً لا للتعصب فقط بل له وللعقيدة والمبدأ ايضاً ، ذلك ان ابن العربي كان من القائلين بوحدة الاديان ويرى جميع المتدينين يعبدون الاله الواحد المتجلي في صورهم وصور جميع المعبودات والقصيدة هي :

لقد كنت قبل اليوم انكر صاحبي اذا لم يكن ديني الى دينه دانِ
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لاوثان وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب انى توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني

وابن العربي هذا لا حاجة به الى من يذكره من المتشددين الثقيلي الوطأة بأن هنالك في بعض الاديان المنحطة من الممارسات والاعمال المنكرة ما لا يجوز ان يتسع لها قلبه او يطمئن اليها لبه، فهذا كله كان معلوماً عنده الاَّ انه كان في موقفه المستجد اسمى من ان يفوته المعنى العظيم المتجلي الشامل بانصرافه الى الجزئيات الموضعية الخاصة . واذا كان الكون في نفسه الحساسة الصافية اشبه

(١) Lectures on the Science of Religion p. p. 123–143

بقطعة شعرية نفيسة منسجمة فصراع واحد ممزوج او بيت واحد قاعد لايحول دون تمتعه بالقصيدة كلها كاملة واعجابه بالفنان المبدع الذي اجاد نظمها واحكم قوافيها ووزنها

وخذ مثالاً آخر على هذه الروح السمحة الرفيعة ما قاله ابن الفارض الحموي المصري المتوفى سنة ٦٣٢ هجرية في تائيته الكبرى :

وان نار بالقرآن محراب مسجد فما بار بالانجيل هيكل بيعة
وان عبد النار المجوس وما انطفت كما جاء في الاخبار في الف حجة
فما قصدوا غيري وان كان قصدهم سواي وان لم يظهروا عقد نية
فلا عبث والخلق لم يخلقوا سدى وان لم تكن افعالهم بالسديدة

ولا اعرف احداً من المتقدمين قارب هذه المعاني — وان لم يبلغ شأوها — سوى الانبياء المؤيدين من الهنود فقد صاحوا في زمنهم « ان الناس ليدعونه — « اي ليدعون الله » — اندرا او مترا او فارونا او اغني وان الحكماء ليطلقون عليه الاسماء المتنوعة، اما هو فليس الا واحداً في جميعها»

وسوى (مكسيموس المادوري) لما قال لاغسطين في نحو سنة ٣٩٠ « ان هنالك الهاً واحداً عليا ليس له ولد وهو الله القدير ابو الجميع، وان قوى هذه الآلهة التي عمت الخلائق — يشير الى الآلهة الجديدة التي انتشرت في الامبراطورية الرومانية بدخول المؤمنين بها تحت طاعة الرومانيين — هي ما تتجه اليه بالعبادة تحت اسماء مختلفة بالنظر الى جهلنا اسمهُ الحقيقي ، فيحدث اننا اذ نتقرب بعبادتنا ونحن منفردون من بعض اجزاء الوجود الالهي نجد اننا انما نعبد من كانت فيه هذه الاشياء جميعها وحدة كاملة »

ومن خير من عرفنا ممن يمثلون هذا الاتجاه البعيد الغور في الأعصر الحاضرة رئيس اعظم مؤسسة وجدت في الشرق للتبشير خوّلها بسمته للتثقيف وهو المرحوم الدكتور هورد بلس رئيس الجامعة الاميركية في بيروت. قال لي « لقد بقيت نصرانيا ادين بالمسيحية لاعتقادي انها تحوي مثلاً ٧٥ في المئة من الحق في حين اعتقد ان الاسلامية تحوي ٧٠ في المائة فقط واما انت فقد بقيت مسلماً على مثل هذا الاساس لاعتقادك بهذه النسبة ولكن في مصلحة الاسلام ، وخمسة في السبعين هي اختلاف ضئيل في المقدار لا اختلاف في الجوهر »

وعند المستر «هربرت سبنسر» في كتابه «درس الاجتماع [1]» فصلا شيقاً في التعصب الديني وتأثير العقيدة المتوارثة العمياء في احكام الناس . قال ان الساموريين — وهم سكان جزائر «ساموا» في المحيط الهادىء — متصفون باللطف والدعة والكرم الحاتمي والرجال والنساء منهم مطبوعون على حب اولادهم ، وللشيخوخة في نظرهم حرمة ووقار ، ويأبى الواحد منهم ان يدعى خشناً قليل المعروف

(١) The Study of Sociology, 293

وتمتاز نساؤهم بالفضيلة والالفة ، ولا تعرف عندهم جريمة قتل المواليد ، ولاحظ السياح انهم يعاملون المرضى معاملة انسانية كريمة جهد طاقتهم

هذه حال الساموريين اجمالاً ، فلننظر ما يقال عن جيرانهم «الفيجيين» اكلة اللحم البشري . فهؤلاء لا يكترثون لحياة الناس ويعيشون في خوف دائم بعضهم من بعض ويحسبون البرق «وهو النذر» من الشمائل الكريمة ، وليس سفك الدم في نظر الفيجي جناية بل شرفاً ، فهم يقتلون المقعدين والعجزة والمرضى ومحوتلي مواليدهم ، ومن بقي منهم حيًّا فأول درس يتلقنه ان يضرب امه ، ومن خصالهم الحث على الانتقام واثارة الغضب وقتل من كان ادنى منهم مرتبة بمجرد اهماله تأدية السلام على الاصول ، وهم يشدون العبيد بجانب القوائم التي يبنى عليها بيت مليكهم ، ويذبحون عشرة منهم او اكثر على ظهر ركوة — زورق — جديدة ينزلونها الى الماء تعميداً لها بدمائهم ، ويختنون نساء الامير وحجابه وامناءه عند موته تشريفاً لهم وتكريماً ، وعادة اكل اللحم البشري منتشرة عندهم الى حد ان اميراً من امرائهم رثى ابنه فقال في ختام رثائه انهُ لا يحجم عن قتل نسائه واكلهنَّ اذا ما اغضبنه » . وهم في بعض الاحيان يشوون فرائسهم البشرية احياء قبل ان يبتلعوهم ، وقطع (طاوا) احد امرائهم ذراع ابن عم له ولعق الدم السائل منهُ ثم طبخ هذه الذراع واكلها في حضرته وبعد ذلك قام اليهِ فزقه اربا اربا . أما آلهتهم — وقد وصفوا بأوصافهم وطبعوا على غرارهم — فكانوا يرتكبون هذه الاعمال نفسها ، لا جرم أنهم يعيشون على ارواح الفرائس التي يفترسها الناس بشيِّهم هذه الارواح على النار اولاً ، وليست هذه الارواح في الواقع الاَّ « قرائن » الفرائس او نسخة ثانية عنها

ويصف الفيجيون هذه الآلهة بأنها تماثيل متكبرة منتقمة تتحارب وتتقاتل ويأكل بعضها بعضاً ، ومن اسماء التمجيد التي يكرم بها الآله الفيجي قولهم « الزاني » و « خاطف المرأة » و « آكل الدماغ » و « القاتل »

تلك صفات الساموريين وهذه صفات الفيجيين فاسمع ما يقول هؤلاء عن اولئك

«يرتعش الفيجيون من ذكر الساموريين لانهم ليس لهم دين يدينون بهِ ولا عقيدة بآله من امثال الآلهة الفيجية يؤمنون بهِ ، وهم لا يعرفون شيئاً من تلك الشعائر الدموية المنتشرة في الجزائر الاخرى ، وفي احد الايام اظهر السائح « جكسون » شيئاً من قلة الاحترام لاحد آلهتهم فغضبوا عليهِ ولقبوه (الكافر الابيض) »

قال (سبنسر) وكل من قلب هذه الصفحات يرى الدرس البليغ المستخرج منها ، ولا نحتاج الى كبير عناء في تطبيقه على العقائد والمشاعر في الاقوام المتمدنة . ولا شك ان الرجل الفيجي الشرس يرى ان افتراسه فريسة بشرية باسم احد آلهته من اكلة اللحم البشري هو عمل مبرور في حين يرى ان جاره الساموري الذي لا يقدم قرباناً لهذه الآلهة بل يعدل في معاملته ويحسن الى اخوانهِ يدل بعمله هذا على ان الدناءة تسير وقلة دينهِ كتفاً لكتف

اما وقد فسر الفيجي الحقائق على هذا المنوال فهو عاجز عن تصور المجتمع الصاموي تصوراً صحيحاً . وهو بما احدثهُ من الخبط والخلط بين الرذائل والفضائل وفقاً لمقيدتهِ الدينية المستحكمة لا بدَّ ان يرى تغير المتولد عن بعض النظم الاجتماعية شرًّا والشر خيراً

ولا يصعب على الباحث في اي دين من الاديان متى استعرض في ذهنهِ الحوادث والاشخاص اذ يذكر بعض الذينهم في تعلقهم الديني الاعتقادي كتلاميذ الصخر وفي سيرتهم العملية الاخلاقية ليتو العريكة قليلو الاكتراث حتى ليلوح للمتتبع ان ليس ثمت ارتباط وثيق بين العقيدة والاخلاق فكان مجرد الاعتقاد بوجود قوة محجبة يتقرب اليها المؤمن بالركوع والسجود والادعية توصله الى الجنة الموعودة كما يوصل مجرد اسم (بدوح) على الغلاف الرسالة الى اصحابها

وقد أثرت عقيدة الناس بخطورة الايمان الديني وحده واتمام الشعائر والعبادات في الاصول من غير نظر الى الاعمال تأثيراً بليغاً في جميع الاوساط التي عرفناها ، وكنت اسمع في صغري من هذا القبيل مثلاً لا يزال كثير الشيوع للدلالة على قوة السيادة وحدها وهو «صل الفرض وتم بالعرض» يعني متى اديت عدداً من الركعات في يومك معيناً في الاوقات الخمسة فتم قرير العين هادىء البال

وانني لا اعد مثل هذه العقيدة الابتدائية شيئاً مستغرباً في بيئة عامة من بيئات الشرق بل العجيب ان ترسل اوربا واميركا طبقة من خريجي جامعاتها — من اكسفرد وكامبردج وهارفرد وكولومبيا — ليبشروا بالدين فيبشروا اليهِ بما يحملون من عقائد لا تختلف في جوهرها كثيراً عن عقائد الفيجيين ، فعند بعضهم مثلاً ان مجرد الايمان بالثالوث ينجي صاحبهُ وان لا دخل للاعمال في مصائر الناس ، وقرأت في منشور وزعهُ بعضهم على البدو في العراق في سنة ١٩٢٧ قولهم: «ايها الموحدون اياكم ان تتكلوا على صالح الاعمال واحذروا ان تعتقدوا انها تدخل عاملها جنة الرب المتعال . فقشعوا عن الشفيع واجتنبوا عن صفاته القدسية ترشدوا وآمنوا بالمخلص من الخطايا تهتدوا وان عسر عليكم فهم شيء فاسألوا الذين يقرأون الكتاب كما امركم بذلك القرآن يا اولي الالباب»

انني لما قرأت هذه العبارة المهينة للعمل الصالح لم املك ان قلت في نفسي ما احوج اصحاب هذا المنشور الى هدي البدو لهم لان اصغر بدوي في العراق يعلم ان دخول الجنة متوقف على العمل الصالح ولو باطعام جائع وايمان خائف . ولو اطلع كاهن بسيط من كهنة البوذية في الشرق على هذا المنشور لحمد لغوتاما بوذا مذهبه « الكرما » الرائع الذي اصبح اساساً للدين وخلاصته ان مصير المرء في أتناسخ الازلي متوقف على عمله او كما جاء في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره

اما الحملة على العبادات وحدها من غير صلاح يؤيدها فالشرق في ذلك موافق رائع قال المعري :

ما الدين صوم يذوب الصائمون له ولا صلاة ولا صوف على الجسد
وانما هو ترك الشر مطرحاً وتفضل الصدر من غل ومن حسد

وفي صحيح البخاري « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في طعامه وشرابه » وتقريع المسيح للفريسيين على تمسكهم بالقشور دون اللباب اشهر من ان يذكر

وحضرت مرة مجلساً للمرحوم عبد القادر بك المؤيد العظم فجاءه رجل يدعي حقاً عليه وأخذ يدلي بحجج منها انهُ رجل لا يؤخر الصلاة ولا يترك الصيام فأجابهُ بغضب «الصلاة عادة والصوم جلادة»

وقد بيّن الاستاذ « هوبكنس » [1] الضرر الشديد الذي قد يصيب الروح الدينية النبيلة من الاقتصار على الشعائر وغيرها من المظاهر الصورية ، ولما كان الدين ركناً ركيناً للاخلاق فكل ما يحدث فيهِ ضرراً يتناولها بالضرر ايضاً ويعرضها للخطر . وقد ذكر المؤلف من القصص النادرة في هذا الموضوع انهُ رأى في احد الايام امرأة تصلي في احدى الكنائس اللاتينية وبيدها سبحة لتلاوة الاوراد فركعت بجانبها امرأة غريبة تدل مظاهرها على الثروة والغنى فلاحت من صاحبتنا التفاتة فرأت طرف منديل يخرج من جيب الغنية عرضاً واتفاقاً فاغتنمت هذه الفرصة السانحة وتناولته لانها لم تستطع مقاومة هذه المحنة في نفسها ، واعتقد الاستاذ (هوبكنس) انها لم تأت الكنيسة للسرقة بل دلّته ملاحظتها على اخلاصها في عبادتها . وبعدما اتمت سرقتها جدّدت صلاتها بنشاط وحماسة اشد من قبل كأنها شعرت بالشكر والامتنان على ما اصابته من نجاح . وغني عن البيان ان مثل هذه الصلاة كانت عملاً صوريًّا من اعمال الشعائر . ويقال ان الرجل من سكان جزيرة صقلية يطعن بالمدية قابضاً عليها باليد الواحدة في حين يقبض على الصليب او الاثر المقدس باليد الاخرى فدينه كما ترى دين الشعائر . وفي شمال الهند طائفة تدعى طائفة (التوجيين) مؤلفة من اخوان يعبدون الهاً يسمى (كالي) ومن عادتهم الدينية المقدسة انهم يخنقون الفرائس البشرية تقرباً لالههم وتعبداً وكانوا يحصلون على معاشهم من الاسلاب التي تأتيهم بهذه الطريقة وقد استعروا في شعائرهم الدموية المقدسة هذه الى ان الغتها الحكومة البريطانية حوالي سنة ١٨٤٠

وفي الحملة الحديثة الوهابية التي شنت الغارة على شرق الاردن منذ نحو عشر سنوات هجم بدوي من الغطغط في جملة من هجموا على قرية تدعى « أم العمد » ليجاهد في سبيل الله أعداء الدين من المرتدين الذين يجوزون زيارة القبور وطلب الشفاعة من أصحابها ، فرأى امرأة في حجرها ابنها فنادت تستغيث وتطلب الامان ولكن لا أمان للمرتد فذبح الطفل اولاً ثم ذبحها وهو يهلل ويكبر وينشد النشيد المعروف

هبّت هبوب الجنة رائح فين يا باغيها

(١) Origin & Evolution of Religion, p. 270

وكثيراً ما ناقضت بعض الاديان الاخلاق على هذا النمط فملايين « مليئة » ذهبت ضحايا الآلهة وفرائس العبادات. والاغواء كان جزءا من العقائد الدينية في الهند وهو مع الاسف لا يزال كذلك الى اليوم ، وأخرت اديان اخرى الاخلاق بطرق اكثر حذاقة واشد مهارة فان ادعياء خدمة الدين المتصدرين للكلام بلسانه قد تمسكوا بالقواعد الاخلاقية الهرمة البالية وشووا المتهمين بالزندقة على النار في حفلات عامة يخيم عليها التبجيل والوقار وذلك عملاً بالامر النبي الذي يحرم سفك الدماء ! وقاوموا الافكار الحرة بحرقهم الكتب الاخلاقية والفلسفية التي تنافي العقائد الاخلاقية والسياسية الجامدة المقلدة . وتؤيد في يومنا هذا الاباحية وهي الحب الطليق بين الذكر والانثى تأييداً علنيًّا باسم دين لهُ مئات الملايين من الاتباع فقد جاء في كتاب « رقص شيفا » المطبوع في نيويورك سنة ١٩١٨ — وشيفا هذا هو الاصلاح في الثالوث الهندوكي — قوله عن هذه الاباحية « ان لها معنى روحيًّا عميقاً فهي تمثل الاتحاد العلوي بين المتناهي واللامتناهي »

وعرفت رجلاً من سلك القضاة الشرعيين في سورية توفي منذ سنوات فكان لا يترك صلاة في الضحى ولا صوماً في عاشوراء ولا مالاً ليتيم في المحكمة الشرعية ! ولم يدر في خلده ابداً ان الصلاة يجب ان تنهى عن الفحشاء والمنكر لتكون صلاة صحيحة

***

تعريف الدين : الدين عقيدة داخلية تدل عليها الطريقة التعبدية الخاصة التي تسلكها الجماعات نحو آلهتها وفقاً لتلك العقيدة . وفي امهات المعاجم العلمية ان الدين هو المظهر الخارجي في الشكل او في الفعل الذي يدل الناس بواسطته على اقرارهم بوجود اله واحد او آلهة متعددين لهم سلطة على مصير هؤلاء الناس ولهم واجب الطاعة والعبادة والحرمة اللائقة . او هو شعور داخلي واعراب خارجي عن حب وخوف ورهبة من قوة مسيطرة خارقة فوق البشر ، ويتم هذا الاعراب بالاقرار بالعقيدة او بالقيام بالشعائر او بالسيرة الشخصية التي يسيرها المرء في حياته

وقد دلّ التتبع الدقيق ولا سيما في الاقوام الابتدائية على ان الدين عقيدةً وعملاً انما هو سعي للاحتفاظ بما ثبتت منفعته اجتماعيًّا . ويضرب العلماء[1] المثل على ذلك بالشعائر التي يقوم بها (التوديون) وهم جيل من الناس الابتدائيين يسكنون في آكام « نلجيري » في جنوب الهند وعددهم قليل سبعمئة هنا وهناك ويؤلف لبن الجاموس والبقر وما يستخرج منهُ من المحصول جلّ طعامهم . اما دينهم فيرتكز على هذا الرزق الذي هو ركن معيشتهم وهو الشيء القيم الثمين الذي يهمهم الاحتفاظ بهِ في الدرجة الاولى . فالواجب ان يكون اللبن غزيراً ونقيًّا لذلك كان جميع متعلقاته من بقر وملابن وليانين ومحالب « وهي ادوات العمل في الالبان » مقدساً ، وان بعض الملابن

(١) A Student's Philosophy of Religion, p. 19

هي في الواقع معابد يؤمها الناس للعبادة والملابون القائمون على صدانتها هم كهنة

ويتناوب البقر في تقديسه ، فهنالك البقر العادي يسوسه رجال القرية وصبيانها بالشيء القليل من الاحتفالات ، فيؤخذ اللبن ويمخض أمام كوخ السكين من غير شعائر خاصة تقام له ولا قيود يقيد بها استعماله أو المحصول الناتج منه . على ان الرجال والصبيان يحيون الشمس قبل مباشرتهم البقر وهكذا نرى استخدام الدين للاحتفاظ بهذا الخير الثمين محدوداً . وبخلاف ذلك البقر المقدس والملابن المقدسة فهي تحاط بالشيء الكثير من الرعاية الدينية ، فللعناية بملابن « ألْتي » مثلاً وهي أكثر الملابن شعائر ومناسك يقوم الباني باحتفالات دقيقة محكمة قبل دخول محل عمله المقدس وعليه ان يبقى متبتلاً ما دام في هذا العمل ، وان يعيش في ملبنته منقطعاً عن الناس انقطاع الراهب في الدير

وعلى الكاهن في كثير من الملابن المقدسة ان يتلو صلاة معينة عند ما يشعل مصباحه وذلك قبل مباشرته البقر في الفجر وبعد حلبها ، وقبل سوقها الى المرعى ، وعليه في جميع هذه الملابن ان يتلو الصلاة في المساء قبل الحلب وبعده وعند ما يزرب البقر للمبيت ليلاً . وتتألف صلاة « التوديين » من جزئين اثنين « الاول » المقدسة وهي عبارة عن سرد اسماء كل اسم منها تسبقه كلمة معناها « لاجل » و(الثاني) الجزء الجوهري . اما المقدسة فهي مقدسة ويجب ان تبقى سرية حتى ان الذين عنوا بتدوين خبر (التوديين) لقوا صعاباً جمة في حملهم على ذكرها . وهي في احدى الملابن المعروفة في قرية « كودو » تشمل فيما تشمله الاسماء الآتية وهي اسم القرية والقبيلة والملبنتين الكبيرة والصغيرة والمصباح في الملبنة الاولى ، وزريبتي الجواميس في القرية وحظيرة العجول ، واسم الجواميس على نوعيها المقدسة والاعتيادية واسم الينبوع في القرية المختص بالملبنة واسم الجاموسة التي يزعمون ان لبنها مصدر هذا الينبوع ، واسم التلال الاربع القريبة من القرية ، واسماء بعض الجواميس التي يعتقدون ان الالهة « تيكرزي » اهدتها في بعض الايام للقبيلة ، واسم العجل الذي كان بحسب اساطير القوم وخرافاتهم السلف الصالح لبعض الجواميس الحاضرة

وبعد ان يردد كاهن الملبنة هذه المقدمة همساً بصوت ضعيف لا يكاد يفسره من يقف بجانبه ينتقل الى الجزء الجوهري من صلاته فيتلوه بجلبة وخشخشة قائلاً : « لتكن حال الجواميس حسنة وليبتعد عنها الاذى والهلاك وشر الحيوانات السامة والوحوش البرية واضرار الفيضان والنيران وليكن عندها بحبوحة في الماء والكلأ »

***

افلا تدل مثل هذه الصلاة على انها سعي جدي للاحتفاظ بخير اجتماعي عميم له شأن عند القبيلة من المقام الاول

[البحث صلة]

ما بين

الذهن الالماني والذهن الفرنسي

للدكتور بشر فارس

ان ثمة عبارة دارت على الاقلام وخلصت الى الاسماع حتى أشربت العقول اياها واطمأنت اليها ، ألا وهي قولهم «المنهج الاوربي» La méthode européenne ، عند الكلام على الطرق العلمية فيما يتعلق بالبحث والتنقيب والتأليف . وبعيدٌ ان ينصرف حديثي هنا الى شرح نشأة هذا المنهج وبسط خصائصه . فانما هذا يرجع الى فن المنطق العلمي ثم الى تاريخ الفلسفة ، وقبيح بي ان اطارح قرّاء المقتطف مثل ذاك الحديث فما أظنهم الاّ ولهم عنه غنىً . وانما الموضوع الذي أحب ان اعالجهُ من الفرعيات ، ألا وهو الفرق بين المنهج الالماني والمنهج الفرنسي فيما يختص بالعلوم العقلية ، والذي استدرجني الى معالجة هذا الموضوع اني حصلت الفلسفة وما يلحق بها على أساتذة جامعة باريس ثم اتفق لي أن اشخص الى برلين فاجتمعت بطائفة من علماء الالمان وسمعت عليهم ووقفت على صياغة تآليفهم . فسرعان ما فطنت الى ان بين هؤلاء واولئك وجوهاً من الفرق

ان الكاتب الفرنسي الى الادب ميال ، وان كان عالماً . فتجده يعنى بالمبنى فيحاول ان يقلب العبارة عذبة المدخل الى السمع لطيفة المنفذ الى النفس ، وذلك بأن الفرنسي يقيم للذوق الادبي وزناً عظيماً ، ومن شواهد ذلك ان امثال (تين) Taine و (رينان) Renan و (برجسون) Bergson لهذا العهد من أبعد الكتّاب ذهاباً في تهذيب اللفظ وإحكام السبك . ثم ان العالم الفرنسي لا يحاول ان يكون بحراً فيأبى — على الغالب — ان يجمع الاشتات ويستقصي الاطراف ، بل ربما مال عن الاحاطة بالاصول كلها . فهو خطّاف علوم[1] ، يساعده على ذلك ادراك وثّاب وفطنة متقدة . فان استقامت له بضاعة علمية انطوى على نفسه وجعل يفكّر ، فان ألّف برزت آثار تفكيره فوق آثار علمه : فالمصادر والوقائع عنده وسيلة ، وانما الغاية الخروج بنتيجة سواء كانت حقيقية او نظرية . ثم ان العالم الفرنسي قصير الصبر بحيث انهُ لا ينجذب الى التقصي البعيد والتفتيش المضني نحو اثبات كتب فن من الفنون

وأما العالم الالماني فمن أبعد الكتّاب عن الادب . ولتجدنّ عبارته جامدة ، بل خشنة المطاوي

---

(١) أريد بالخطف الاخذ السريع دون تعريض ولا تلميح

سائلة من مذاهب السلامة . ومن المعلوم ان اللغة الالمانية عربية التركيب بل زائغة عن المنطق اللغوي فيها لوى ، وهنالك علماء يزيدون في تعقيد مبانيها بما حسنوا لهم بالاسلوب القديم المنحدر قليلاً او كثيراً من جانب اللاتينية . ثم ان العالم الالماني يتعرّف العلم رهمه ان يردّ ذهنهُ موسوعة: فان اقبل على المشرقيات وسلطه اللغة العربية تعلم جميع اللغات السامية ثم التركية والفارسية ، وفي نيّته ان يسبر البحث فيها جميعاً والتنظير بينها . وبعيد ان يكبر الرجل كاذب العزم في ذلك فهو يتشبث بالاصول كمثل قواعد اللغة ومناحي التاريخ ، الاّ انهُ لا يكاد يصيب مخلصاً الى نفسه فيخلو بها، ذلك لانهُ اسير العلم وصريع الوقائع : فان ألّف توارى خلف معارفه ، وان اجترأ على بث رأي فكأنهُ يخلف ليدّعمهُ بوثائق لا سبيل عليه لآخذ . ثم ان العالم الالماني غوّاص على النوادر ، نقاب عن الدقائق ، ومن الامثلة على ذلك اني قرأت بحثاً للاستاذ « فشر » Fischer بـ — وهو من اعضاء المجمع العربي الملكي المصري — في رسم اسم « امرىء القيس » ، فوقع البحث في مائة صفحة او تزيد، وفي النتائج من الشواذ والاشتات ما لا يدور للذهن ، وما اظن احداً يقوى على ان يخرج شيئاً في هذا الباب بعد ذلك المقال . ومما يعين العالم الالماني على ذلك الجهد جلد متين العرى . فقد عرفت علماء يجلسون الى مكاتبهم اربع عشرة ساعة بل ست عشرة ساعة، وذلك كل يوم الاّ في النادر . وانك لتلمس هذه العناية بالتدقيق والتمحيص التي تتطلب صبراً ما وراءهُ صبر في مثل كتاب تاريخ الآداب العربية « لبروكلمان » Brockelmann فان هذا المؤلف لايكاد يمدو اثبات المصادر وسياقة التراجم، الاّ انهُ كنز نفاسته في المحل الاول. وعليهِ اعتمد زيدان رحمهُ الله و« نكلسون » Nicholson الانكليزي و« هوار » Huart الفرنسي . وان انت قرأت مؤلف « هوار » هذا في الادب العربي خرجت منهُ برأي شامل ناصع ، ذلك ان الرجل فرنسي ... ولكني اشهد ويشهد غيري انهُ لم يك ليصنع شيئاً لو لم يبذل له « بروكلمان » كتابهُ الغزير مادةً

بقي اني لو سألني سائل من قومي : فان كان ذلك كذلك فالى المانيا نعمد ام الى فرنسا ارادة التفقه في العلوم الحديثة ، اجبت ، بنا حاجة اليهما جميعاً ، الاّ اني انظر في الذهن المصري أو السوري او العراقي لهذا الزمان فأراهُ الى الذهن الفرنسي اقرب منه الى الذهن الالماني . وقصة ذلك اننا قوم الى الادب منجذبون ، والى خطف العلم ميّالون ، وبنقاد العبر مصابون . ولا شك اننا اذا انطلقنا الى فرنسا تلقينا من علمائها مذاهب المنهج الاوربي ، غير اننا لا يتم لنا ان نجاهد انفسنا المجاهدة كلها . هذا واذا نحن شخصنا الى المانيا اصلحنا معايبنا العقلية بترويض اذهاننا واكراهها على التماس ما تنفر منه . فان خرج الذهن من هذه البلوى فانما اضاف الى مزاياه الفطرية مزايا اخرى مكتسبة لا تقل شأناً عن تلك . . . كل هذا وأنا استثني في هذا المقال الذهن الانجليزي : ذلك الذهن الجبار ، ولي اليه عودة ان شاء الله

النباتات المصرية القديمة

للدكتور حسن كمال

الخضراوات

الباميا . الملوخية . الكرنب . البسلة . الكراث . الفجل . الحس . الخيش . الخيار
الكرفس . البصل . الثوم . الترمس . الحوابل

سبق ان تكلمنا في « مقتطف » يوليو ١٩٣٥ عن الحبوب المصرية كالقمح والشعير والذرة . والآن نواصل بحثنا في الخضراوات . لكن هناك بعض الحبوب تدخل ضمن الخضراوات كالفول ونحيل القارىء اليها اذا اراد التثبت منها

والخضراوات تكوّن الجزء الاكبر من الغذاء المصري القديم . وتحوي موائد قراين الموتى أنواع الاغذية مثل الفواكه والخضراوات والفطير واللحوم وغير ذلك . وسنقصر بحثنا على اهم الخضراوات الواردة على الآثار المقطوع بصحتها تاركين للزمن اماطة اللثام عن المجهول منها . ويقال للخضراوات بالمصرية القديمة (رنبت)

١ — ﴿ الباميا ﴾ يقال لها باللاتينية Hibiscus esculentus وبالانكليزية Bamiah او Ladies' finigars . قال روزالليني « ج ١ لوحة ٣٩ ص ٣٨٠ — ٣٨١ » ان رسم هذا النبات ورد على الآثار الفرعونية . وفاكهة هذا النبات تكسوها شعور حادة وتحوي حبوباً كروية بيضاء اللون هشة المادة سكرية الطعم نوعاً

٢ — ﴿ الملوخية ﴾ ويقال لها باللاتينية Torchorus olitorius وبالمصرية القديمة « مِنح » « كمال باشا — لآلىء درية ص ١٣٠ — ١٣٣ » . كانت تنبت على الاخص بالوجه البحري . وأورد الاستاذ بروكش في قاموسه عبارة مصرية قديمة هذه ترجمتها « البردي والملوخية واللوطس الازرق والبشنين وجميع النباتات التي تنبت على النيل »

٣ — ﴿ الكرنب ﴾ ويقال له باللاتينية Brassica oleracea وبالانكليزية Cabbage كان يزرع في مصر كغذاء اعتيادي . ورد ذكره في قرطاس ساليه الفكاهي حكايةً عن البستاني « انهُ يمضي نهاره يروي الكراث وليله في ريّ الكرنب » (قرطاس ساليه لوحة ٢ — ٦ — ٦)

٤ — ﴿ البسلّة ﴾ ويقال لها باللاتينية Pisum Sativum . وبالانكليزية Peas وجد منها

مقدار كبير في مقبرة هوارة وكاهون بالفيوم . وكان المصريون يزرعونها في عهد الاسرة الثانية عشرة « ٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق . م . » — وتسمى بالقبطية « لاكونشة — كال باشا » . وهناك نوع يقال له بصلة هندية Pisum Indicum . قال عنه بروكش باشا انه كان معروفاً عند المصريين باسم « عنخ آري » . وهناك نوع ثالث يقال له باللاتينية Pisum arvense وجد الاستاذ Unger حبوبه في هرم دهشور . كل ذلك يثبت ان البصلة من النباتات المصرية القديمة . وميّز الاستاذ « نيوبري » نوعاً من البصلة كان ممزوجاً مع شعير عن غير قصد في مقبرة بكاهون « اسرة ١٢ : ٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق.م » يقال له باللاتينية Pisum elatius

٥ — ﴿ الكراث ﴾ ويقال له باللاتينية Allium porrum . قال الاستاذ لوريه عن بلينيوس ان الكراث نبت مصري لورود ذكره في التوراة . ولان « شوينفورت » وجده بمقبرتين قديمتين . وقرّب الاستاذ كال باشا اللفظ البربري كراث باللفظ المصري القديم كاراتا « لآلىء درية ص ٢٧٣ »

٦ — ﴿ الفجل ﴾ ويقال له باللاتينية Raphanus Sativus وبالانكليزية radish قال هيرودوتس في رواية يغلب انها خرافة — انه كان منقوشاً على هرم الجيزة الاكبر ما معناه : « ان العمال الذين شادوا هذا الهرم كانوا يغتذون بالفجل والبصل والثوم » . وميّز الاستاذ اونجر (Unger) طوابع هذا النبات على قالب من اللبن بدهشور . وتعرّف ايضاً على رسمين لهذا النبات بمعبد الكرنك اوردهما في رسالة عن النباتات المصرية القديمة « ص ٥١ رسم ٢٤ و ٢٩ » . قال لوريه : ومما يؤيد ايضاً ان الفجل قديم في مصر وجود حبتين في احدى مقابر كاهون التي يرجع تاريخها الى زمن الاسرة الثانية عشرة « ٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق . م »

٧ — ﴿ الخسّ ﴾ ويقال له باللاتينية Lactuca Sativa وبالانكليزية Lettuce كانت مصر القديمة تنتج عدة انواع من الخسّ ووجد هذا النبات مرسوماً ضمن القرابين العديدة التي تقدم للموتى . ويمكن معرفته من بينها بواسطة اوراقه الطويلة المدبّبة . وهي خضراء اللون مائلة الى الورقة « دنكايلر ٢ لوحة ١٢٩ بني حسن أسرة ١٢ » وتحوي دار تحف برلين حبوباً لهذا النبات يرجع تاريخها الى العهد الفرعوني . ويقال له بالمصرية « إبو »

٨ — ﴿ الحميض ﴾ واسمه باللاتينية Rumexdentatus وبالانكليزية Sorrel. وجد الاستاذ شيابرلّي اغصان الحميض مغطية لبعض الفواكه المحفوظة . ونشر اكتشافه هذا في مجلة المعهد العلمي المصري سنة ١٨٨٥ « مجلد ٦ ص ٢٧٢ — ٢٧٥ » وقال انه عثر على هذا النبات في قعر بئر عميق من العهد اليوناني

٩ — ﴿ القثاء والخيار ﴾ القثاء ويقال له باللاتينية Cucumis Chate والخيار ويقال له Cucumis Sativus وبالانكليزية Cucumber . يكثر رسم هذا الخضر بنوعيه بين قرابين الموتى . وقد أسف عليه بنو اسرائيل وقت خروجهم من مصر « اعداد ١١ — ٥ » . واستعمل قدماء المصريين

عصيره كمليّن في الطب من بين مواد اخرى كالملح « قرطاس ايبرس » . ويقال القثاء بالمصرية « قاد » وللخيار « شب » (كمال باشا الآلهة دورية ص ٢٤٤) . وورد ذكر القثاء في هرم تيتي من انهما كانت تحت أرجل المعبود « سب » . وشبّه بها في ورقة « ايبرس » النبات المسمى « صنوت » من حيث امتداده على الارض . ووجد « بتري » اجزاء من فروع الخيار العادي بأوراقها بمقبرة كاهون وهوارة بالفيوم (اسرة ١٢ — ٢٠٠٠ — ١٧٩٠ ق.م)

١٠ — ﴿ الكرفس ﴾ ويقال له باللاتينية (Apium dnice) وبالانكليزية celery ورد ذكره بهرم (مرنرع) (اسرة ٦ : ٢٦٢٥ — ٢٤٧٥ ق . م .) وعثر على بذره في مقبرة مصرية قديمة ومنهُ المعروض في متحف فلورنسة بايطاليا . ووجدت اوراقه وفروعه ضمن اكليل الكاهن « كنت » الذي عثر عليه في جهة الشيخ عبد القرنة بالأقصر . وقبل ان ذكره ورد في قرطاس « ايبرس » الطبي في علاج الاسنان والاذنين والعينين وغيرها . غير ان اسمهُ بالمصرية لم يعرف للآن بالضبط

١١ — ﴿ البصل ﴾ ويقال له باللاتينية Alliumcepa وبالانكليزية Onion وجد مرسوماً على على الآثار المصرية منذ عهد الاسرة السادسة « ٢٦٢٥ — ٢٤٧٥ ق . م . » وروى « هيرودوتوس » ان المصريين كانوا يأكلون البصل بكثرة . واعتاد القوم تقديمه قرباناً لموتاهم لوجوده في يد مومياء . وثابت في قراطيسهم انهم استعملوا هذا النبات لادرار البول « ايبرس ٥٠ — ١٣ — ٤ » ولاصلاح الهضم « ايبرس ٣٩ — ٢٥ » . واعتادوا وضع هذا النبات على جحر الثعبان لمنعهِ من الخروج كما انهم كانوا يداوون بهِ لدغة العقرب والحيوانات السامة . وعثر الاستاذ بتري على مقادير كبيرة منهُ في مقبرة هوارة بالفيوم . ويقال له بالمصرية « بصر » وهو أصل لفظ بصل

١٢ — ﴿ الثوم ﴾ ويقال له باللاتينية (Allium Sativum) وبالانكليزية (Garlic) . قال (ديوسكوريدس) ان الثوم المصري له بصلة صغيرة كالكرات وهو حلو الطعم مائل الى اللون الارجواني قصير الطويل . أما في البلدان الاخرى فهو اكبر حجماً ويتكون من عدة بصيلات ذات اللون الابيض . وقد تذكره اليهود بحسرة وقت خروجهم من مصر (اعداد ١١ — ٥) . وجاء عن رمسيس الثالث « ١١٩٨ — ١١٦٧ ق . م . » انه قدم منه الى معبودات طيبة ٣٦٠ مكيالاً زيادة على ٦٢٠٠ مكيال وهو المقدار المعتاد صرفها « قرطاس هويس ١٩ — ١ — ١٣ — ١٤ » . وهذا المجموع يعادل ٦١٧٦ لتراً . وكان المصريون قبل حكم الاسر « قبل ٣٤٠٠ ق.م. » مغرمين بالثوم كما يستدل بالمقادير التي عثر عليها منه في مقابرهم « بتري Prehistoric Egypt ١٩٢٠ — ٢٤ » . وعثر على حزمة من الثوم كاملة طول أقربها ستون سنتيمتراً بمقبرة جهة العساسيف . واسمه بالمصرية « حتوم »

١٣ — ﴿ الترمس ﴾ اسمه باللاتينية (Lupinus) وبالانكليزية lupine . وجد الاستاذ (بتري) في مقبرة قديمة بهوارة بالفيوم بعضاً منه . فدلّ ذلك على انه كان معروفاً عند المصريين في العصرين اليوناني والروماني

١٤ — ﴿ التوابل ﴾ Spices — استعمل المصريون التوابل بكثرة في أغذيتهم . وانتقل عدد كبير منها الى اوربا بعد الحرب الصليبية . وأهم التوابل القديمة هي : —

ا — ﴿ الكزبرة ﴾ واسمها باللاتينية C riandrum Sativum وبالانكليزية Coriander قال پلينوس في تاريخه الطبيعي «٢٠—٨٢» ان الكزبرة المصرية هي اجود ما عرف من نوعها . واعتاد القوم ان يخلطوها بالنبيذ لزيادة قوته المسكرة ولاكثار السرور (مريت — دندرة — ١—٦٦ ٤١ ولتهييج الاعصاب وتنبيه الاعصاب التناسلية « ماسبرو — دراسة مصرية ١ — ٢٣٣) . وورد ذكر الكزبرة سبع عشرة مرة في قرطاس «ايبرس» وثلاث مرات في قرطاس «برلين» وذلك ضمن وصفات لتقوية شهية الطعام ومقاومة التهوّع وعلاج الاورام والقلب والكبد الخ . لذلك اعتاد المصريون ان يضعوا مع موتاهم بعضاً من حب الكزبرة وقد عثر على مرتين من حب الكزبرة في مقابر مصرية قديمة معروضة الآن بهولاندا « متحف ليدن — دليل — ٤٨ » . وعثر الاستاذ « شوينفورت » على بقايا الكزبرة بالدير البحري . وورد ذكر الكزبرة في ثلاثة قراباين قدماء المصريين « دار تحف اللوفر ب — ٤٩ — امرة خامسة — ٢٧٥٠ — ٣٦٢٥ ق.م . » . واسمها بالمصرية القديمة « إنش » — كمال باشا

ب ﴿ سمسم ﴾ ويقال له باللاتينية Sesamum indicm وبالانكليزية Sesame اورد «لوريه» رسماً للسمسم في كتابه « La Flore ص ٥٧ و٤١٥ » مأخوذاً من مقبرة رمسيس الثالث « ١١٩٨ — ١١٦٧ ق.م.» مبيناً استعماله مع القطير كما يستعمل الآن بين المصريين . واسمه بالمصرية القديمة شمشم « كمال باشا » ويطلق هذا اللفظ على النبات وحبّه على السواء

ويرى الاستاذ ولكنسون « عادات المصريين ج ٢ ص ٤١٥ » والاستاذ اونجر « نباتات مصر القديمة ص ٤٥ » ان قدماء المصريين استعملوا السمسم واليانسون والكمون كحبوب معطرة في الفطائر

« ج » كمون — واسمهُ باللاتينية Cuminum Cyminum وبالانكليزية Cummin وبالمصرية جنى — كمال باشا — كانت اليهود تأخذ عشوراً على الكمون والنعناع والشبث وورد ذكر الكمون عشر مرات بقرطاس « ايبرس » انطي . وقد وصفه « ديوسقوريدس » المرضي . وعثر على حبوب الكمون بمقبرة مصرية قديمة معروضة الآن بدار تحف « فلورنسة » بايطاليا

« د » شبت :— اسمه باللاتينية Anethum وبالانكليزية anise وبالمصرية القديمة (إمست) — نبت مصري قديم دخل ضمن وصفات الصداع . قال الاستاذ « لوريه » ان بذر الشبت دخل ضمن وصفة لشفاء اوعية القحذ « قرطاس برلين لوحة ١٥ »

تجارب عجيبة

بأشعة تعطل وتميت

في انكلترا والمانيا وفرنسا وايطاليا واميركا

ردّد الكتّاب من أصحاب الخيال في السنوات الأخيرة ذكر شعاعة تطلق من بعيد فتميت الانسان والحيوان وتدمر الطائرات والسيارات . وقد حملت الينا الانباء البرقية غير مرة في العهد الاخير نبأ تحقيق هذا الخيال ثم ظهر ان ما قيل سابق لاوانه . ولا يخفى ان اقدم ذكر ورد لهذا الضرب من الاشعة ما نقل عن الاقدمين من استعمال المرايا في الحروب لعكس أشعة الشمس على العدو واستعمالها لحرق سفنه وعتاده الحربي . والواقع ان طائفة من العلماء المجربين في أشهر البلدان يجربون تجارب من هذا القبيل . والى القارىء شيئاً عن بعض هذه التجارب وأصحابها

يقول الاستاذ لو العالم الانكليزي انه اذا نشبت الحرب القادمة قبل استنباط هذه الوسيلة فلا ريب في ان الحكومات سوف توجه اليها جهدها عند نشوب الحرب . عند ذلك يصبح كل سلاح من أسلحة الحرب ولا فائدة منه بل ان استعمال هذه الاشعة يقضي على الحرب لانهُ يكفي لشل أمم بأسرها في بضع دقائق بعد اعلانها . فالطائرات اذا وجهت اليها هذه الاشعة قتل سائقوها أو عطلت محركاتها فتسقط الى الارض لا حراك فيها

ففي انكلترا عالمان يبحثان عن هذه الشاكلة ويظنان انهما على وشك الفوز بها . أحدهما يدعى غروندل ماتيوز وهو يحيط تجاربه بستار من الكتمان وترقبها الدوائر الرسمية البريطانية بعناية كبيرة . يقيم في كوخ على قمة جبل في جنوب ويلز يدعى جبل المشب . والكوخ يحيط به سور من الاسلاك الشائكة وعلى مقربة منهُ ساحة للطائرات . ويدعي المستر ماتيوز ان في كوخه جهازاً يطلق اشعة في مكنتها أن تقتل فأرة أو ان تعطل سيارة . وهو يقول انهُ من المستطاع في المستقبل استعمال اشعة من هذا القبيل لتعطيل محركات الطائرات والسيارات عن بعد . واستعمالها يقتضي نفقة كبيرة ولا ريب ولكن الحكومات لا تحجم عن هذا عند الاضطرار . غير ان الطائرة التي تصيبها هذه الاشعة لا تدمر وانما يعطل محركها فلا تستطيع الحراك

والمستر ماتيوز ليس جديد العهد بالاختراع . فله في دار تسجيل المخترعات امتيازات عديدة لها صلة بالمواصلات السلكية واللاسلكية . وكان في خلال الحرب الكبرى قد استنبط زورقاً يسير بمحرك كالسيارة يمكن أن يطلق في البحر ويوجه بشعاعة من الضوء ، ثم يطلق مدفعاً صغيراً فيه بالطريقة نفسها . فاشترت الحكومة البريطانية منه هذا الاختراع بخمسة وعشرين الف جنيه

وهذا يدلك على ان تجارب المستر مانيوز بأشعة الموت ليست من قبيل الفكاهة والتسلية

وهناك عالم آخر يدعى تشنفيلد وهو محاضر في كلية ليستر العلمية . وقد مضت عليه شهور وهو يجرب في مختبره الخاص بمدينة ليستر تجاربَ من هذا القبيل . وقد صرح ان لديه جهازاً الآن يستطيع ان يقتل به فئراناً على بعد مئات من اليردات . وهو يدعي كذلك ان الرسائل العصبية في الاحياء كهربائية الاصل . وانهُ يمكن قتل الاحياء بتعطيل جهازها العصبي بواسطة اشعة مختلفة في طول امواجها . وقد استخرج رخصة من وزارة البريد لانشاء آلة من هذا القبيل قوتها ٥ كيلو وط

وقد صرح المستر تشنفيلد لاحد الصحافيين انهُ عازم على الحرص على استنباطه لئلاَّ يقع في ايدي من يستعمله للاذى لان انساناً واقفاً في مسار هذه الاشعة يقتل وهو لا يحس بذلك . فانهُ يشعر اولاً بقليل من الدفء ثم يفقد الشعور . وقد وجه اشعته هذه الى طوائف من الفئران والذباب فماتت من دون ان يبدو عليها كيف ماتت

وقد تستعمل هذه الاشعة لقتل البقر والاغنام بدلاً من ذبحها أو دق اعناقها في السلخانات

ولكل حي ضرب من الاشعة خاص به يختلف في طول موجته عن الضرب الآخر وهو يبحث الآن محاولاً اكتشاف هذه الضروب المختلفة . على ان انكلترا ليست بالبلاد الوحيدة التي تجرب فيها هذه التجارب . وقد اشارت الصحف والانباء البرقية غير مرة الى التجارب اللاسلكية التي يجريها المخترع العظيم ماركوني في ايطاليا بين قصر بوكنشيا وروما ، باشعة لاسلكية قصيرة جدًّا

وقد قيل انهُ في خلال قيام ماركوني بتجاربه هذه ، توقفت طائفة من السيارات الدارجة على شقة معينة من الطريق بين روما واوستيا لغير سبب معروف . ولما حاول سائقوها تسييرها ذهبت محاولاتهم ادراج الرياح . وقد اقترن اسم ماركوني في اواخر القرن التاسع عشر ببحر الامواج اللاسلكية وعجائبها . لذلك يقال انهُ على شك اختراع عظيم . ويؤكدون ان هذا الاختراع ليس إلاَّ اشعة تؤثر في «ماغنيتو» السيارات والاجهزة الكهربائية في محركات الاحتراق الداخلي التي تسير بها السيارات والطائرات فتعطلها وتبقى معطلة ما دامت في نطاق تأثير الاشعة . وما لوحظ في ايطاليا من وقف السيارات ، لوحظ كذلك في المانيا . فقد كان احد تجار فينا دارجاً بسيارته في بافاريا ، فتوقفت السيارة فجأة ولم يدر السبب . ثم توقفت سيارة اخرى وراءه عن السير . فلما اقبل البوليس وقست عليه القصة ، قال لا تخشوا بأساً ايها السادة . فبعد بضع دقائق تعود سياراتكم الى حالها الاولى

وما انقضت خمس دقائق حتى حركت المحركات فتحركت ومضت السيارات في سبيلها . وقد علم بعدئذٍ انهُ عالماً بافاريًّا قد بين انهُ يستطيع ان يعطل جهاز الاشتعال في محرك الاحتراق الداخلي ، بشعاعة من الاشعة اللاسلكية . ويقال انهُ اذا ظلت سيارة بضع دقائق في مسير شعاعة من هذا القبيل صهر معدن «الماغنيتو» فيها . وفعل هذه الشعاعة يمتد الى ميلين ولو كانت مولدة من جهاز صغير

ثم ان في المانيا خبيراً بالطيران يدعى نيفل تانغي يقول انهُ سمع تفصيلات عجيبة من طيار مشهور

موظف الآن في وزارة الطيران الالمانية . وقد جرّب هذا الطيار تجربة خاصة بتوجيه ضرب من هذه الاشعة الى الطائرات فاسقط الطائرات بها ، ولم ينفع في حجبها عن الطائرات حاجز ما

وقد انحدث هذه التجارب شكلاً آخر في فرنسا . فقد استنبط هناك جهاز يشبه المسدس في تركيبه ، ويطلق اشعة قوية الطاقة من الضوء . وقد جربت به تجربة عجيبة ، بأشعة ضعيفة الطاقة ، امام جمهور من خبراء الجيش وسلاح الطيران . فاطلقت اشعته على جمهور من الراقصين والراقصات في ميدان كبير في باريس . وما كادت تطلق عليهم هذه الاشعة حتى فقدوا قوة التحرك ، ووقفوا جموداً في اماكنهم من دون ان يتموا خطوات الرقص التي كانوا بصددها ، وسقط بعضهم على الارض . فلما حولت الاشعة عنهم عادوا كما كانوا اناساً اسوياء يرقصون ويطربون

ويقولون في فرنسا ان عندهم جهازاً ما كاً استنبط حديثاً قد يثبت انهُ اصلح الوسائل لمقاومة الطائرات الحربية . وهذا الجهاز مؤلف من قرص معدني ماكس تتوسطه بندقية او آلة للقذف . فالبندقية تطلق نوعاً من الذرور شديد الالتهاب كذرور المغنيسيوم المستعمل في التصوير الشمسي ليلاً او في الظلام . الاّ ان ذرور هذا الجهاز أُلهم ضوءاً من المغنيسيوم عند اشتعاله وتركيبهُ لا يزال سرًّا مكتوماً . نعني اولو الامر من الفرنسويين به عناية خاصة فطلبوا الى مستنبطيه ان لا يصنعاه للبيع في السوق العامة . ويقول احدهما اننا نستطيع بطلقة واحدة ان نحدث ضوءاً يبلغ اشراقه اشراق ثلاث ملايين شمعة ويستمر جزءاً من مائة جزء من الثانية . فاذا اصاب هذا الضوء عيني طيار محلق فوق مدينة ما بهره به واصيب بعمى وقتي يدوم ثلاث دقائق فاذا وضعت بطريات من هذا الجهاز في المواقع الموافقة في قلب حاضرة كباريس وحواليها امكن وقايتها من هجمات الاساطيل الجوية المعادية عليها . وفي الولايات المتحدة الاميركية مستنبط كهربائي قديم العهد من اصل سوري يدعى نقولا تسلا . وقد اعلن من شهور عند بلوغه السنة الثامنة والسبعين من عمره انهُ اكتشف ضرباً من الاشعة يمكن استعماله في بناء سور يحيط ببلاد ما ولا يمكن ان تخترقه القوى العسكرية . وهو عازم على جعل هذا الاكتشاف رهن تصرف جامعة الامم لتستعمله في تعزيز السلام . ويؤخذ من تصريح آخر لهُ انهُ اتقن جهازاً يستطيع ان يبعث به بتيارات من الدقائق المتناهية في الصغر بسرعة عظيمة وقوة عجيبة فتستطيع ان تسقط اسراب العدو وان تفتك بجيوش عظيمة اذا أصابتها

وهذا الاستنباط — اذا صحّ — يجعل الحرب العدائية متعذرة ولكنه في الوقت نفسه لا يمكن ان يستعمل في اعتداء امة على اخرى اي انه لا يمكن ان يستعمل الاّ في الدفاع . لان هذه الدقائق لا يمكن ان تترك الاّ من آلات كهربائية ضخمة . وهذه بحكم الطبع يجب ان تكون راسخة في الارض وليس في الوسع تنقيلها لتسير مع الجيوش الهاجمة

ولا يخفى ان الاشعة السينية والاشعة المنطلقة من الراديوم تستطيع ان تتلف الانسجة الحية . ولكن الغرض من هذه التجارب هو استعمالها او استعمال ما يقابلها على مدى بعيد وفي نطاق واسع

استاذنا الامام

حجة الاسلام

السيد محمد رشيد رضا

بقلم الشيخ أحمد محمد شاكر

فقد الاسلام في هذه الايام عَلَماً عالياً من أعلامه ، وإماماً حجةً من ائمة الهدى ، ومجاهداً كبيراً ، ومصلحاً عظيماً ، عاش حميداً ومات شهيداً [1]

ولد استاذنا الامام (السيد محمد رشيد رضا) رضي الله عنهُ في يوم الاربعاء ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٢٨٢ (١٨ اكتوبر سنة ١٨٦٥) بقرية (القلمون) ، وهي قرية من قرى جبل لبنان على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، وتبعد عن مدينة (طرابلس الشام) نحو ثلاثة أميال

وأسرة ابيهِ من السادة الاشراف الذين ينتهي نسبهم الى جدّنا الأعلى سيدنا الحسين بن علي عليهما السلام ، وهم من اهل العلم والارشاد والرياسة ، ذوو كرم وكرامة ، ودين وتقوى ، وعزة نفس وترفع . وقد عاشرنا في مصر منهم افراداً ، فكانوا من أنبل الناس خُلُقاً ، وأطهرهم قلباً ، واصدقهم حديثاً . وكان ابوهُ من اعز الرجال نفساً ، وأجرئهم جناناً ، واسخاهم يداً . وأمهُ : من أسلم النساء فطرة ، وأكرمهن أخلاقاً ، وأوفاهنَّ لزوج ، وأحناهنَّ على ولد . واسرة امه ينتهي نسبها الى سيدنا الحسن بن علي عليهما السلام

اول ما تعلمَّ — رحمهُ الله — في كتّاب قريتهِ ، فتعلم قراءة القرآن والخط وقواعد الحساب الأربع ، ثم ادخل في (المدرسة الرشدية) بمدينة « طرابلس الشام » وهي مدرسة ابتدائية للدولة العثمانية ، يدرس فيها الصرف والنحو والحساب ومبادىء الجغرافية ، والعقائد والعبادات ، واللغة العربية واللغة التركية ، وكان جميع التدريس فيها باللغة التركية [2]

ثم دخل « المدرسة الوطنية الاسلامية » في سنة ١٢٩٩ وهي أرقى من المدرسة الرشدية ، وجميع التعليم فيها باللغة العربية ، الاَّ اللغتين التركية والفرنسية . وتدرس فيها العلوم العربية والشرعية ، والمنطق والرياضيات والفلسفة الطبيعية . وكان استاذه العلامة الشهير « الشيخ حسين الجسر الازهري »

---

(١) فانه رحمه الله خرج مع ركب الامير سعود حين سفره من مصر الى الحجاز ، فذهب معهم الى السويس ، ومات في العودة عند ما وصل الى مصر الجديدة ، وما كان خروجه هذا مجاملة أو تقرباً للامير ، وانما كان ليحدثه في شؤون المسلمين ويعرض عليه آراءه في طرق الاصلاح ، ليمرضها سمو الامير على جلالة والده الملك عبدالعزيز بن السعود ، فكان خروجه عملا من أعمال الجهاد في سبيل الله ، ولم يقر جسمه في هذه السن على احتمال الشاق ، فمات مجاهداً شهيداً ، ان شاء الله . وكان ذلك في يوم الخميس ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٣٥٤ (٢٢ اغسطس سنة ١٩٣٥)

(٢) المنار والازهر (ص١٣٩)

هو المدبر لها ، بعد أن كان هو الذي سعى لتأسيسها ، لأن رأيه أن الامة الاسلامية لا تصلح ولا ترقى الاَّ بالجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا على الطريقة العصرية الاوربية ، مع التربية الاسلامية الوطنية ، تجاه التربية الاجنبية في مدارس الدول الاوربية والامريكانية [1]

فلم يدخل المدارس الاَّ بعد تجاوزه الخامسة عشرة من عمره ، وكان ذلك عن رأي والده وإرشاده ، خوفاً عليه مما يعرض في المدن للناشئين من الفتن . فلما أن وثق من دينه وخلقه ورشده أذن له بالاقامة في مدينة طرابلس الشام لطلب العلم في المدارس

وكان قبل دخوله المدارس شديد العناية بمطالعة كتب الأدب وكتب التصوف . قال في كتابه « المنار والازهر » ص ١٤٠ « وكان أعجب كتب التصوف اليّ احياء علوم الدين لحجة الاسلام أبي حامد الغزالي ، فهو الذي طالعته كله ، وكنت أكثر مراجعته وقراءة بعض ابوابه عوداً على بدء . ثم صرت أقرؤه للناس ، وكان له اكبر التأثير في ديني واخلاقي وعلمي وعملي . وإنهُ لتأثير صالح نافع في اكثره ، ضارّ في أقله . وقد طلبت الضار منهُ بعد العلم به : فما كان فيه من خطأ علمي فقد رجعت عنهُ بالتدريج ، بعد اشتغالي بعلم الحديث ، ولاسيما عقيدة الجبر والتأويلات الاشعرية والصوفية والغلوّ في الزهد ، وبعض العبادات المبتدعة . وأما تأثيره الوجداني في الزهد واحتقار الدنيا والمتكالبين عليها وعلى وظائف الحكومة — : فلم استطع الاعتدال فيه ، فضلاً عن التنصي منهُ »

وقد تلقى العلم عن كثير من العلماء الاعلام . فمنهم العلامة الشهير الشيخ حسين الجسر : أخذ عنهُ العلوم العربية والشرعية والعقلية . ومنهم شيخ الشيوخ الشيخ محمود نشابة : أخذ عنهُ الحديث وفقه الشافعية . ومنهم العالم المحدث العابد الشيخ محمد القاوقجي الكبير : تلقى عنهُ بعض مؤلفاته في الحديث . ومنهم العلامة الشيخ عبد الغني الرافعي : حضر عليه قليلاً من نيل الاوطار للشوكاني ، واستفاد كثيراً من معاشرته في العلم والادب والتصوف

ونشأ عابداً متعبداً ، زاهداً متنسكاً ، يذهب الى المسجد في السحر ، ولا يعود الى البيت الاَّ بعد ارتفاع الشمس ، ويصلي في الليل متهجداً تحت الاشجار في بساتين آله . ورباه أهله ثم ربى نفسه على الحياء والصدق والاخلاص والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والشجاعة في ذلك ، فلا يخشى الاَّ الله

وكمل نفسه بكثير من العلوم العصرية ، ووسع دائرة تفكيره بالاطلاع على شؤون الاجتماع وسياسة العصر . فكان يطالع المجلات العلمية ، وفي مقدمتها « المقتطف » والمجلات السياسية وأهمها « العروة الوثقى » التي كان يصدرها في باريس المرحوم الاستاذ السيد جمال الدين الافغاني والمرحوم الامام الشيخ محمد عبده . ولقد حدثني صديقي الكاتب الفاضل السيد محيي الدين رضا انهُ سمع عمه المرحوم السيد رشيد يعترف بفضل « المقتطف » عليه في توسيع دائرة معارفه في نشأته ، وانهُ كان يواظب على قراءته ما وجد سعةً من وقته

(١) المنار والازهر (ص ١٣٩ و ١٨١)

واما مجلة (العروة الوثقى) فانها كان لها اكبر الاثر في توجيه تفكيره الى الوجهة الاصلاحية للمسلمين[1] والى وضع منهج واضح يسير عليه في سبيل الاصلاح. وقد اتبع ما رسم لنفسه من خطة، فلم يحد عنهُ قيد شعرة، حتى لقي الله

واوتي موهبة الكتابة العالية في ايان نشأته، ونشر بعض مقالات في جريدة (طرابلس) فكان صحفيًا بطبعه وفطرته، وما زال يكتب ويحرّر الى حين وفاته. فكان من اتلغ الكتاب قلمًا، واوسعهم مجالاً، واقومهم بحُجة

وقد عزم على الاتصال بالمرحوم السيد جمال الدين الافغاني «لتكميل نفسه بالحكمة والجهاد في خدمة الملة، فلما توفاه الله تعالى اليه، واشتهر ان السياسة الحميدية هي التي قضت عليه، ضاقت عليه المملكة العثمانية بما رحبت، وعزم على الهجرة الى مصر، لما فيها من حرية العمل واللسان والقلم، ومن مناهل العلم العذبة الموارد، ومن طرق النشر الكثيرة المصادر. وكان اعظم ما يرجوه من الاستفادة في مصر الوقوف على ما استفادهُ الشيخ محمد عبده من الحكمة والخبرة وخطة الاصلاح التي استفادها من صحبة السيد جمال الدين، وان يعمل معهُ ويارشاده في هذا الجوّ الحرّ»[2]

ثم يسّر الله لهُ اسباب السفر الى مصر، ورضي بهِ والداه رحمهما الله، ولما وصل الى بيروت في طريقهِ الى مصر عرض عليهِ عبد القادر افندي القباني ان يقيم في بيروت، ويتولى رئاسة التحرير لجريدته (ثمرات الفنون). قال السيد رحمهُ الله: «فقلت لهُ: ان الحرية التي في بيروت لا تسعني قال: او تريد ان تنقد جلالة السلطان عبد الحميد او تخوض في سياسته؟ قلت: انما أريد اصلاح الاخلاق والاجتماع والتربية والتعليم. قال: إن لك أوسع الحرية في هذا. قلت: إذا أردت ان أكتب في فضيلة الصدق ومضارّ الكذب ومفاسده فأبيّن ان أكبر اسباب شيوع الكذب في الامم الحكم الاستبدادي، أتنشر لي ذلك جريدتكم؟! قال: لا، لا، عجّل بالذهاب الى مصر ولا تخبر أحداً!»[3]

ويجدر بنا في هذا الموضع أن نصحح خطأً مشهوراً، يظنه اكثر الناس صواباً، وذلك: انهم يزعمون أن السيد رشيد رحمهُ الله جاء الى مصر لاتمام الدراسة العلمية ولذلك تتلمذ للشيخ محمد عبده. والحقيقة انهُ رحمهُ الله لم يغادر بلاده الاّ بعد اتمام دراسته، وبعد نيل الشهادة العالمية والاذن لهُ من شيوخه بالتدريس، وكان قد جاوز الثلاثين من عمره. وانما اتصل بالاستاذ الشيخ محمد عبده كما يتصل العالم الصغير بالعالم الكبير، وبقي تلميذاً لهُ — على هذا المعنى — الى حين وفاته، كما كان يفعل سلفنا الصالح رضي الله عنهم، ولو بقي الاستاذ الشيخ محمد عبده حيًّا الى الآن لبقي السيد رشيد تلميذه الى الآن، ولوفى لهُ في حياته كما وفى لهُ بعد مماته، رضي الله عنهما

(١) تاريخ الامام محمد عبده (ج١ ص٨٤ و ٣٠٣ و ٩٦٥—٩٩٦) (٢) المنار والازهر (ص ١٩٦)
(٣) المنار والازهر (ص ١٩٢)

السيد محمد رشيد رضا

فكان السيد رحمه الله مع الاستاذ الامام تلميذاً لهُ وصديقاً ، وناصحاً ومخلصاً ، وكان مستودع أسراره والداعية لآرائه ، والمدافع عنهُ في كل معركة من معارك جهاده . بل كان كما وصفهُ الاستاذ الامام — لوالدي الاستاذ الاكبر الشيخ محمد شاكر حفظه الله — « ترجمان افكاره »

جاء السيد رشيد الى مصر وقد وضع نصب عينيهِ صحبة الاستاذ الامام ، ثم انشاء صحيفة اصلاحية يستمد فيها من حكمته وخبرته . فوصل الى الاسكندرية مساء الجمعة ٨ رجب سنة ١٣١٥ ٣٥ يناير سنة ١٨٩٨ ، فأقام فيها أياماً ثم انتقل منها الى طنطا فالمنصورة فدمياط ، ثم عاد الى طنطا وسافر منها الى القاهرة قبيل الظهر من يوم السبت ٢٣ رجب « ١٨ يناير سنة ١٨٩٨ » وفي ضحوة اليوم الثاني (الأحد ٤ رجب) ذهب الى زيارة الاستاذ الشيخ محمد عبده في داره بالناصرية . ثم اتصل الأمر بينهما واستشار السيد أستاذه في انشاء الصحيفة التي يريدها ، وشاوره في تسميها ، وذكر له اسم (المنار) . مع أسماء أخرى ، فاختار الامام اسم (المنار) . ثم شرع السيد في تحريره ، وكتب فاتحة العدد الأول بقلم الرصاص في جامع الاسماعيلي المجاور لدار الاستاذ بالناصرية — وكان ذلك في منتصف شوال سنة ١٣١٥ (مارس سنة ١٨٩٨) — وذهب بها الى داره وعرضها عليه ، فأعجب بها كل الاعجاب ، وارتضى كل ما ذكره فيها من المقاصد والاغراض ، إلا كلمة واحدة : هي تعريف الأمة بحقوق الامام ، والامام بحقوق الأمة . قال ما معناه : « إن المسلمين ليس لهم اليوم إمام إلا القرآن ، وإن الكلام في الامامة مثار فتنة يخشى ضره ولا يرجى نفعه الآن » فحذف السيد هذه الكلمة عن رأي الأستاذ وإشارته[1]

وقد اقترح السيد على الاستاذ الامام عقيب انعماله به — وكان أول اقتراح له عليهِ — أن يكتب تفسيراً للقرآن ينفخ فيهِ من روحه التي وجد روحها ونورها في مجلة (العروة الوثقى) فاعتذر الامام عن ذلك . فاقترح عليهِ أن يقرأ دروساً في التفسير ، فكان يعتذر ، ثم لم يزل بهِ حتى أقنعهُ برأيه ، فبدأ الاستاذ الامام في قراءة التفسير بالأزهر الشريف في غرة المحرم سنة ١٣١٧ وانتهى منهُ في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ عند تفسير قوله تعالى « وكان الله بكل شيء محيطاً » من الآية ١٢٦ من سورة النساء ، فقرأ زهاء خمسة أجزاء في ست سنين ، ثم توفي الامام الى رحمة الله يوم ٨ جمادى الاولى سنة ١٣٢٣ . وكان السيد رحمهُ الله يكتب في أثناء الدرس مذكرات بأهم ما يقوله الاستاذ ، ثم بدا لهُ باقتراح بعض الراغبين في الاطلاع على تفسير الامام : أن ينشر هذا التفسير في المنار ، فشرع في ذلك في المحرم سنة ١٣١٨

قال السيد رحمهُ الله : « وكنت أولاً أطلع الاستاذ الامام على ما اعده للطبع كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه ، فكان ربما ينتج فيه بزيادة قليلة أو حذف كلمة او كلمات ، ولا اذكر انهُ انتقد شيئاً مما لم يره قبل الطبع ، بل كان راضياً بالمكتوب بل معجباً به . على انه لم يكن

(١) تاريخ الاستاذ الامام (ص ٩٦٥ — ١٠٠٥ و ص ٩١٣)

كله نقلاً عنهُ ومعزوًّا اليهِ ، بل كان تفسيراً للكاتب من انشائه ، اقتبس فيهِ من تلك الدروس العالية جل ما استفاده منها »[1]

ثم استقلَّ السيد رحمهُ الله بعبء التفسير وحده بعد أستاذه فقام بهِ خير قيام، بل فاق في هذا المجال استاذه الامام . فان الاستاذ الشيخ محمد عبده انما كان روحاً وثاباً ، وحكيماً عظيماً ، وقائداً ماهراً ، ولكن لم يكن مطلعاً على السنة النبوية اطلاعاً كافياً ، ولا يكون ، المفسر للقرآن مفسراً حقًّا الاَّ بالتوسع في دراسة الحديث النبوي والتشبع منه ، لان رسول الله صلى الله عليهِ وسلم أمر ببيان الكتاب للناس ، فقوله وفعله وكل حالاته شرح لهذا الكتاب الكريم

وقد أتمَّ السيد تفسير اثنى عشر جزءاً من اجزاء القرآن ، طبعت كلها . وفسر بعض آيات من اول الجزء الثالث عشر ، ثم فقدناهُ أحوج ما كنا اليهِ ، رحمهُ الله ورضي عنهُ

وان اخوف ما كنت اخاف هو هذا الموقف الذي صرنا اليه : مات السيد رشيد ولم يكمل تفسير القرآن . ولقد أذكر أني تحدثت اليهِ في هذا المعنى منذ عشرين سنة تقريباً ، وكنت من اقرب الناس اليهِ وأبرّهم به ، فألححت عليهِ في ان يوجه عزمه وهمته الى اتمام التفسير ، وان يدع كل مشاغله الاخرى ويتفرغ لهذا العمل الجليل النافع ، الذي لا نعرف احداً من العلماء يضطلع بهِ ، ولا نرى له أهلاً غيره . ولكن هكذا قُدِّر فكان . ولعلنا نجد من علمائنا من يوفق لاقتفاء أثر السيد رحمهُ الله في تفسير القرآن حتى يتمهُ . ان شاء الله

وبعد : فان آثار السيد رشيد في دفاعهِ عن الاسلام ، وتقريبهِ للاذهان لا يحصيها مقال او كتاب ، فانهُ رجل مكث قريباً من اربعين سنة يكتب في مجلتهِ وفي الصحف الاخرى ، ويؤلف الكتب والرسائل ، كل هذا لله وفي سبيل الله ، ولا يخشى في الله لومة لائم . ولكن أعظم آثاره وأنفعها ، وأرجاها للمسلمين ، وأبقاها على الدهر — : هو هذا التفسير العظيم

واني كنت قد وصفت بعض مزاياه في مقال نشرتهُ في مجلة (المنار) في العدد (٣ من المجلد ٣١) ربيع الآخر سنة ١٣٤٩ سبتمبر سنة ١٩٣٠ — ومما قلت فيهِ : إنهُ «خير تفسير طبع على الاطلاق، ولا أستثني ، فانهُ هو التفسير الأوحد الذي يبين للناس اوجه الاهتداء بهدي القرآن على النحو الصحيح الواضح — إذ هو كتاب هداية عامة للبشر — لا يترك شيئاً من الدقائق التي تخفى على كثير من العلماء والمفسرين »

«ثم هو يظهر الناس على الاحكام التي تؤخذ من الكتاب والسنة ، غير مقلد ولا متعصب ، بل على سنن العلماء السابقين : كتاب الله وسنة رسوله . ولقد أوتي الاستاذ من الاطلاع على السنة ومعرفة علمها، وتمييز الصحيح من الضعيف منها — : ما يجعله حجة وثقة في هذا المقام، وأرشده الى فهم القرآن حق فهمه»

«ثم لا تجد مسألة من المسائل العمرانية او الآيات الكونية الاَّ وأبان حكمة الله فيها ، وأرشد الى الموعظة بها ، وكبت الملحدين والمعترضين بأسرارها ، وأعلن حجة الله على الناس . فهو يسهب

(١) تاريخ الاستاذ الامام ص (٢٦٥ — ٢٦٨) وتفسير المنار (ج ١ ص ١٢ — ١٥)

في ازالة كل شبهة تعرض للباحث من ابناء هذا العصر ، ممن اطلعوا على اقوال الماديين وطعونهم في الاديان السماوية ، ويدفع عن الدين ما يعرض لاذهانهم الغافلة عنهُ ، ويظهرهم على حقائقهِ الناصعة البيضاء ، مع البلاغة العالية ، والقوة النادرة . لله دره ! » ...

« ولقد عرض للكثير من المشكلات الاجتماعية والسياسية التي عرضت في شؤون المسلمين فأفسدت على كثير من شبانهم هداهم ودينهم ، فحللها تحليلاً دقيقاً . وأظهر الداء ووصف الدواء من القرآن والسنة ، وأقام الحجة القاطعة على ان الاسلام دين الفطرة ، وأنهُ دين كل أمة في كل عصر . ونفى عن الاسلام كثيراً مما ألصقهُ بهِ الجاهلون ، أو دسهُ المنافقون ، من خرافات وأكاذيب كانت تصد فئة من أبنائه عن سبيله ، وكان اعداؤه يجعلونها مثالب يلعبون بسببها بعقول الناشئة ليضموهم الى صفوفهم ، وينزعوهم من أحضان أمتهم »

« وإنهُ لكتاب العصر الحاضر ينيد منهُ العالم والجاهل والرجعي والمجدد بل هو الدفاع الحقيقي عن الدين »

« وأنا أرى من الواجب على كل من عرف حقائق هذا التفسير أن يحض إخوانه من الشبان على مطالعته ، والاستفادة منهُ ، وبث ما فيهِ من علم نافع . لعلَّ الله أن يجعل منهُ نواة صالحة لاعادة مجد الاسلام ، وأن ينير بهِ قلوباً أثلمت من ملئها بالجهالات المتكررة »

ولو شئنا أن نطيل في ترجمة السيد رشيد وتعداد مناقبه وفضائله ، أو في بيان مزايا تفسيره ونفعه للناس عامة — لكان مجال القول أمامنا واسعاً ، ولا عجزنا ان نستوعب ما نريد من ذلك . ونسأل الله سبحانهُ أن يجزيه عن المسلمين خير الجزاء ، وأن يجعلهُ من السابقين الأولين

وإن الاخ الفاضل السيد عبد الرحمن عاصم — ابن عم أستاذنا وصهره — أعلم الناس بسيرته الشخصية والاجتماعية ، والسياسية الاسلامية والعربية ، وقد شهد لهُ بذلك السيد رشيد نفسه في كتاب المنار والازهر (ص ١٩٤) . وأنا أرى انهُ جدير بهِ أن يكتب ترجمة وافية ، أو يعين غيره على كتابتها ، وقد عاش معهُ نحواً من خمس وعشرين سنة ، ويخيل اليَّ أن هذه الشهادة للسيد عاصم تشير الى رغبة الاستاذ في ذلك ، وكأنها وصية منه ينبغي تحقيقها

وبعد فان من أمارات الخير ودلائل التوفيق أن السيد — رضي الله عنه — ركب السيارة يوم وفاته من السويس ، وشرع في قراءة القرآن ، ولم ينقطع عن التلاوة حتى قبضهُ الله اليهِ في مصر الجديدة

وأخيراً : أن آخر ما كتب في تفسير القرآن تحت عنوان (دعاء يوسف عليهِ السلام بحسن الخاتمة) أنهُ فسر قوله تعالى حكايةً عن النبي يوسف عليهِ السلام (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) ، وكتب في آخر تفسيرها : « فنسأله تعالى ان يجعل لنا خير حظٍ منهُ بالموت على الاسلام » . فكانت دعوة استجيبت ، وكانت — ان شاء الله — أمارة حُسْن الختام

مفردات النبات

بين اللغة والاستعمال

لمحمد مصطفى الدمياطي

لما اجتمع لي طائفة من أسماء المفردات النباتية وحررت ما يقابلها في بعض اللغات الاجنبية لترتيبها في معجم والآن عنّ لي أن أنشرها تباعاً في مجلة المقتطف الغراء في بيان موجز أذكر فيه المفرد ووصفه وموطنه واستعماله مشيراً الى بعض فوائده في الزراعة أو الصناعة أو التغذية أو الطب عسى أن يكون في ذلك بعض الفائدة — الدمياطي

التمر الهندي

ويقال له (الحُمَر) كصُرَد او (الشَّمَار) بالضم وفي السودان اسمهُ (العَرْديب) شجرتهُ كبيرة الحجم او متوسطه مظلّة جميلة المنظر بطيئة النمو ترتفع الى ٨٠ قدماً او اكثر ذات جذع ثخين مستقيم قائم قد يكون طول محيطه ٢٥ قدماً وقلفها اسمر قاتم وأوراقها من النوع المركب الريشي الصغير الذي لا ينتهي بوريقة طول الواحدة منها من ٣/٤ سنتيمتراً الى ١٥ وبها من ١٠ ازواج الى ١٥ من الوريقات الصغيرة الاهليلجية المساء . وأزهارها مجتمعة في عناقيد غير مكتظة في الواحد منها من ١٠ زهرات الى ١٥ بأطراف فروع جانبية صغيرة قصيرة . وثمراتها قرون سمر متدلية يتراوح طول الواحد منها بين ٣/٤ سنتيمتراً و١٠ وعرضه ٢ ١/٢ سنتيمتراً وبداخله كتلة لب احمر يضرب الى السمرة حلو الطعم حلو وهو الذي يتّجر به ويشاهد في مصر مكبوساً كالعجوة . اما بذوره وتسميها العرب (القاريط) او (القراريط) فسمر اللون صلبة

اسمه العلمي (Tamarindus indica, L.) (تاماريندوس انديكا) وفصيلته الخيار الشنبرية او السنائية (Caesalpiniaceae) (سيزالپينياسية) وبالانجليزية (The Tamarind Tree; Indian Date) وبالفرنسية (Tamarinier de l'Inde)

قيل موطنه إفريقية وآسيا الاستوائيتان وهو يزرع عادةً في الجهات الدافئة من الهند وجزيرة سيلان وجزائر ملايا والسودان وغيرها للاستظلال به والانتفاع بلب ثمره المزّ المشتمل على الحامض الليمونيك والتفاحيك والطرطاريك وهو المستعمل في الطب لتليين البطن وفي صنع انواع الشراب المنعش المرطب وتصدر منه كميات وافرة من جزائر الهند الغربية الى بلاد الانجليز وغيرها . وأهالي الشمال من جزيرة سيلان يستعملون خلاصة من اللب لحفظ السمك . وفي الهند تستعمل اوراقه الصغيرة الغضة كمادة على كل دُمَّل وخُرَّاج وقُلْفاً سطحية لحفظ التبغ في المناطق الجافة وبذوره دواء لمعالجة الاسهال . وفي السودان يستعمل قلف الجذع قابضاً ومقوّياً ويعتصر

من البذور زيت يدخل في صناعة (الورنيش) وخشب هذا الشجر صلب صفيق جميل المنظر جيد في العقل مرغوب فيهِ في الهند وغيرها لصنع الاثاث وعجلات جر الاثقال وأوتاد الخيام والمباريس المستعملة في تبييض الأرز وفي صنع السفن ومعاصر الزيوت وقصب السكر الى غير ذلك

الخَرُّوب

ويقال له (الخَرُّوب) وفي العراق (القِسْتَاء الشامي) شجرته صغيرة تنمو ببطء وتعمر طويلاً وتغل الى اكثر من مائة سنة ترتفع من ٦ امتار الى ٩ قلف جذعها املس سنجابي اللون وهي دائمة الخضرة . أوراقها من النوع المركب الريشي في الواحدة منها من ٥ وريقات الى ١٠ وهذه الوريقات خضر براقة بيضية الشكل ملساء كالجلد كاملة الحافة منفرجة القمة . وأزهارها صغيرة جداً عديمة البتلات (وريقات التويج) مخضرة مجتمعة في عناقيد اسطوانية الشكل . أما ثمارها فعبارة عن قرون منبسطة لحيمة صفر اللون قاتمة متدلية ذات لب سكري حلو يتراوح طول الواحد منها بين ١٥ سنتيمتراً و٣٠ وعرضه ٢ 1/2 سنتيمتراً

اسمه العلمي (Ceratonia Siliqua, L.) (سيراطونيا سيليكوا) وفصيلته الخيار الشنبرية او السنائية (Caesalpiniaceae) (سيزالپينياسية)

وبالانجليزية (St. John's Bread, Locust-bean, or Carob Tree)

وبالفرنسية (Caroubier; Arbre de carrouge)

وهو ذائع بجنوب اوربا باسبانيا والجزائر ويشرق البحر الابيض المتوسط والشام ودخل مصر وشمال الهند وكوينزلاند والولايات المتحدة وجنوب إفريقية وغيرها ويزرع بمنطقة البحر الابيض المتوسط لثمره الحلو المنبسط الذي يتجر به كثيراً وهو يؤكل كما يعطى علفاً للماشية مغذياً ممسكاً كما يستدل من تركيبه الكيميائي وهو :— ماء ١٤،٦ ٪ — البومينات او بروتيدات (مكونة للحم) ٧،١ ٪ — كربوهيدرانات (نشا وسكر الى غير ذلك) ٦٧،٩ ٪ — زيت او دهن ١،١ ٪ — ليف او سليلوز ٦،٤ ٪ — رماد ٢،٩ ٪ أما خشبهُ فثقيل متين احمر اللون جميل المنظر يرغب فيه للنجارة والوقود

وثَمَّ نوع آخر من جنس الشجر المعروف في مصر (بخف الجمل) من الفصيلة نفسها معروف في السودان باسم (خروب) و (تَمْبَرِيب) و (ابو خميرة) اسمه العلمي (Bauhinia reticulata D C.) (بوهيليا ريطيقولاتا) جاء عنهُ في كتاب برون ومامي عن نباتات السودان المطبوع سنة ١٩٢٩ ان الشجرة منهُ صغيرة تضرب اجزاؤها الخدينة الى الحمرة أوراقها كبيرة الواحدة منها ذات فصين أزهارها عديدة تبجانها بيض وكؤوسها تضرب الى الحمرة . ثمرتها قرن منبسط طويل مقوّس قليلاً احمر اللون قاتم براق طوله قدم وعرضهُ ثلاث بوصات . خشبها صلب على نوع ما أحمر اللون فاتح يستعمل وقوداً ، ويتخذ بعض نساء السودان من الياف قلف هذه الشجرة حبالاً ونسيجاً للثياب

وتؤكل البذور ويتمضمض بمغلي الاوراق في وجع الاسنان ويحصل من الجذور على صبغة لونها يضرب الى الحمرة كلون خشب الماهوجانة

السّنى

بالقصر والمد نبت يتداوى به والسّنى يطلق على الاوراق والثمرون الجافة لانواع معيّنة من الجنس النباتي المسمى علميًّا (قاسيا) (Cassia) وهو من فصيلة خيار الشنبر او الفصيلة السّمَارية (Caesalpiniaceae) (سيزالپينياسية) وهي المعروفة بخواصها المليّنة وتستعمل في الطب كثيراً

(١) من احسن الانواع في التجارة (السّنى المكّي) ويحصل عليه من النبات المسمى علميًّا (Cassia angustifolia, Vahl. Syn. Cassia lanceolata, Royle) (قاسيا انجوستيفوليا او قاسيا لانسيولاتا) وبالانجليزية (Mecca, Bombay, or Tinnivelly Senna) وبالفرنسية (Séné de la Mecque, de Bombay, ou Séné de Tinnivelly) شجيرته عشبية صغيرة معمرة اوراقها من النوع الريشي المركب في الواحدة منها من ٥ ازواج الى ٨ من الوريقات البيضية المستطيلة الضيقة. أزهارها مجتمعة في عناقيد اطول من الاوراق المتأبطة لها. ثمرتها قرن عريض مستطيل مقوس قليلاً مستدير الطرف مصراعاه في نعومة الجلد مجردان من الزوائد

ذائع في شمال إفريقية وشرقها ووسطها الاستوائي والجنوب الغربي من آسيا في بلاد العرب والسند وجنوب الهند برّيًّا او يزرع ويغل كثيراً فينتج الفدان المزروع منهُ من ٧٠٠ رطل الى ١٤٠٠ من الاوراق الجافة حسب ربة الارض

(٢) وهناك السّنى الاسكندري او النوبي) المعروف في السودان (بسنى الكلب) ويحصل عليه من (Cassia obovata, Coll. Syn. Senna obtusa, Roxb.) (قاسيا اوبوواتا او سنا أُبتيرزا) وبالانجليزية (Alexandrian or Nubian-Senna) وبالفرنسية (Séné d'Alexandrie, ou séné de la Nubie)

شجيرته عشبية معمرة اوراقها من النوع الريشي المركب في الواحدة منها من ٣ ازواج الى ٧ من الوريقات البيضية او المستطيلة المقلوبة الملساء. أزهارها مجتمعة في عناقيد إبطية قائمة. ثمارها قرون منبسطة كلوية الشكل مستطيلة مستديرة الاطراف عريضها للواحد منها مصراعان رقيقان في نعومة الجلد

وهو ذائع في الجنوب الغربي من آسيا بالسند وجنوب الهند ومنتشر في إفريقية ببلاد السنغال ومصر والسودان وغيرها وكثيراً ما تخلط اوراقه وثماره بأنواع السّنى الحقيقية في التجارة كما يحصل منهُ ايضاً على جزء من السنى الحلي والطرابلسي والايطالي والسنغالي الى غير ذلك

(٣) ومنها السّنى الاسكندري الحقيقي) ويقال لهُ في (مصر لسان العصفور) او (سنى سعيدي) او (سنى مكي) وفي السودان (سنى الرّيف) و (سنى مكة) ويحصل عليه من (Cassia acutifolia, Del.) (قاسيا آكوتيفوليا) وبالانجليزية (True Alexandrian Senna) وبالفرنسية (Veritable Séné d'Alexandrie) شجيرته عشبية معمرة اوراقها من النوع الريشي

المركب في الواحدة منها من ٤ ازواج الى ٥ من الوريقات البيضية او البيضية المستطيلة الحادة القمة أزهارها مجتمعة في عناقيد بآباط الاوراق العليا وهي اكثر طولاً من الاوراق . ثمارها قرون منبسطة مستطيلة عريضة مقوسة قليلاً طول الواحد منها ٥ سنتيمترات تقريباً

وهو ذائع في مصر وشمال إفريقية ومنطقتها الاستوائية والسودان والجنوب الغربي من آسيا وتخلط اوراقه الجافة في التجارة باوراق السنى الاسكندري او النوبي والسنى المكي السابقين

والعنصر الفعّال في السنى هو الحامض القنارتيك الذي يوجد في نباتات اخرى . وعلى الجملة فهذه الثلاثة هي الانواع المهمة التي يحصل منها على السنى الطبي

وقد جاء ذكر السنا في الهدى النبوي في علاج يبس الطبع اللين . روى الترمذيّ في جامعه وابن ماجة في سننه من حديث اسماء بنت عُمَيْس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار جار ثم قال استمشين بالسنا فقال لو كان شيء يشفي من الموت لكان السنا . وفي سنن ابن ماجة عن ابراهيم بن ابي عبلة قال سمعت عبد الله بن حَرام وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء من كل داء الا السام قيل يارسول الله وما السام قال الموت . قوله بم تستمشين اي تليين الطبع حتى يمشي ولا يعير بمنزلة الواقف فيؤذي باحتباس النجو

الحبة السوداء

ويقال لها بالفارسية (الشونيز) وهي (الكمون الاسود) و(الكمون الهندي) معروفة بمصر و(بحبة البركة) و(بالحبة المباركة)

هي نبات عشبي سنوي ساقه قائمة الى ٣٠ سنتيمتراً أزهاره زرق فاتحة ثماره علبية بيضية الواحدة منها مكوّنة من ٣ كارپلات (اعضاء تأنيث) الى ٦ ملتحمة الى القمة وبذوره خشنة سود ذات رائحة عطرية وطعم حرّيف . اسمه العلمي (Nigella sativa, L.) (نيجيلاً ساتيوا) وفصيلته الشقيقية (Ranunculaceae) (رانتقولاسية) وبالانجليزية (Small Fennel-flower or Black Cumin) وبالفرنسية (Nigelle cultivée, Nouelle romaine; Toute épice) موطنهُ جنوب اوربا ويزرع في صعيد مصر والسودان وبلاد البحر الابيض المتوسط والهند وفارس للحصول على بذوره العطرية المذهبة للريح المقوية للمعدة . قال اهل العلم بالطب ان طبخ بذور الحبة السوداء حار يابس وهي تذهب النفخ وتنفع من حمى الربع ومن البلغم وتفتح السدد وتذهب الريح وتجفف بلة المعدة وتذيب الحصاة وتدر البول والطمث وفيها جلاء وتقطيع واذا دقت واديم شمها نفعت من الزكام البارد وتفيد في علاج اليرقان وضيق النفس والصداع البارد ووجع الاسنان الناجم عن برد . وقد ذكر ابن البيطار وغيره ممن صنف في المفردات في منافعها ما تقدم واكثر منهُ وتستعمل مفردة ومركبة مسحوقة وغير

مسحوقة أكلاً وشرباً وسعوطاً وضماداً يستخرج منها زيت يستعمل بنجاح في السعال العصبي واوجاع الصدر وتعتبر من التوابل ويعطَّر بها الخبز. وقد ورد ذكرها في حديث صحيح عن عائشة رضي الله عنها انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء الاَّ السام (والسام الموت) والمراد كل داء يقبل العلاج بها فانها انما تنفع من الامراض الباردة. فقوله في الحديث كل داء من العام الذي يراد به الخاص لانهُ ليس في طبع شيء من النبات ما يجمع جميع الامور التي تقابل الطبائع ومعالجة الادواء بمقابلها ولأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصف الدواء بحسب ما يشاهده من حال المريض فلعلَّ قوله في الحبة السوداء وافق مرض من مزاجهُ بارد فيكون معنى قوله شفاء من كل داء اي من هذا الجنس الذي وقع فيه القول واستثنى السام في هذا الحديث كما استثنى في حديث ما انزل الله داء الاَّ انزل له شفاء الاَّ السام في بعض رواياته. ولعلَّ التقدير الاداء الموت اي المرض الذي قدر على صاحبه الموت. واعتبار الموت مرضاً جار على ما تقول العرب وداء الموت ليس لهُ دواء

وثمَّ انواع اخرى من الحبة السوداء او الشونيز اهمها:

(١) الشونيز الدمشقي (Nigella damascena, L.) (نيجيلا داماسينا) وبالانجليزية (Love-in-a-mist; Catchrine's flower; Damask fennel-flower) وبالفرنسية (Nigelle de Damas) اي شونيز دمشق و(Cheveux de Vénus) اي شعر الزُّهرة. وهو اجمل نوع في المنظر واصله من قسم البحر الابيض المتوسط من بلاد البرتغال الى ما وراء البحر الاسود ويوجد في شمال فرنسا ودخل مصر في القرن الماضي واستنبت في البساتين كثيراً حتى نشأت عنهُ اصناف عديدة. ساقه بسيطة قائمة الى ٤٠ سنتيمتراً. اوراقه ريشية شبيهة بالشعر. أزهاره زرق فاتحة. ثماره ملساء كرية الواحدة منها مكوَّنة من خمس كاربلات ملتحمة ورأسها بذوره كرأس السليك. قيل إنها مقوية مشدَّدة طاردة الرياح مخية مدرة للطمث والبول

(٢) الشونيز الاندلسي (Nigella hispanica, L.) (نيجيلاَّ هيسبانيقا) يزرع للزينة ببلاد اسبانيا وبلاد المغرب وفرنسا ودخل مصر في القرن الماضي. وهو نبات خال من الزغب سنوي ساقه مخينة قائمة الى ٦٠ سنتيمتراً. أزهاره زرق او بيض في حجم أزهار الشونيز الدمشقي ثماره خشنة غدِّية كبيرة عرض الواحدة منها مثل طولها ومكونة من ٨ كاربلات الى ١٠ ملتحمة وبذوره ملساء

(٣) الشونيز البرِّي (Nigella arvensis, L.) (نيجيلاَّ اروفنسيس) وبالانجليزية (Field fennel-flower) وبالفرنسية (Nigelle des champs) اي شونيز المزارع ينبت بكثرة في المزارع التي تحصد باوربا وبلاد المغرب والشرق وقليل الوجود في مصر وهو نبات صغير جميل ساقه بسيطة عديمة الزغب ترتفع الى ١٥ سنتيمتراً تقريباً. أزهاره زرق سنجابية. قيل إن بذوره معطسة

التفاؤل والتشاؤم

Optimisme & Pessimisme

لرسلان عبد الغني اليفي

ما اسعدك لو اتيح لك ان تلج حديقة ايقور الجميلة حيث الطير الشادي بلا انقطاع ، والزهر الدائب الايناع ، وحيث الشجر المورق المثمر ، والجدول الدائم الخرير ، وتجلس في اصيل من ذهب فوق بساط من سندس ، تحت خيلة من ياقوت ، وتلمس رجليك في قناة من لجين ، وشعرك في نسيم من حرير ، وتطير بعقلك في سماء من خيال فتشعر بأن كل ما ترى وكل ما تسمع ، وديع كالحمل حلو كالقبل ، ضاحك كالنسيم ، فيصفو ذهنك ، ويرهف حسك ، وتميل نفسك وأنت في هذا الجو المشبع بشذا الحب وشذا العطر ، الملىء بالموسيقى والشعر ، أن تحتسي بضع اكؤس من تلك الخمر النيسابورية المسافة ، تترقرق من ثنايا الرباعيات الخالدة التي صاغها الشاعر الفيلسوف عمر الخيام في سويعات نشوته ، واحلام يقظته ، ثم تساقيت معها أكؤساً اخر من تلك الخمر البغدادية الشهية التي عصرها ابو نواس من عناقيد خياله ، والتي اصطلح الناس على تسميتها شعراً ، وهي مع ذلك وقبل ذلك ضرباً من ضروب الخمر بل لعلها اجود ضروب الخمر التي يشمل منها الشارب وينتشي

لا ريب انك تسخر من هذا العالم الترابي ، الذي يحيا فيه الناس مع الانعام ، وان تزور عنهُ ، فهذي روحك الخالدة ، قد غالبت جسدك الفاني ، وعمت بجناحيها فرحة مستبشرة حتى ولجت جناناً لما يطأها بشر ، فثمَّ صرح من قوارير ممرد . وثمر من اجناس منضد ، وطير لاباييل مغرد ، وثمَّ متاع جميل اسمى ما يكون الجمال ، طاهر أحق ما يكون الطهر ، لا شائبة فيه ولا دنية . يا للمقام الساحر ! لقد اعادك الى الطفولة وانت رجل ومنحك بسمة الطفل المدلل وأنت بأعباء التبعة مثقل وألقى بك بين احضان حلم جميل يرنحك فوق لجات الخيال كما ترنح القارب الصغير في رفق الأمم موجات من النهر قد عشقته وهو بين يدي صانعه الواحاً ودمراً ! !

لكنك هبطت الارض ثانية ، وانت الحين في المعرة ، ولم يبق في نفسك مما نلت من لذة . وما تذوقت من متعة ، الاَّ آثار الذكرى . بيد انك تركت القبور ورحت تجوب انحاء القبور . تنظر من يمينك وعن شمالك متأملاً مفكراً ، ثم هأنذا قد وقفت أمام قبر كتب عليه

هذا جناهُ أبي عليَّ وما جنيتُ على أحد

فصحتَ بصوت قطع سكون المقبرة الرهيب ... هنا يثوي أبو العلاء فهذا بيته !! وفي هذه

البقعة الموحشة الرهيبة تكلم رهين المحبسين وكان كليماً فيه جمال وفيه حزن وقليل من سخر. ثم حبات من در يتيم قد نثرت من جوف رمس ظليم، فاستحالت وحدها الى عقد نظيم، تريث ولا تعجل فقد يكون وراء هذا العقد شيء، فهذه قطعة اخرى تصلح ان تكون قرطاً! وهذه اخرى تليق بأن تكون سواراً!! عد الآن الى حسنائك فأنت اليها مشوق وزين جيدها ومعصمها الجميلين وأذنيها الصغيرتين بهذه اللآلىء الغوالي فهن خير ما يهدي الحبيب الى الحبيب!! لكن يا لسوء حظك فهذا الدر اليتيم الذي خلت انك بالغ به قلب حسنائك لم يزدها الا نفوراً منك واعراضاً عنك. لقد ظننتك تسخر منها وتكيد لها فهي لهذا قد أبت منك الدر وارتضت من خصيمك المحرز!! حاولت أن تزين به جسدها لتزداد جمالاً فازدادت قبحاً ودمامة وبدا عليها كما يبدو الثوب الفضفاض على الرجل النحيل بل بدت فيه كما تبدو بلبلس (الكرنفال) حقاً ان الدر قد لمع في موضعه — ولكنه ما لمع حتى الطفأ لألاء الابتسام على ثغرها والنور في جبينها وحتى انقبض صدرها وانساب الخوف الى قلبها فألقت به أمام عاشقها وفرت عجلى تنشد ملاذاً!! ألا تباً لك أيها العاشق وجندلاً سميت بشهرة السائح أبي العلاء فدار بخلدك — أن تزور حانوته. لكن أبا العلاء قد خدعك عن نفسك. فباعك درّاً لا يصلح لان يكون سواراً (خطبة) أو عقد (عروس) أو قرط (حب)!! فياليتك حين كنت في حديقة ابيقور قد قطعت وردة أو زنبقة، أو جلة من طلح وشيء من سدر قليل أو ليتك وانت تحتسي من راح الخيام وراح ابي نواس قد فكرت في استبقاء كأس من هذه وكأس من تلك. اذن لنلت ما كنت تطمح من قلب حسنائك ولما افتقدت حبها في اللحظة التي رقبتك فيها لتهبك قلبها خالصاً بلا ثمن!! فنفسك لم ان كنت لا بد لائماً وعيناً تنتظر أوبة عصفورك الهارب. عند وكره، فما هو براجع اليه ابداً!!

صدعت قلبك الصدمة. فأنت مفتقر الى طبيب يضمد جراحه فلم اخترت لطاسيًّا من (المانيا) هو (شوبنهاور) ليعالج تضميد جراحك وتسرية همومك ورقأ دموعك؟ لن يكون دواؤه عند كل صباح ومساء الا ان يلقي عليك فصولاً من سفره الخالد (الارادة) ولسوف يجذبك وهو يسمعك هذه الفصول المنمقة الثمينة الى فراديس رحاب فيها دوح وتهر، وفيها زهر وثمر، ونصحنا لك ان شئت ان تقبله ألا تلجها وحسبك ان تقف لدى بابها وقفة الآبي، فقد ترى في منظرها عن كثب شيئاً يسر وشيئاً يخلب، خير لك ان تظمأ، وخير لك ان تجوع وأن تؤوب صادياً طاوياً، من ان تشرب جرعة، او تطعم ثمرة، فالماء والثمر، كلاهما قد نقشت فيه الاماني فسمته فأصبح قاتلاً!!

ويلوح لنا انك عدت من المانيا مريضاً كما ذهبت اليها مريضاً وان الطبيب شوبنهاور لم يعدك ولم يستطع ان يعيدك لان مرضك التوى عليه واستتر. وخير لك اذن ان تلقي بقنانينه واربطته (ومراهمه) بما حوت من دواء دون ان تجرع منه قطرة او تضع على جرح من جراحك (لزقة) فقد يكون

فيه حتفك ان فعلت . ولعلك وانت في ايامك سادماً حزيناً قد عنَّ لك ان تتجه نحو ذلك الموسيقي البائس (لامنيه) وهو يعزف على قيثاره (النشودة اليأس) لكن حذار ان تسمعه بقلبك وعواطفك واقنع منهُ بسمع لا يتجاوز صماخ الاذن ، تلذذ بموسيقى النغم دون ان تذهب معها بعيداً حيث تحاول ان تستقر فقد يكون مستقرها ناراً تحرق او بحراً يغرق ! ! ارث لهُ رثاء انسان بمجدود لانسان مفؤود لا يستطيع ان يمحو شيئاً من بؤسه وشقائه . ولا تعجب بهِ او تحاول ان تشاركه في حزنه فأنك وان كنت مثله حزين الاَّ ان حزنك قد جدَّ في سيره حتى لحق الفجر وهو من الصبح قاب قوس في حين ان حزنه والليل صنوان التقيا في مئزر واحد وسيظلان كذلك ابداً ! ! انت تصيح لهُ وهو ينشد !

(ايه أيتها النفس لِمَ انت دائمة الحزن والاكتئاب ؟ أليست الشمس في جالها الخلاَّب ترسل اشعتها حبات من الياقوت الاحمر وهي طفلة في المهد يرعاها الفجر ؟ وسلاسل من ذهب خالص وهي عذراء قد نمت وترعرعت ثم سقرت من خدرها تغازل الصبح ؟ انظري ايتها النفس الى اوراق الشجر كيف تختال في اغصانها رافلة في حلل مختلف الوانها ! وانظري الى الازهار كيف تفتحت اكمامها على نور اشعتها كما تتفتح اجفان الهُجَّع عند اليقظة ، بل انظري الى الطبيعة جميعها كيف نفضت عنها رداء الكرى ، وهبت فرحة متهللة لتستقبل حياة جديدة كلها بهجة وكلها حراك ! ان كل كائن يتنفس قد شحذ لسانه ليحمد للطبيعة هذه الآلاء العديدة التي اغدقتها عليه في سخاء لاحدَّ لهُ ولا من معهُ . فهذا العصفور الصغير قد وقف على فنن الدوح ينشدها قصائد مديحه والفضاء يردِّد صداها وهذه ربات الشعر قد طفقن بين الكلأ الاخضر رائحة وغادية . فلماذا تأزرين بكساء من الحزن كثيف اذا كان كل مخلوق على وجه البسيطة قد تمدَّد بين احضان المسرَّة والنعم في كوثر الحب في ذهول الخيال ؟ ان الشمس جميلة حقاً واشعتها خلابةٌ حقاً والطبيعة جميعها قد استعادت على ضوئها الحياة ، وانتعشت غلتها وارتوت ولكنني احز الودج حزناً واقرع السن ندماً لان هذه الحياة البهيجة المنعشة التي ابتسمت لها ثغور الاطيار والاشجار والبحار قد وقفت حيث هي ولم تمد اليَّ يداً . فثمَّ عالم قد غمرتهُ الشمس بأمواج من الضوء وتيارات من الدفء في حين ظلَّ عالمي الذي تعيش فيه نفسي محروماً من قبس من نور او جذوة من نار فهو دائماً في ليل داج مقرور قد لفهُ الشتاء في كساء من ضباب اغلب ظني انه كفنه الابدي . فلتذر اولئك التعساء الذين ليس لحياتهم ربيع ولا وراء ليلهم صبح ان يبكوا من القلب دماً قدمع العين قد جفَّ ونضب بعد ان جرح الاجفان وما اطفأ اللهب) (١)

نداء يائس أرضى ان تجيبه ؟... والآن ماذا ترى في ابيقور وصاحبيه الخيام وأبي نواس ؟ ترى فيلسوفاً وشاعرين او فيلسوفين وشاعراً قد ابتسموا للحياة فابتسمت لهم الحياة وتودَّدوا اليها تودُّد الاغصان الى النسيم ، فخت عليهم حنوّ المرضعات على الفطيم ، ورضوا عنها رضاء لا يشوبهُ تذمر او شكاة

(١) عن لامنيه La mennais بتصرف

فكشفت لهم عن نفسها في مرئي فرأوا جمالاً لم ترهُ عين ، ولا سمعت بمثله اذن فراحوا يترحون ويصيحون ويختلسون اللذات اختلاساً ويستمتعون في شهوة النهم ! ثم ماذا ترى في رهين المحبسين وصاحبيه شوبنهاور ولامثيله ؟ ترى فلاسفة ثلاثاً ، قد وضعوا على اعينهم مناظر سود فرأوا كل ما في الكون اسود كالليل ، ووضعوا اصابعهم في آذانهم فألفوا كل ما في الكون هادئاً كالقبر ، فبرموا بالحياة وعبسوا في وجهها . عابوا محاسنها وهن ملاح ، وارتطموا بالراح في الاقداح ، فكسروا الاقداح وأراقوا الراح ، وقالوا الحنظل اريق . فأين الرحيق ؟ وقالوا والشمس في هودجها فتاة ، يا لك من ليل اطول من ظل القناة ! وقالوا البلبل وقد فتح فاه ، وغرد فرحاً بالحياة ، توار غراب البين ، وانعق في مكان سحيق !

والانسان في هذه الحياة احد رجلين رجل كأبقور وصاحبيه وآخر كالمعرّي وصاحبيه !! رجل متفائل مستبشر بالحياة راضٍ عن عيشه الا في لحظات قصار اشد ما يكون القصر ، لا يقنطهُ ما تصنعهُ به يد الناس والقدر ، ولا ما يحيق بهِ من الاحداث والغير ، ان مُرَّ لم يذهب بهِ المرور الى حد الخيلاء والبطر ، أو تألم لم يهو بهِ الألم الى حضيض الضعف والخور ، يرى أن ما هو فيهِ خير ، وينتظر ما هو أخير ! يعمل في هدوء ما يوحيه الزمان والجد ، ولا يحمل نفسه عبء الاهتمام بما قد يجيء بهِ الغد ، يرى ان كل جرح لا بد أن يندمل مع الزمن وأن كل نجاح في سعي بوقتهِ مرتهن ، فهو لهذا لا يقرع على ماض سن ندم ، ولا يوجس خيفة من آتٍ لفَّ في دثر من ظلم ، ان نام نام ملء جفنيه لا يشهد سهداً !! وان استيقظ استيقظ وهو منشرح الصدر يستقبل في يومه الجديد آمالاً جُدُداً . اما الناس عدوه وصديقه فلا سبيل له معهم الا ان يحبهم كأخ سمح ، ينظر الى محسنهم بالمدح والى مسيئهم بالصفح ، والى معوزهم بالمنح وهو في كل هذا يرى ان لكل مخطىء عذره مادام الانسان خلق ضعيفاً ومادام اول ناس أول الناس

(انظر الى عيني هذا الانسان المتفائل كيف يلمع فيهما بريق الأمل والرجاء وتأمل نظراته تجدها ملأى باليقظة والجاذبية والحياء ، وانظر الى شفتيه ألا ترى انهما دائماً على أهبة الابتسام عند اقل اعتذار ألسنا جميعاً نحب ان نحيي هذا الابتسام الحلو بابتسام مثله حلو ؟ ألسنا نرقب أن يسمعنا هذا الثغر تحية صباح أو مساء ؟ انهُ يذكرنا بهبات الرياح على سنابل القمح ، وتكسر الموجات على شطآن البحر ، وخطرات النسائم بين الشجيرات والزهر ، وبكل صوت في الطبيعة يأسر اللب ويملك الحس . انهُ مليء بالموسيقى والشعر ، مليء بالجمال والسحر !!

(ثم انظره كيف يمشي ترَ قدمين ثابتتين وخطوات مرنة متزنة تنم على رصانة واتئاد ، وتراه يحمل ساعديه في خفة او يضعهما بترنحان الى الجانبين في انتظام وبداه واصابعه ؟ هلا تكشف عن قوة وعزم ؟ ورأسه الشامخة في غير زهو او سلف — ولكن في رفعة معتدلة ووضع منتظم هلا تدل على احترامه لشخصه واعتلاكه ناصية ذاته او ثقته بنفسه ؟ هلا تدل في وقت واحد على انه

متواضع في غير ذلة متسائل في غير كبرياء ؟ وعى انه في وقت واحد شديد في غير قسوة ، لين في غير خضوع ؟) (١)

لا ريب انك تريد في أن اصف لك الرجل الآخر الذي يقف من هذا الذي وصفناه من قبل موقف الليل من النهار ، والحظل من العقار ، حسبك ان تقلب الوصف وتعكس الآية فتظفر بما تريد وهل هو الا رجل قانط متشائم ينتظر الضر حيث لا ضر ، ساخط متبرم بعيشه احلولى ذلك العيش أو مر ، لا تسره شمس تطلع ولا شمس تغيب ولا يبهجه شتاء ذو صر ولا صيف ذو لهيب ، تضيق به الغرفة كما يضيق به الفضاء ، ويقبضه نظره الى الارض أو نظره الى السماء . يريد دنيا غير هذه الدنيا . وأناساً غير هؤلاء الناس . بل لعله يريد نفساً غير نفسه وحساً غير حسه ، هو حائر مضطرب يصور لهُ عقله المقيد بقيود الوهم كل جميل في هذا الوجود قبيحاً ، وكل شاد في الكون يصيح ويشكو . (انظر اليه تر عينين كليلتين قد فقدتا منذ زمن بعيد ما أعارها الشباب من جذى مشتعلات . تأملها لا ترى فيهما بارقة أمل أو لمعة حياة ..... وشفتين متدليتين قد ضلتا سبيلهما الى الابتسام يخيل اليك ان مر بك صاحبهما تحية لا بهجة فيها ولا روح . بئس كلم مصطلح عليه كله تصنع وكله فتور ! ! وقدماه ؟ ألا ترى انهما متوانيتان تسحب احداهما الاخرى كأنهما لا تجدان ميلا الى المسير او لا تريدان أن تحملا ذلك العبء الثقيل ؟ ... وذراعاه ؟ معلقتان الى الجانبين في ضعف وجمود وأصابعه رخوة كاصابع المحتضر)(٢) انسان قد اهرم وهو شاب فراح يشوكأ على عكاز شيخ وجبان يخشى ان يرفع قدمه مخافة ان يصيبها الزلل يفر من الشيء ويخاف من لا شيء . يذر رياض السعادة الزاهرة الثامرة وراء ظهره ليخبط خبط عشواء في بيد من الضلال لا اول لها ولا آخر ولا ثمار فيها ولا ازاهر ولا طير ولا نهر . ولا ديار ولا شيء الأعراء يقصر فيه قاب الطرف وهو هكذا موغل فيه كالمنبت لا طرق لهُ على بلوغ نهايته ولا قدرة لهُ على المآب ان اراد ... هذه حياة المتشائم من الناس سوداوي المزاج ، ولو ان السعادة سعت اليه في أبهى حللها لشاح عنها بوجهه يائساً فان ابت الا تعلقاً به اقصاها عنهُ وفر من المكان الذي هي فيه كما يفر جبان من خصيم يتقيه

حقاً أن الحياة لا تخلو من الالم . وهذا المعلم ، لا يريد أن يعلمها وانما هو يريد أن يهذبها والدمع الذي يولده ، منها يسقي زهرتها كما تسقي الروع قطرات الطل وماء المزن . والالم مر . ولكنهُ مر كالدواء والنفس التي ترفض الالم شبيهة بالمريض الذي يرفض الدواء الذي فيه شفاؤه حتى اذا أعضل داؤه استحال البرء منهُ ابداً . انا حينما نخاف دائماً ان نزل بنا القدم لا نسير ولا نتقدم نبين كأنا (أجبن من صافر) وان تلك اشجع من اسد ضار وحينما نخاف السقاط لا نبس ولا نتكلم نبين كأنا

(١) Elements of Success (Lily L. Allen)

(٢) ينصرف من (ليلي . ل. الان) في كتابها (Elements of Success)

(أهيا من باقل) وأن لك (أخطبمن سحبان وائل) افهل مثل هذه السعادة الحرجة المحدقة بسيران من التردد والخيفة سعادة انسان حي ام سعادة جلمود وجيفة ؟ او ليست هذه تعلة من ركن الى الرذيلة ورضى (بحشف وسوء كيلة) ؟ انظر الى النفس ما في العالم وانظر الى اجل ما في العالم تر النفيس والجميل كلاهما حزين وتر ان هذا الحزن نفسه يزيد النفيس نفاسة والجمال جمالاً. فالبحر المترقرق كأنه بساط من لجين ترقص عليه الزوارق والسفين هذا البحر الذي يلوذ به القنطون ليعصمهم من القنوط ويعيدهم الى مرفأ الامل هو الآخر يتألم ويتألم في صبر وصمت فاذا عيل صبره وناء به صمته ، تذمر وشكا فعجّ موجه وطغت على الشطآن لجته . والسماء الصافية الاديم ينوء كاهلها بما تحمل ولكنها لاتستطيع ان تلقي به لانهُ قدّر عليها ان تحمله امانة حتى آخر الدهر. هذه السماء تتألم ولكنها لا تحب ان يشهد أحد ألمها لانها مخورة بما تحمل من كوكب ونجم فخر البطل بما يحمل من اوسمة المجد . فهي لهذا كثيراً ما تلتحع بالضباب لتخفي حزنها على أن هذا الحزن قد يعدو عليها فيمزق ثوبها ويفضحها فتبكي على الرغم منها دمعاً هواطل ! وهذه الدموع التي تترقرق من عينها جميلة وهي تتساقط كالدر النثير وجميلة حينما تهبط على الارض الموات فتحيلها الى روض نضير !!

والجبال الرواسي قد علا قنها الثلج ألا تذكرنا برؤوسنا حين يعلوها المشيب ؟ وهذه الاطلال الدوارس هلاّ تذكرنا بآمال حسان قد ذوت وحب شهي قد اخفق ؟ اوليس في هذه الذكرى ألمٌ ولكن هذا الالم محبب الى النفس لانهُ ألم نبيل يعيد الينا ذكريات جميلة ، نحب ان نحيا معها في حلم نوم او يقظة ! (وآيات الفن التي انتجتها القرائح البشرية الممتازة هلاّ تفيض آمالاً واحزاناً وشكايات ودموعاً ، فنيدون لافلاطون ، وفايدر لراسين ، وهملت لشكسبير ، وفاوست لجيتي ، والليالي لدى موسيه ، هي خير ما اخرج الناس من آيات البيان القديم والحديث لانها تنساب الى قلوبنا وتتغلغل في مشاعرنا حاملة احزاناً قد جلت عن الوصف واعتصمت من النفاد !) (١)

(فهذا الالم ما اجلهُ وما احلهُ ! تعساً لمن يعقهُ فيفعل به ما يفعلهُ الخطاب بالغصن يظله ! كم كان ينبغي للانسانية التي تسلقهُ بألسنة حداد ، وتنقم منهُ ، كما تنقم من النجم الجياد ، ان تباركه وان تمن في تمجيده ، لو انها كانت تفكر فيما تدين به له من يُدى سابغات ! ! انهُ عصى موسى التي تفجر من الصخور المحلة المارة ينابيع عذبة صافية ، يرتوي منها الصداة من البشر. لله دره من مؤدب حكيم ! يشوّب الجاني على ذلته ، ويفيق الغافل من غفلته ، ويحيل الطفل الماجن الذي لا يفرق بين التمرة والجمرة ، الى رجل مسؤول يقدر عبء التبعة ، والرجل المسؤول الى بطل عظيم يحمل آمال أمة ، وتحيل البطل العظيم الى قديس كريم ، لا يحصر جهده في حدود وطنه ، بل يتعداها الى كل بقعة درج عليها انسان يؤثر غيره عليه يشق ليسعده ، ويحترق كالشمعة ليضيء له ؛ فيهتدي بعد ضلال ، ويرعوي بعد تأثيم (٢)) . فأنت ترى ان المتفائل لا بدّ له من ان يتألم ولا بدّ له من ان

(١) عن بول جانيه Paul Janet من كتابه فلسفة السعادة (٢) جانيه : فلسفة السعادة

يبكي لانهُ لا يمكن تصور الحياة خالية من الآلام ولا من الدموع . بل لعلَّ المتفائل اكثر تألماً وأغزر دمعاً وفي الحق انهُ لكذلك لانهُ ادق حسًّا وأرق نفساً ولانهُ اكثر ارتباطاً بالناس وحبالهم وثقة فيهم من المتشائم الذي اعتزلهم وما يحبون !

ولكن هذا المتفائل سعيد محدود لان هذه الآلام الكثيرة التي يتحملها وهذه الدموع الغزيرة التي يريقها لا تصرفهُ ، ولا يمكن ان تصرفهُ ، عن حب الحياة ، لانها الثمن الذي بهِ اشتراها والذي بهِ اصبحت الحياة غالية ثمينة ! ! وكيف ينسى للعاشق الذي جاب من اجل معشوقتهِ السهل والحزن والبابسة والماء ، والبادية والحضر واستعاض من اجلها عن الاقامة بالسفر وعن النوم بالسهر ان يتخلى عن حبها بعد ان كلفهُ هذا الثمن الباهظ ؟ !

اما المتشائم فأغلب ظني ان المهُ قُتل ، ودمعهُ نزر ، فهو قلما يبكي لانهُ يستزري الحياة ويبخسها ثمنها فهو يدَّعي انها لا تساوي دمعة — لانهُ ليس فيها متعة ، وهذا الوجود الذي ليس فيهِ اثر ثمين ، لا يستحق تجميدة جبين ! ولكنه مع هذا بأس مرزأ بل لعله ابأس خلق الله طُرًّا ، ذلك لان ألمهُ صامت ، ودمعهُ جامد ، وليس اشق على النفس من الالم الذي لا يتكلم ، والدمع الذي لا يتحجر هذا فضلاً عن انهُ لا يجد امامهُ غرضاً سامياً يرمي اليهِ ويتعزى بهِ ويعيش لهُ ولا يجد امامهُ املاً يلوذ بهِ من يأسهِ

قد تحيط بالمتشائم لذائذ ومتع ولكنهُ لا يعرف كيف يتذوقها ولوقد تذوقها كما ينبغي لها ان تتذوق لكان أسعد الثقلين . قد تسمعهُ يضحك ويسرف في الضحك ولكنه يضحك من الفم لا من القلب ، فضحكه ميكانيكي لا بهجة فيه ولا هناء ، كالسراب الكاذب والبرق الخلب ليس وراءهما ماء وانما هما خداع سمع وبصر ، فالمجنون يضحك كما يضحك العاقل ، والثكلى تضحك كما تضحك العروس ، والسبع يبدو نابه اذ يغضب . وقل ايضاً : والسبع يبدو نابه اذ يضحك ! ! فالعبرة اذن بمصدر الفعل لا بمظهره . والعبرة ايضاً بجوهر الفعل لا بمظهره ، فكما تتفق المظاهر وتختلف الجواهر فكذلك تتفق المظاهر وتتباين المصادر . وخطأ نحكم على الناس من الوجوه او الثغور فما كل باكٍ مصاب ولا كل ضاحك مغتبط راضٍ وليست دموع الباكين وضحكات الضاحكين الا خدعة نخدع بها عن الحقيقة التي لا تتغيَّر ابداً . على انهُ بفرض ان ضحك المتشائم كان مبعثه السرور فهذا قليل وسروره فضلاً عن انهُ مشوب فهو وقتي والسرور الوقتي ليس دليلاً على سعادة صاحبه (فان خطافة واحدة لا تدل على الربيع لا هي ولا يوم صحو واحد فلا يمكن ان يقال ان سعادة يوم واحد بل ولا بعض زمن من السعادة يكفي لجعل الانسان سعيداً محظوظاً) [1]

بقي علينا وقد تعرضنا لشرح فلسفة التفاؤل والتشاؤم ان نعالج الاسباب التي جعلت هذا

(١) عن كتاب الاخلاق لارسطو ترجمة الاستاذ لطفي السيد بك

الانسان راضياً بفُلْه ينعم حتى في ألمه ، وذاك ساخطاً على كُثره يشقى حتى في نعيمه فنقول : —

لا مرية في ان نفوس الناس متباينة أشد ما يكون التباين حتى بين التوأمين ومع اللدنين ، فالنفوس معادن منها النفيس ومنها الرخيص ، والنفس الانسانية هي السبب الجوهري والرئيسي في توجيه الانسان وفي تكييف حياته واليها يرجع اكبر الفضل فيما يصيب من غُنْم ، وعليها تقع اكبر التبعة فيما يناله من غُرم ! ! ولكل انسان — بَلْه نفسه التي بين جنبيه — صفات متنوعة ورثها عن ابيه وجده ، وتجارب شتى اكتسبها بسعيه وجده ، ثم هو اما ان يقدر لهُ ان يمشي في ضوء العلم ، كما يمشي الساري في ضوء البدر يرتشف من مناهل المعرفة شراباً سائغاً ، ويطعم من جنان الحكمة أُكُلاً جنيًّا ، فيكون لهُ تحت قبة الشمس مكاناً يُغبط ولا يُغبط ، او يقضي طيلة حياته في ليل من الجهل بهيم يسير تحت سماء حالكة ، وفوق سبل شائكة ، بجوب اودية الضياع ، وقد عدَّ بين الناس من سقط المتاع ، وهذا الانسان بطبعهِ مدني لابدَّ له من جلاَّس صالحين او طُلَّح ، وخلاَّن اوفياء او غُدَّر ، قد يسخط على بيئتهِ ويمعن في السخط ولكنهُ ما يزال يؤثر فيها ويتأثر بها ، ولا يمكن لهُ ان ينفرد بنفسه بالمعنى المقصود من الكلمة ، وانما هو ينأى عن المنتديات والمجامع فلا يغشاها وهو في كل شعبة او ضحاها متصل بنفر من خلصائهِ — هم بلا ريب من صميم المجتمع الذي خال انهُ قد تخلص منهُ ابداً . هو بعيد عن جسم المجتمع ولكنهُ دائب الاتصال بروحه ، هو بعيد عن المصباح ولكنهُ يقرأ في ضوئهِ ، ينعم بشذا الزهور ولا يراها ، ويسمع هزيج الورق . وهو بعيد عن اوكارها . والطبيعة التي تحدق بهِ أليس لها في نفسه اثر ؟ ! قد تكون أليفة ساذجة كبنان الزنبق والورد ، وكروج العشب ، وكالجداول ذات الخرير الهامس كحديث العذراء ، وذات الماء الفضي ينساب كالافعى بين الرمال الملساء ، او مناظر غليظة كمناظر الغابات ذات الاشجار العالية كالاعلام ، او البحار العاجة الصاخبة كأنها مع الشطآن في حرب وخصام ، وكالابنية تطاول السحاب وكالمصانع ذات الدخان كأنهُ الضباب . . . ثم هو اما ان يكون في بسطة من الرزق تجعلهُ دائماً في مأمن من العوز او فقيراً معدماً لا يكاد يصيب قوت يومه الاَّ بشق النفس وذل الرقيق واما ان يكون متديناً يؤمن بقضاء الله وقدره او ملحداً ينسب كل شيء الى الطبيعة والى نفسه او متشككاً يمزج الايمان بالكفر مزجاً — فنفس الانسان التي حلت في هيكله وصفاته التي ورثها عند مولده ، وتجاربه التي اكتسبها وثقافته التي حصل عليها ، وبيئته الاجتماعية والطبيعية التي احاطت بهِ ، ودينه الذي اعتنقه ، وغناه الذي أعزه ، أو فقره الذي أذله ، كل هذه تدفع بهِ متساندة متضافرة وهو كالورق الصغير بين لجات خضم الحياة اواخر العاج الى مرفأ الامل والرجاء أو تهوي بهِ الى قرارة اليأس والقنوط . . . ! !

العبقرية العلمية

وحداثة السن

وماذا يبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حدَّ الاربعين

كان غليليو في الثامنة عشرة من عمره لما اكتشف ان خطرات الرقاص متساوية ثم انقضت اربع سنوات تنشر مباحثهُ في الثقل النوعي ومركز الثقل في الاجسام الجامدة. وكان في الثالثة والعشرين من عمره لما اكتشف ناموس الاجسام الساقطة. وقد قال أحد كبار العلماء « ان اكتشاف هذا الناموس أفاد العلوم الطبيعية اكثر من كتابات جميع الفلاسفة الذين سبقوا غليليو »

اما السر اسحق نيوتن فولد سنة ١٦٤٢ ودخل جامعة كمبردج لما كان في الثامنة عشرة من عمره فتعلم كل العلوم الرياضية المعروفة حينئذٍ وملك ناصيتها في وقت قصير

ولما كان في فرقة المدركين أي في الثانية والعشرين من عمره وضع قاعدة « ذي ثلاثة حدود » في علم الجبر وبعد تخرجهِ سنة ١٦٦٥ وضع حساب التمام والتفاضل ففاق عمله العلمي في سنتين أي في الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين من عمره عمل أي رجل قبله أو بعده. وسنة ١٦٦٦ اي لما كان في الرابعة والعشرين من عمره بدأ يبحث في قُعَل الجاذبية بالقمر واعلن حينئذٍ جانباً من ناموس الجاذبية العام الذي اتمهُ فيما بعد. ولم يوفق الى اثبات صحة هذا الناموس حينئذٍ وتطبيقه على حركة القمر لأنهُ استعمل في حساباتهِ رقماً لقطر الارض ثبت بعدئذٍ انهُ خطأ ولولا ذلك لكان أتم في الرابعة والعشرين من عمره أعظم عمل علمي عرفهُ التاريخ. ثم انصرف الى درس النور وصنع المرقب العاكس قبلما بلغ السادسة والعشرين من عمره

> توزع المقتطف في الشهر الماضي هديته السنوية وهي كتاب « أساطين العلم الحديث » المشتمل على سير ثلاثين عالماً من أشهر أقطاب العلم في العصور الحديثة فرأينا ان نقتصر على ذكر صورهم مآثر العلماء الذين اشتهروا في حداثتهم بمكتشفات خلدت ذكرهم في تاريخ العلم

وكتب هويجنس العالم الطبيعي الهولندي بحثاً في تربيع الدائرة والشكل الاهليلجي في الثانية والعشرين من عمره. واستنبط الساعة ذات الرقاص في السادسة والعشرين. وفي السنة نفسها تمكن من تعليل التواصل في حلقات زحل فكان أول عالم تمكن من ذلك

أما ليبنتز الفيلسوف الالماني الذي يشارك

نيوتن في الفخر لانهُ اكتشف على حدة قواعد حساب التمام والتفاضل ، فتعلق على درس القانون في صباه وكتب كثيراً من الرسائل المتعة بين السادسة عشرة والعشرين من عمره . واشتهر ايضاً بالتاريخ واللاهوت والفلسفة والسياسة والرياضيات وهندسة المناجم والآداب . وكان اكتشافهُ لقواعد حساب التمام والتفاضل في التاسعة والعشرين من عمره

وولد پسكال سنة ١٦٢١ وتعلم هندسة السطوح والاجسام في الثانية عشرة من عمره . ونشر بحثاً في « هندسة القطوع المخروطية » لما كان في السادسة عشرة منهُ ضمنهُ مبدأً لا يزال معروفاً باسمهِ الى الآن

وقد انجبت اسرة برنوبي ثمانية نوابغ في العلوم الرياضية في القرنين السابع عشر والثامن عشر واكثرهم نبغوا في حداثتهم فنقولا برنوبي كان يتكلم اربع لغات لما كان في الثامنة من عمره وفاز بشهادة الدكتوراه العلمية من جامعة بال في السادسة عشرة وعين استاذاً للرياضيات في الحادية والعشرين

أما دالمبر (١٧١٧ — ١٧٨٣) العالم والفيلسوف الفرنسي فكتب بحثاً يدل على النضوج والابتكار في حساب التمام والتفاضل لما كان في الثانية والعشرين . ولما كان في السادسة والعشرين بحث في «الديناميكا» بحثاً وصفهُ أحد العلماء بانهُ « فاتحة عصر جديد في الفلسفة الميكانيكية »

ونشر لابلاس أعظم علماء الفلك الفرنسيين بحثهُ في « حساب التمام والتفاضل » قبلما بلغ سن العشرين واتبعهُ في السنوات الاربع التالية بمباحث مبتكرة في «قانون المرجحات» استدعت اعجاب العلماء في اكادمية العلوم الفرنسوية

وقال العالم بولر السويسري لقب استاذ في العلوم لما كان في السادسة عشرة من عمره وكتب رسالة نال بها احدى الجوائز التي تمنحها اكادمية العلوم الفرنسية وهو في سن العشرين وعيّن استاذاً للطبيعيات في بطرسبرج في الثالثة والعشرين واستاذاً للرياضيات العالية في السادسة والعشرين

ولقب لاغرانج العالم الرياضي الفرنسوي « اعظم عالم رياضي حيّ » وهو في سن الخامسة والعشرين

وقيل ان كارل فردرك غوس احد نوابغ العلوم الرياضية في العصور الحديثة (١٧٧٧—١٨٦٥) كان يستطيع ان يستخرج الجذور المكعبة في عقلهِ من غير كتابة لما كان في الثامنة من عمره . وبحث مباحث رياضية عميقة ومبتكرة قبل الرابعة والعشرين

***

هذا في الرياضيات واما في الكيمياء فكثير من المكتشفات الاساسية كشفها علماء في حداثتهم فوزف بلاك اثبت ماهية اكسيد الكربون الثاني في السادسة والعشرين من عمره ولافوازييه (١٧٤٣ — ١٧٩٤) ابو الكيمياء الحديثة مُنح الوسام الذهبي من اكادمية العلوم الفرنسية في

الثامنة والعشرين من عمره جزاء لهُ على رسالة كتبها وبحث فيها في افضل الوسائل لانارة مدينة كبيرة . وفي السادسة والعشرين من عمره نشر نتائج امتحانه الاول الذي اثبت فيه ان الاحتراق هو اتحاد المادة المحترقة بالاكسجين . واعلن الكيماوي الفرنسوي فاي لوساك القانون المعروف باسمه وهو في الثانية والعشرين ومؤدى هذا القانون ان الفراغ الذي يشغلهُ مقدار معين من الغاز على درجات مختلفة من الحرارة يتناسب مع درجة حرارته اذا بقي الضغط واحداً . وكان السر همفري دايفي في العشرين من عمره لما اكتشف ما لاكسيد النتروجين الاول من الفعل الفسيولوجي وعيّن استاذاً في المعهد الملكي بلندن في الثانية والعشرين . واستخرج الصوديوم والبوتاسيوم بطرق كهربائية لما كان في السادسة والعشرين

وكان فراداي تلميذ مجلد كتب فلم يكن ينتظر ان تأتي مكتشفاته العلمية باكراً لانهُ لم يدخل في خدمة السر همفري دايفي الاّ في الثالثة والعشرين من عمره وكان ما تلقاهُ من العلوم حينئذٍ زراً يسيراً ولكنهُ لم تنقض عليه سنتان او ثلاثة حتى بدأ يكتشف مكتشفات تضارع مكتشفات استاذه

ونال ليبغ الكيماوي الالماني المشهور رتبة الدكتوراه العلمية في التاسعة عشرة من عمره وعيّن استاذاً في جامعة غيسن في الحادية والعشرين منهُ فاسس فيها المعمل الكيماوي الاول الذي تعلّم فيه الطلبة مبادىء الكيمياء على الاصول الحديثة . وكان وهلر في السابعة والعشرين لما اكتشف معدن الالومنيوم وفي الثامنة والعشرين لما ركّب اليوريا من مواد غير عضوية . وبحسب هذا العمل مبدأ الكيمياء العضوية . وبدأ توماس غراهام في الرابعة والعشرين من عمره مباحثهُ في اختلاط الغازات التي ادّت الى كشف المبدأ المعروف باسمه . وعني برتلو الكيماوي الفرنسوي بمباحث الكيمياء العضوية في الثالثة والعشرين من عمره فأمرّ مقادير من الالكحول والحامض الخليك وغيرها من المواد البسيطة في انابيب محماة فركب منها بنزيناً وفينولاً ونفتالينا فكان عملهُ هذا وما تلاه العامل الاقوى في تنشيط المباحث المختلفة في الكيمياء العضوية . وولد بنعسن سنة ١٨١١ فنال رتبة الدكتوراه العلمية من جامعة غوتنجن سنة ١٨٣٠ اي لما كان في التاسعة عشرة من عمره . وبحث دوماس الكيماوي الفرنسوي في كيمياء الدم لما كان في الحادية والعشرين فقاق بحثهُ كل المباحث السابقة لهُ في هذا الموضوع

ولما كان السر وليم بركن تلميذاً لهوفمن الكيماوي الالماني صنع اول صبغ صناعي من قطران الفحم الحجري فترك الدرس على هوفمن وخاض ميدان صناعة الاصباغ فتغلب على كثير من الصعوبات الفنية والصناعية قبلما احرز المقام الذي عُرف بهِ وهو « مؤسس صناعة الاصباغ من قطران الفحم الحجري وما يتفرع عنها » وكان ذلك قبلما بلغ سن العشرين . وكان پاستور في الخامسة والعشرين من عمره لما بحث في العلاقة بين الاشكال البلورية وفعل املاح الطرطير الضوئي ، فأحرز بمباحثهِ هذه مكاناً رفيعاً بين علماء عصره

وعلى هذا النمط نستطيع ذكر اسماء ڤانت هوف وله بل واوهيليوس ورتشردس وماير وفشر وغيرهم. ولايخفى ان السر وليم رمزي الكيماوي الانكليزي احرز شهرتهُ العلمية بعدما تقدم في العمر فانهُ بدأ مباحثهُ في الغازات النادرة في الهواء حوالي سنة ١٨٩٢ فكشف غاز الارغون سنة ١٨٩٤ وثانيهُ الغازات الاخرى وكان ذلك في الثانية والاربعين من عمرهِ. ولكن لرمزي مباحث مبتكرة كيمائية وطبيعية قام بمعظمها في الثلاثين من عمرهِ فانتخب عضواً في الجمعية الملكية لما كان في السادسة والثلاثين

***

نلتفت الآن الى علماء الطبيعة فنبدأ بكارنو الفرنسوي الذي بدأ مباحثهُ في طبيعة الحرارة لما كان في الثالثة والعشرين ونشر بحثهُ الذي عنوانهُ « الدورة » وهو في الثامنة والعشرين وكان بحثهُ هذا ركن علم « الثرموديناميكا » . ونشر جول الطبيعي الانكليزي نتيجة بحثهِ في علاقة الحرارة بالطاقة الميكانيكية وهي المعروفة في كتب الطبيعيات « بعبارة جول » لما كان في الرابعة والعشرين

وسنة ١٨٤٦ كان هلمهلتز الفيلسوف الالماني في السادسة والعشرين من عمرهِ فوضع مبدأ حفظ القوة او عدم تلاشيها وكان قد اشتهر قبلاً وهو في الحادية والعشرين من عمرهِ باكتشاف الخلايا العصبية في العقد العصبية

وكتب لورد كلفن رسالة في الثامنة عشرة من عمرهِ ضمّنها خلاصة رأيهِ في عمر الارض ثم توسع في هذا الموضوع في كهولتهِ وشيخوختهِ . وكتب رسالة اخرى لما كان تلميذاً ، تدور على سير الحرارة في الاجسام الجامدة . وتخرج في جامعة كمبردج في الحادية والعشرين من عمرهِ وبحث اهم مباحثهِ في علم الثرموديناميكا بين السنة الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين من عمرهِ

وولد العالم الطبيعي ينغ سنة ١٧٧٣ وهو من اشهر العلماء الذين بحثوا في النور فحلّل وهو في العشرين من عمرهِ الاسلوب الذي تتكيف بهِ العين وفقاً لتغير قوة النور بالتغير الذي يطرأ على عدسيتها. ولما كان في الحادية والعشرين من عمرهِ انتخب رفيقاً في الجمعية الملكية ولما كان في السابعة والعشرين نشر كتابين ضمنهما اهم مباحثهِ العلمية ذكر في احدهما القواعد الميكانيكية التي تجري عليها العين وبحثا في ماهية الماء الذي يصيب العين فحلل يصيب تحدب بلورتها Astigmatism وكيف تبصر العين الالوان وماهية العمى اللوني وغير ذلك مما يتعلق بالنور والعين . والثاني في النور بيّن فيهِ الادلة على صحة مذهب التموج. ولما كان عمرهُ ١٥ سنة كان يلمّ باللغة اللاتينية واليونانية والعبرية والفرنسوية والايطالية والفارسية والعربية وفي اواخر ايامهِ اشتهر بين كبار علماء الآثار

اما فوكول وفيزو وميكلسن وكلهم من العلماء الذين عنوا بقياس سرعة النور ففعلوا ذلك قبل بلوغهم سن الثلاثين

والظاهر ان نبوغ كلارك مكسول كان باكراً جداً فانهُ لما كان في الرابعة عشرة من عمرهِ افتتح رسالتهُ العلمية الاولى امام جمعية ادنبرج

الملكية قبلما بلغ الخامسة عشرة وكان موضوعها « وصف المنحنيات البيضوية » وكتب رسالتين اخريين في موضوعات رياضية عويصة قبلما بلغ الثامنة عشرة وبدأ مباحثهُ المشهورة في ماهية المغنطيسية والكهربائية لما كان في الخامسة والعشرين ونال جائزة ادمن من جامعة كمبردج على رسالة في « حلقات زحل » لما كان في السادسة والعشرين

وكشفت مدام كوري الراديوم والبولونيوم في الثلاثين من عمرها فكان اكتشافها اساساً للمباحث الجديدة في الاشعاع. والظاهر ان كثيراً من مباحث سُدي ورذرفرد وهما من اكبر علماء الطبيعيات المعاصرين قاما بها في الثامنة والعشرين من عمرهما

وكشف موزلي مكتشفات عويصة كبيرة الشأن في الطبيعيات الحديثة لما كان في السادسة والعشرين وقتل في غليبولي في السنة التالية فكان موتهُ من فواجع الحرب العامة . ونشر اينشتين الجزء الاول من مذهبهِ في النسبية وهو في السادسة والعشرين وهو الآن يناهز الثالثة والخمسين

***

واذا التفتنا الى علماء الحياة والتاريخ الطبيعي وجدنا ان لينيوس (١٧٠٧ — ١٧٧٨) الذي « وضع علم النبات » اظهر كثيراً من النشاط والمقدرة في زرع النباتات وجمعها وملاحظة طرق نموها قبلما بلغ العاشرة من عمرهِ . واسترعت النباتات كل انتباههِ فاهمل دروسهُ حتى قنط ابوهُ من اعداده لدخول احدى الجامعات وعزم ان يُنظمهُ في سلك التجارة والصناعة ولكن احد الاطباء عرفهُ وادرك نبوغهُ فساعدهُ في اظهار مواهبهِ . وكذلك تمكن لينيوس وهو في الثانية والعشرين ان يكتب كتابات مبتكرة في « اجناس النباتات » من حيث هي ذكور او اناث وفي الثامنة والعشرين نشر كتابهُ المشهور بـ « نظام الطبيعة » واتبعهُ بكتب اخرى قبل سن الثلاثين

وكان جفري سانت هيلار في الحادية والعشرين من عمره لما عيّن استاذاً لعلم الحيوانات الفقرية في متحف باريس . واشتهر نبوغ كوفيه مؤسس علم التشريح المقابل في الخامسة والعشرين من عمره وعين عضواً اصيلاً في المعهد الفرنسوي حين تأليفه سنة ١٧٩٥ ونشر تبويبه لانواع الحيوانات في التاسعة والعشرين من عمره

اما اسكندر فون همبولت (١٧٦٩ — ١٨٥٩) فنشر مباحثه الجولوجية الاولى في سن العشرين وعين مراقباً لمصلحة المعادن لما كان في الثانية والعشرين على اثر كتابته رسالتين في اشكال النباتات الباقية آثارها في الفحم الحجري. وله مباحث مبتكرة في الكيمياء والطبيعيات والجولوجية انشأها كلها قبل سن الثلاثين

وولد الاستاذ هكسلي اكبر انصار دارون سنة ١٨٢٥ وتخرج من جامعة لندن حائزاً على المدالية الذهبية في الحادية والعشرين من عمره ، ونشر بحثه الذي عنوانه « بحث في تشريح المدوزا » قبلما بلغ الخامسة والعشرين فأحله في المقام الاول بين علماء الحياة وبحسب اساساً لفلسفة علم الحيوان

الحديث . وانتخب رفيقاً في الجمعية الملكية وهو في السادسة والعشرين ومنح مدالبتها في السنة التالية

وولد السر تشارلس ليَل العالم الجيولوجي الانكليزي سنة ١٧٩٧ وانتظم في سلك المحاماة في السادسة والعشرين الاَّ انهُ تعلق على علم الجيولوجيا فبحث فيها مباحث مهمة فاعترف بقيمة مباحثه كل من كوفيه وهلمهلتز وغيرهما وانتخب رفيقاً في الجمعية الملكية وهو في التاسعة والعشرين . ونشر كتابه المشهور في مبادىء الجولوجية وهو في الثالثة والثلاثين ومقامه في علم الجولوجية مثل مقام كتاب داروِن « اصل الانواع » في علم الحياة

وكتب جوهانس مولر رسالة عنوانها «تنفس الجنين » وهو في سن العشرين وكتب كتابه المذهب في الباتولوجيا العامة وهو في الثامنة والعشرين

واكتشف تيودور شوان الفسيولوجي الالماني مادة البيبسين وهي من المواد التي في العصارة المعدية لما كان في الخامسة والعشرين وشرح رأيهُ في « تركيب الجسم الحلوي » في التاسعة والعشرين

ونشر داروِن كتابه اصل الانواع وهو في الخمسين من عمره على ان خاطر الانتخاب الطبيعي خطر له وهو سائح في سفينة البيغل وكان حينئذٍ في السادسة والعشرين من عمره

***

اما المستنبطون والمخترعون فاليك بياناً مقتضباً عنهم :

بدأ وط بحثه في الآلة البخارية لما كان في الرابعة والعشرين من عمره وأتمها في الثامنة والعشرين . وسجل هورتي آلتهُ لحلج القطن في الثامنة والعشرين من عمره

واستنبط « هو » آلة الخياطة في السادسة والعشرين

واستنبط ادیسن الوسيلة لارسال رسائل كثيرة على سلك تلغرافي واحد في السادسة والعشرين من عمره . والفونغراف في التاسعة والعشرين . وسجل بل تلفونه في التاسعة والعشرين . وبرش محركه الكهربائي في السادسة والعشرين ونوره القوسي في السابعة والعشرين . واستنبط وستنغهوس فرملتهُ الهوائية التي تستعمل في القطارات في الثانية والعشرين من عمره .

واستنبط هول طريقة كهربائية تجارية لاستخراج الالومنيوم من معدنه وهو في الثالثة والعشرين

نحن والطبيعة

الطبيعة ! تكتنفنا وتحتضنا فنعجز عن الانفصال عنها ، وتجرنا كذلك عن الفرد الى ما وراءها . انها ابداً مشغولة بابتداع اشكال جديدة . فما هو كائن الآن لم يسبق من قبل . وما قد من قبل لن يعود . كل شيء جديد ، ومع ذلك فليس لي حياته الا القديم (غوته)

تقرير المباحث الطبية في

الغدد والفيتامين

وغيرهما من شؤون الصحة والعلاج [1]

[بقلم عوض جندي]

ما انفكت الغدد مدار اهتمام الاطباء خلال السنين العشر الماضية ، اذ ثبت انها بمثابة سلسلة ذات حلقة مفرغة يؤثر بعضها في بعض . ومن الاعمال الباهرة التي تمت فيها ، استخراج مادة منها تسمى كورتين Cortin وذلك من غلاف الغدة الكلوية (ادرينال) . ويستعمل الكورتين في علاج الاصابات المستعصية من مرض البول السكري البرنزي أو مرض أديسون Addison's disease الذي كانت الاصابة به تفضي الى الموت الزؤام . ولعلّ أهم ما تم في السنين الاخيرة في الغدد ، ثبوت أن الكبد ، وجدار المعدة ، يحويان مادة حيوية ، لتكوين خلايا الدم الحمر ، وان استعمال تلك المادة يمكن المصابين بالانيميا الخبيثة القتالة ، من استرداد صحتهم

وكان اهم ما تبينهُ العلماء في السنة الماضية ، ان الجسم لا يولد الهرمونات وحدها ، بل مضاداتها ايضاً . وبعبارة اخرى انهُ حينما تفرط الغدد في الجسم ، في اطلاق عناصرها المختلفة ، تأخذ الاعضاء والنسج ، المنوط بها مقاومة تلك المفرزات ، في توليد مواد مضادة لها ، تحدد فعل الهرمونات ، وتحدث التوازن في الجسد على الدوام . وتؤكد تلك المشاهدات ، القاعدة الأساسية ، وهي ان الجسد البشري آلة تنظم نفسها بنفسها وانهُ في احواله الطبيعية يستحيل حدوث حوصة فيه تزيد على حاجته ، ولا وجود محنة مفرطة . ولا نحافة شاذة ولا ضخامة خارقة ولا نقاد[2] . اما اذا استهدف الجسد لأحوال غير عادية إما من مرض واما من فشل الاعضاء أو عجز أي عضو حيوي عن اداء عمله بطل توازن الجسد وحلت فيه حالة غريبة . وبلي المكتشفات الخطيرة الخاصة بالغدد في عظم الشأن ، تقدم المباحث الخاصة بالتغذية . فقد كنا بالامس القاب ، نعدُّ الغذاء بمثابة وقود لتسيير حركة الجسد ، فأصبحنا موقنين ان للغذاء مهمة اخرى وهي احتواؤه على انواع الفيتامين الضرورية للنمو ودرء السقم . وتبين من تلك المباحث ايضاً مبلغ منافع المواد المعدنية للصحة

وانواع الفيتامين المعروفة حتى اليوم خمسة وهي المرموز لها بالاحرف الافرنكية A,B,C,D,E.

---

(١) بقلم الدكتور موريس فيشبين رئيس تحرير هيجيا ومجلة الصحة الطبية الامريكية . نقلا عن مجلة الديجست العامة

(٢) Cretinism — النقد — و cretin النقد بالكسر الغبي الجسم البطيء الشباب — اي الذي لا يشب كما جاء في الفيروزابادي . واذا انه ذكر ولم يذكر مصدره ولا فعله فرجع الى القياس فنقول نقاد بضم النون وزن فعال لانه دل على داء وهو أفضل من مقرقم

فالنوع الاول A — أ — ضروري لصون سلامة النسج ومقاومة الجسد للمرض بوجه عام . فاذا حرم الجسم منه ، تعرضت العينان للاصابة بمرض السلاق xerophthalmia [1] واذا نقص مقدار ذلك الفيتامين عما يحتاج اليه المرء ، نجم عنهُ اعتلال الاغشية المخاطية ، ولا سيما في منطقة التنفس . وقد يكون ذلك النقص مقروناً بالنوازل العادية ونحوها من الادواء الخاصة بجهاز التنفس . ويصحبه ايضاً ظهور بعض الامراض الجلدية . واذا حرم امرؤٌ من فيتامين B اي النوع الثاني ، صار عرضة لمرض البرص الايطالي (البلاغرا) او داء البريبري [2] وربما تصحبه اضطرابات في المنطقة المعوية والمعدية ، وفقد القابلية للطعام . واذا حرم الجسد من فيتامين C اي النوع الثالث ، ظهر فيه الاسقربوط . واذا عدم الجسم فيتامين D اي النوع الرابع ، تعرَّض للكساح

ومن احدث المستنبطات الخطيرة في السنين الاخيرة ، استخلاص انواع الفيتامين ، نقية . وقد اعلن استخلاص فيتامين C في سنة ١٩٣٤ الماضية . وكذلك استخراج فيتامين A اي النوع الاول الذي يسمى كاروتين Carotene بعد ان تبين ان المادة الملونة في الجزر الاصفر تعدُّ من اغزر المواد المعروفة ، احتراء على ذلك الفيتامين . وقد ثبت في الوقت نفسه ان كبد القفندر halibut هو اكثر اكباد السمك احتواء على فيتامين النوع الاول اي A [3] . فاذا مزجناه بزيت كبد القد ، صار المزيج ادسم مادة طبيعية تحوي فيتامين A و D اي الاول والرابع — لان زيت كبد القد ادسم مادة طبيعية تحتوي على فيتامين D . وقد تجلى لنا ايضاً ان الاشعة التي فوق البنفسجية في الشمس ، تؤثر في الجلد البشري فتولد فيه فيتامين النوع الرابع اي D وذلك من مادة يحتويها الجلد. فأصبح الانتفاع بالاشعة التي فوق البنفسجية مشهوراً ونشأ عنهُ اختراع المصادر الصناعية لضياء الشمس

وعقب تلك التحقيقات ، تبين للباحثين ان انواعاً شتى من الاغذية يمكن تعريضها للاشعة التي فوق البنفسجية لتكتسب منها فيتامين النوع الرابع اي D . وصار ميسوراً توليد ذلك الفيتامين في الحليب والخبز . ولما كان الكساح داء يصيب الاطفال والاحداث في الغالب ، واللبن يحوي فيتامين النوع الرابع أي D فتناول اللبن من افضل الوسائل لاعطاء ذلك الاطفال الفيتامين الذي يحتاجون اليه . ولم يظهر الكساح بين الناس الاَّ عند شيوع استعمال زجاج النوافذ المعتاد ، لانهُ يحول دون دخول الاشعة التي فوق البنفسجية في البيوت . وكذلك المصباح الكهربائي الدريُّ (المتوهج) لا يولد تلك الاشعة . بيد اننا اذا استطعنا الاستعاضة منهُ بنوع آخر جديد من المصابيح ، قد نتمكن من اضاءة بيوتنا ومدارسنا بضوء يحتوي على مقدار من الاشعة التي فوق البنفسجية فتؤثر تأثيراً حسناً في الكساح

والكساح كما لا يخفى على القراء ، داء يصيب العظام الطويلة فيمنع نموها كما يجب ، ويحدث

---

(١) السلاق — غلظ الاجفان في تحمر وتقرح (٢) البريبري نوع من الاستسقاء العام — مصحوب بفقر دموي وتشنج أو شلل في الاطراف السفلى وهو مرض معد يظهر بشكل ساد أو وبائي في الهند واليابان وسيلان . ولا يزال سببه مجهولا ويحتمل ان يكون بيكروبياً ولسوء الغذاء شأن فيه ايضاً (٣) انظر ما كتبته في مقتطف نوفمبر ١٩٣٤ بعنوان (احدث الباحث في انواع الفيتامين)

عيوباً في الاسنان والعظام الاخرى . وفيتامين النوع الرابع اي D يتحكم في تمثيل الكلس والفصفور في الجسد البشري ، ومن ثم كانت علاقته شديدة بكثير من الامراض التشنجية والكساح

وقد اثبت العلامة باستير حوالي سنة ١٨٩٠ أن الجراثيم مصدر للامراض . فتقررت بذلك أسباب كثير من الامراض المعدية وثبتت طرق نقلها وعرفت وسائل الوقاية منها . وأضحت الحمى الصفراء والطاعون والكوليرا والجدري ، نادرة في كل وسط متحضر . وامكن التغلب على الدفتيريا والحمى التيفوئيدية والحمى القرمزية

ومع ذلك لما تعرف اسباب الحصبة وشلل الاطفال ومرض النوم الامريكي Encephalitis الوبائي والتهاب الغدة النكفية والحماق[1] معرفة يقينية . غير ان المباحث التي تمت في السنين الاخيرة ، قد اسفرت عن تقدم باهر في كبح جماح تلك الامراض . وكذلك تمكن الباحثون من اختراع وسائل جديدة لمكافحة جراثيم التدرن . ثم بذلوا عناية خاصة في تطعيم الاطفال بجراثيم تدرن حية أزيل ضررها قبلاً بالوسائل الكيماوية . وقد اخترعت كواشف جلدية تبين عاجلاً ، هل الطفل قابل للعدوى بالتدرن او مصاب به فعلاً . ثم تحسنت أجهزة أشعة وتتجن باستعمال نوع جديد من فيلم ورقي لكي يسهل تصوير فريق كبير من الاطفال بتلك الاشعة بنفقات زهيدة جداً فيتسنى الوقوف على احوال رئاتهم واتخاذ الوسائل الصالحة مبكراً لوقايتها من ذلك الداء العضال

واذا بحثنا اسباب الوفيات ، تبين لنا ان كثيراً من اشد الاخطار التي تتعرض لها حياة الناس العصرية قد نجمت عن ادخال المواد الكيميائية الجديدة في الصناعة والبيوت ، ومن اختراع الآلات الحديثة ايضاً ومنها السيارات . والاسباب الستة الرئيسية للوفيات هي امراض القلب والكلى والالتهاب الرئوي والسرطان وتصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم والبول السكري . ولم تكن السيارات قبل سنة ١٩٠٠ مصدودة من اسباب الوفيات اما الآن فان حوادثها تأتي في المقام العاشر في قائمة اسباب الوفيات

والمواد الكيميائية المضرة بالصحة المشار اليها قبلاً ، هي غاز اول اوكسيد الكربون والبنزين Benzene ومشتقات الانيلين المختلفة الانواع ، والرصاص والزئبق ، وقد وجهت عناية عظيمة في السنين الاخيرة نحو المادة الكيميائية المحتوية على حلقة البنزين — وهي المؤلفة من ستة جزيئات كربون التي اذا دخلت جسد انسان حساس قللت بغتة عدد خلاياه البيض ، وهي الخلايا التي تحميه من الجراثيم ، ومن العقاقير التي تحتوي على دائرة البنزين ، البيراميدون Pyramidon وهو الدواء المستعمل لتخفيف الآلام ، ويدخل ايضاً في تركيب الادوية المنومة ، والعقار المسمى دينيتروفينول Dinitrophenol الذي يوصف لتخفيف السمنة

وازاء تفاقم الوفيات الناجمة عن اول اوكسيد الكربون والتسمم الزئبقي ، قد اتفقت جماعة من الكيميائيين والاطباء على بحثها لكي تكافحها . فاخترعوا وسائل جديدة لعلاج ذلك التسمم ينتظر نجعها

(١) الحماق — جدري المياه

وظهرت فائدة جليلة من استعمال ازرق المثيلين Methylene كترياق قاطع لسم اول اوكسيد الكربون، ولسم السيانور كذلك . وقد تقدمت ايضاً الوسائل التي استعملت لعلاج شلل الاطفال ، فقد اخترع الطبيبان موريس برودي Maurice Brodie في نيويورك وجون . كولمر John A. Kolmer في فيلادلفيا ، لقاحاً استخرجاه بتلقيح الحيوان الشوكية للقرد المصابة بذلك الداء ، ثم ازالا السم من ذلك الحبل الشوكي باستعمال المواد المطهرة . وينتظر ان ينتفع الاطفال بذلك اللقاح كوسيلة للمناعة وكعلاج للادوار الاولى من ذلك المرض. ولم ينقطع البحث والتحقيق في مرض السرطان في جميع انحاء العالم ولاسيما في الخلايا السرطانية وطبيعتها فأسفرت عن كون خلايا السرطان تدخر السكر كمصدر لنموها

واخترع المهندسون الكهربائيون اجهزة لاشعة رنتجن اقوى بكثير مما سبق ان اخترعوه ، وهي نافعة جداً لعلاج السرطان وانجع للوصول الى اصابات السرطان الغائرة من جميع الوسائل المعروفة. وانتشر استعمال الراديوم بمثابة مقوٍّ قوية تقصر زمن العلاج وتكفل فلاحه

وكان اختراع المخدرات الجديدة، والاجهزة الحديثة التي تقطع اللحم بالكهربائية ، وتقف نزف الدم ، وكذلك اختراع المطهرات الجديدة التي تمنع انتقال العدوى، بمثابة معجزات في عالم الجراحة ، فغدا الجراحون يكادون يستطيعون الوصول الى كل عضو من اعضاء الجسد . فنشأ عن ذلك تمكن الجراحين في كثير من الاصابات من نزع النصف الامامي للمخ فأنقذوا المصابين بسرطان الدماغ . كما استطاعوا في عدة حوادث استئصال احدى الرئتين وابقاء اختها ، محافظة على حياة المريض . وكان القلب ممدوداً من الاعضاء البعيدة المنال على الجراحين ، فأضحى في مقدور الكثيرين منهم اجراء العمليات الجراحية فيه وخياطته ، وبتر بعض تامورهِ [1] ونحوها من العمليات

ولا غرو فان الآلات الجديدة ، والاجهزة الحديثة المتنوعة التي اخترعت في هذا العصر ، تساعد الاطباء مساعدات باهرة في ذلك الميدان ، وتعد دعامة من دعائم تقدم الطب الحديث

وابتدعت آلات تساعد على التخدير ، فتريح المريض ، وتكفل سلامته . واستحدثت اجهزة ترفع درجة حرارة الانسان رفعاً صناعياً لعلاج الامراض العقلية وبعض حالات المخ. وقد استعملت جميع الوسائل التي تمد الجسد البشري بالحرارة اللازمة لعلاج الادواء الروماتيزمية

واخترعت ايضاً رئات صناعية يستعاض بها عن الرئات الطبيعية ، حينما تصاب هذه بالشلل كما يحدث للاطفال ، وحينما يتسمم امرؤ بأول اكسيد الكربون ونحوه . واخترع جهاز نافع يمد اعضاء الجسد بضغط جوي متعاقب يساعد في حالة التهاب الانابيب الدموية في الساقين

واخترعت مخترقات صغيرة لا تحصى ، تساعد على درس الطوارىء التي تطرأ على الجسد البشري وتسمع خفقان القلب ، واختلاج الرئتين وتقيس وظائف اعضاء الجسم المختلفة ، وهذه كلها اساس تقدم الطب ونجاح الاطباء

(١) التامور — غلاف القلب

سير الزمان

دستور السوفيت الاشتراكي

للاستاذ وليم بنت مورو

حول المشكلة الايطالية الحبشية

المستعمرات والموارد الطبيعية

نظام العقوبات

القتال والموقف الدولي

الدستور السوفياتي الاشتراكي [1]

للاستاذ وليم بنت سرو [2]

— ٢ —

في صيف سنة ١٩١٨ أقرّ مؤتمر السوفيت — الذي اصبح فيما بعد يدعى مؤتمر جميع الروس — دستوراً أعدّهُ له زعماء البلاشفة وهو لا يزال الى الآن دستور (اتحاد جمهوريات روسيا الاشتراكية السوفياتية) وفي الوقت نفسه منحت الأقاليم التي كانت قبل الثورة مستعمرات للتاج القيصري استقلالها وأقامت لها جمهوريات سوفياتية منفردة اتحدت بعضها ببعض وفي سنة ١٩٢٢ عقد بين جميعها معاهدة اتحاد عامة. وكانت نتيجة هذه المعاهدة نشوء (الاتحاد السوفياتي) أو (اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية (Union of Socialist Soviet Republics, U. S. S. R.) يشمله دستور اتحادي واحد وقعت عليه جميع الجمهوريات الداخلة في الاتحاد سنة ١٩٢٣ . ويشمل هذا الاتحاد السوفياتي العام سبع جمهوريات اتحادية رئيسية وهي : —

١ — اتحاد الجمهوريات الروسية الاشتراكية السوفياتية — Russian Socialist Federated Soviet Republics, R. S. F. S. R. وهي روسيا وسيبيريا الاصلية ولكل جمهورية داخلة فيها عاصمة ادارية أهمها موسكو وهي عاصمة الاتحاد العام ايضاً

٢ — جمهورية روسيا البيضاء الاشتراكية السوفياتية White Russian S. S. R. وعاصمتها منسك

٣ — جمهورية اوقرانيا الاشتراكية السوفياتية — Ukrainian S. S. R. وعاصمتها خاركوف

٤ — اتحاد جمهوريات قفقاسيا الاشتراكية السوفياتية — Transcaucasian Socialist Federated Soviet Republics وهي عدة جمهوريات لكل منها عاصمة ادارية أهمها تفليس عاصمة جمهورية اذربيجان وعاصمة الاتحاد القفقاسي ايضاً

٥ — جمهورية تركمانستان الاشتراكية السوفياتية — Turkmenistan S. S. R. في أواسط آسيا وعاصمتها عشقباد

٦ — جمهورية ازبكستان الاشتراكية السوفياتية — Usbek S. S. R. في اواسط آسيا ايضاً وعاصمتها طاشقند

٧ — جمهورية تاجستان الاشتراكية السوفياتية — Tadahikistan S. S. R. في أواسط آسيا ايضاً وعاصمتها ستالين آباد

---

(١) Socialist Soviet Constitution (٢) استاذ التاريخ والحكومات في معهد جامعة كاليفورنيا الفني بلميركا وقد نقل هذا الفصل المتع كامل ترانجي مدرس الاجتماع والتاريخ بمدرسة النجف الثانوية في العراق. راجع ملتقف يراير الماضي صفحة ٢١٩

وفي كل من هذه الجمهوريات السبع الرئيسية جمهوريات او اقطار ومناطق تتمتع باستقلال داخلي في شؤونها القومية حسبما تقتضيه التقسيمات الادارية والفروق الجنسية اللغوية . ومع ان لكل جمهورية حاستها الداخلية الاَّ أن جميعها تبعث بممثليها الى حكومة الاتحاد العام في موسكو

وقد انفصلت عن امبراطورية آل رومانوف عدة أقطار كانت قبلاً مستعمرات لروسيا لكنها الآن دول مستقلة وهي فنلندة ولتوانيا واستونيا ولاتفيا وألحقت بسارابيا رومانيا واعيدت بولندة الروسية الى بولندة الاصلية

يعلن دستور سنة ١٩١٨ في قمته ان روسيا «جمهورية سوفيت مندوبي العمال الفلاحين والجنود» وهي تقوم على اساس «اتحاد حر لأمم حرة» . ثم يعقب اعلان حقوق «الجموع العاملة المستغلّة» . — وليس حقوق جميع أفراد الشعب لان ليس (للشعب) معنى اقتصادي سياسي واحد في المجتمع الطبقي — وفي هذا القسم من وثيقة الدستور يؤكد عمل السلطات الثورية ويوافق على عملها بألغاء التملك الفردي ومصادرة جميع وسائل الانتاج من قبل الدولة وجعلها ملكاً للمجتمع تستغلّ لمنافعه العامة . وهكذا اعلن ان جميع الاراضي والمناجم والمعامل وجميع وسائل الانتاج والتوزيع والمواصلات ملك عام للمجتمع تشرف الدولة على استغلالها وادارتها واعطتها للعمال من دون مقابل على ان لا يكون لاحدهم فيها الاَّ حق الاستعمال والاستغلال بحسب مشروعات السوفيت أو السلطات المحلية وسلطات الاتحاد العام . وكذلك أعلنت الحكومة الغاء جميع ديون الحكومة القيصرية للحكومات أو الشركات الرأسمالية فكان ذلك ضربة شديدة على الحكومات الدائنة والمؤسسات المالية الدولية

يمنح الدستور السوفياتي جميع الحقوق المدنية ومنها حق الانتخاب لجميع المقيمين والمقيمات في الاتحاد السوفياتي البالغين سن الثامنة عشرة فما فوق من دون أي تفريق في الجنس أو الدين أو اللغة ومن دون أي قيد خاصّ بالاقامة على شرط (وهنا يؤكد الدستور) ان يكون المصوّت أو المصوّتة «ممن يقتنون عيشهم بعمل منتج ولا يستخدمون غيرهم بقصد الاستغلال والربح الشخصي» . وتنص مواد الدستور على ان الجنود والبحارة هم من الذين يحصلون على عيشهم بعمل منتج لذلك هم يتمتعون بحق التصويت كغيرهم . لكنه يصرح بحرمان الطبقات الآتية من حق التصويت واشغال المناصب والتمتع بالحقوق المدنية وهي : —

١ — كل من يستخدم الآخرين لغاية الاستغلال والربح الشخصي وجمع الثروة (ولا يشمل هذا استخدام الخدم في البيوت على ان لا يتجاوز عددهم حدّاً صغيراً معيناً)

٢ — كل من يعيش على دخل لا يُجبى من اتعابه الخاصة (كالربا والايجار والارباح الغير المشروعة) وكل من يتعاطى هذه الاعمال بأي صورة كانت

٣ — التجار الفرديين والوكلاء وغيرهم من اصحاب الاعمال النفعية الفردية النطفلية الغير الانتاجية

٤ — رجال الاديان على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم (وعلى الاخص اذا كانوا يعيشون بفضل مركزهم الديني لا من حرفة أو عمل منتج معين)

٥ — الاشخاص الذين كانت لهم اعمال او صلة ببعض دوائر الحكومة القيصرية

٦ — كل معتوه او فيه خلل عقلي او من يرتكب جريمة مأجورة او مخلة بالشرف

وكذلك ينص الدستور على منح الحقوق المدنية وحق التصويت للاجانب الذين يقيمون في بلاد الاتحاد السوفياتي إن كانوا يقومون بعمل منتج ويعتبرون مواطنين سوفياتيين من دون شرط معاملة رسمية اذا كانوا يعيشون على اتعابهم الخاصة في عمل منتج ويحافظون على قوانين وانظمة الاتحاد العام والسلطات المحلية . ومع ان عمر المصوّتين محدد عند سن ال ١٨ سنة إلاّ ان في الامكان تبديله بأمر من اي سوفيت محلي بعد موافقة السلطات المركزية

والذي يجدر بنا ملاحظته ان هذه الحدود لا تمنح التصويت العام لانها تحرم جميع الاشخاص إلاّ العمال بما فيهم الفلاحين والجنود ومعنى هذا ان نظام التصويت هذا يحرم كل من تبقى من البورجوازية الروسية وبقايا الاقطاعيين بما فيهم من جميع اصحاب الدكاكين الفردية والتجار الفرديين وكل من يستخدم شخصاً واحداً على الاقل لغاية الربح الشخصي وحتى الفلاح الذي يؤجر فلاحاً آخر في عمله الفردي يحرم من حق التصويت . وهكذا نرى ان الدستور السوفياتي يرمي الى تأسيس الدمقراطية الاقتصادية أولاً التي عليها وبواسطتها يمكن ان تنجح الدمقراطية السياسية والاجتماعية لذلك نراه يبدأ بتوطيد الدمقراطية بين الطبقات العاملة بينما يعلن دكتاتورية العمال على الطبقات الاقطاعية والبورجوازية القديمة . اي ان الطبقات العاملة تتمتع بالدمقراطية وتفرض دكتاتوريتها على الطبقات المستغِلّة القديمة لكي تتمكن من ادماجها في الطبقات العاملة إن عاجلاً وان آجلاً . وفي هذا العمل بدء منطقي للبلاشفة لان نظرية الحكومة الطبقية في نظر الشيوعية تتلخص باعتبار جميع الطبقات الغير العاملة مستغلة متطفلة تعيش على الطبقات العاملة لذلك يتحتم على الطبقات العاملة التي تأتي في آخر الطبقات في التدرج التاريخي ان لا تتساهل مع الطبقات السابقة لها في الحكم وان لا تشجعها على البقاء متطفلة بمنحها الامتيازات السياسية وبذلك تقضي على نظام الطبقات بجعلها المجتمع كله طبقة واحدة عاملة مالكة تنتج الثروة عامة وتستهلكها عامة

إن الشكل الذي وضعهُ دستور سنة ١٩١٨ للحكومة السوفياتية كثير التعقد وقد وضع بهذا الشكل المعقد تعمداً لان الزعماء الشيوعيين رأوا ان الذي يحاول ان ينتزع الحكم من الطبقات القديمة عليه ان يجعل شكل الحكومة صعب المهاجمة لكيلا يتعرض لتلاعب اعداء النظام الجديد به . وقد احتفظ بالهيكل الحكومي الذي وضع سنة ١٩١٨ في معاهدة الاتحاد سنة ١٩٢٢ التي جعلت من امبراطورية روسيا اتحاد جمهوريات سوفياتية اشتراكية

إن اعلى مؤسسة تستمد منها السلطة في الاتحاد السوفياتي هي : — (مؤتمر سوفيت الاتحاد

الاعلى All-Union Congress of Soviets) ويتكوّن من مندوبي سوفيت المدن بمعدل مندوب واحد عن كل ٢٥ الف عامل صناعي ؛ اما الاقاليم الريفية فقد كانت تمثل بمعدل مندوب واحد عن كل ١٢٥ الف ساكن في الريف قبل التعديل الدستوري الذي أجري في اوائل يناير سنة ١٩٣٥ الحالية على اساس التمثيل الغير المباشر والتصويت العلني ، اما بعد التعديل الاخير فقد وضع الريف على قدم المساواة مع المدينة بان يمثل بمندوب واحد عن كل ٢٥ الف صوت حتى الفلاحين ايضاً والغي التمثيل الغير المباشر وحل مكانه التمثيل المباشر والتصويت السري مكان العلني . ويجتمع هذا المؤتمر بانتظام مرة واحدة في كل سنة . وفي المدة التي لا يكون المؤتمر منعقداً تضطلع بالسلطة التشريعية العليا (لجنة الاتحاد التنفيذية المركزية العليا — All-Union Central Executive Committee, Tsik.) التي ينتخبها المؤتمر في كل سنة وهي تجتمع مدة اسبوعين كل ٣ اشهر . وهذه اللجنة هيئة واسعة تشمل على ما يقارب ٤٠٠ عضو وتنقسم الى مجلسين : ١ — (سوفيت الاتحاد Soviet of the Union) وهو يمثل كلاً من الجمهوريات السبع الرئيسية وما فيها من المناطق والاقاليم الذاتية على اساس عدد سكان كل جمهورية على حدة . ٢ — (سوفيت القوميات — Soviet of Nationalities) وهو يمثل جميع القوميات والاجناس الداخلة في الاتحاد على اساس المساواة بين جميعها وعددها يقرب ٢٠٠ قومية ، وللجنة التنفيذية هيئة (رآسة — Presidium) او لجنة مسيرة مكونة من ٢٧ عضواً ينتخبون من قبل اعضاء اللجنة التنفيذية وعلى هذه الهيئة تقع إدارة كثير من الشؤون الجارية اليومية وكذلك تعتبر السلطة التشريعية العليا وعليها ان تراقب مجلس التوميساريين عند ما لا تكون اللجنة التنفيذية المركزية العليا مجتمعة

وتنحصر السلطة التنفيذية بالوزارة او (مجلس قوميساري الاتحاد الاعلى All-Union Council of Commissars) وهو هيئة مكوّنة من ١٥ قوميساراً تنتخبهم اللجنة التنفيذية المركزية العليا ويكونون مسؤولين نحوها ونحو مؤتمر سوفيت الاتحاد ونحو مجلس الرآسة ايضاً . ومن هؤلاء القوميساريين واحد رئيس و٤ نواب رئيس بالترتيب . ويقوم كل من القوميساريين عدا الرئيس بمهام قوميسارية معينة كقوميسارية الشؤون الخارجية ، الحربية ، البحرية ، التجارة الخارجية ، المواصلات ، العمل ، الطعام والمالية الخ . . . . ، وتشمل الاوامر والانظمة التي يصدرها مجلس قوميساري الاتحاد جميع افراد الاتحاد ويجب تنفيذها حالاً من قبل قوميساري كلٍّ من الجمهوريات الداخلة في الاتحاد . وقد نشأ داخل هذا المجلس هيئة صغيرة تعرف باسم (سوفاركوم — Sovarkom) او قوميسارية داخلية يرئسها جوزيف ستالين السكرتير العام للّجنة التنفيذية المركزية العليا للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي . ومع هذه الهيئة هيئة اخرى صغيرة تدعى (البوليتبورو — Politbureau) وكلتاهما تقبضان على جميع شؤون الاتحاد

يمنح دستور الاتحاد سلطات واسعة لهيئات حكومة الاتحاد التي اوضحناها سابقاً ومن هذه

السلطات ادارة جميع شؤون المعاهدات والشؤون الخارجية وحق اعلان الحرب وعقد السلم وعقد الديون الخارجية وتنظيم التجارة الخارجية وتنظيم السكك الحديدية والبرق والبريد والمؤسسات العسكرية ووضع عملة عامة منظمة وحق وضع نظام الضرائب الموحد وتوحيد الاوزان والمكاييل والمقاييس . وكذلك يمنح سلطات الاتحاد حق « وضع الاسس العامة التي يجب ان تتبع من قبل الجمهوريات الرئيسية فيما يخص القانون المدني او الجنائي والاساليب القضائية وتشريعات العمل والمدارس » . ومن حق سلطات الاتحاد العليا (رفض — Veto) كل قانون او مرسوم او نظام تضعه اي واحدة من الجمهوريات الرئيسية اذا تعارض مع المعاهدة والدستور الاتحاديين اللذين يعتبران قانون البلاد الاعلى

إن تكوين الاتحاد لم يمحُ الدساتير التي كانت لكل من الجمهوريات السبع الرئيسية إذ احتفظت كل واحدة منها بنظام حكومتها القائم على الاساس الاشتراكي السوفياتي . وهذا لا يختلف كثيراً في الجمهوريات المختلفة . وكل من هذه الجمهوريات السبع مستقلة استقلالاً ذاتيًّا ولها من الحقوق ما يساعدها على تنفيذ الاوامر التي تأتيها من سلطات الاتحاد في موسكو ولهذه الجمهوريات الرئيسية وما فيها من مناطق واقاليم ذاتية داخلية سلطة على الشؤون المحلية كالتربية والصحة والتأمين الاجتماعي وادارة القضاء في المحاكم الثانوية وتشجيع الزراعة والصناعة على شرط ان لا تخرج ولا تتعارض في هذه الشؤون مع السياسة العامة التي تقررها سلطات الاتحاد العليا . ولكل منها مجلس قومي ساريين خاص بها له السلطة في ادارة شؤونها الخاصة

فأساس هذا النظام ١ — هيئات العمال في المعامل وحوانيت الشغل في المدن — ٢ — هيئات الفلاحين في القرى والمجتمعات الريفية . هذه الهيئات في كل معمل او منجم او محطة او دائرة او قرية او مزرعة اشتراكية الخ . . . تنتخب لها مجلساً (سوفيت) محليًّا . واذا كان المعمل او القرية او المزرعة الاشتراكية صغيرة جداً تنتخب عدة منها وتنتخب مندوباً عنها في سوفيتها المحلي . وهكذا يبدأ هيكل الحكومة السوفياتية بهذه المجالس المحلية الى ان يبلغ عددها عدة آلاف في جميع بلاد الاتحاد . على هذه الاسس يقوم البناء الاهرامي لحكومات الجمهوريات والمناطق والاقاليم الذاتية وحكومات الجمهوريات السبع الرئيسية وحكومة الاتحاد معاً

وهذه المجالس المحلية في المدن والارياف تنتخب مندوبين عنها الى هيئات أعلى على طريقة التمثيل المباشر والتصويت السري وهذه الهيئات هي كما يلي : —

١ — كل سوفيت اولي محلي زراعي يبعث مندوبيه الى سوفيت الريف . وكل سوفيت اولي عملي صناعي يبعث مندوبيه الى سوفيت المدينة

٢ — يبعث كل من سوفيت الريف وسوفيت المدينة مندوبيه مباشرة الى : — ا — مؤتمر سوفيت الاقليم — ب — مؤتمر سوفيت المنطقة التي تقع فيها عدة مدن وارياف — ج — مؤتمر

سوفيت جميع الجمهورية الرئيسية (مؤتمر سوفيت جميع الروس)د — مؤتمر سوفيت الاتحاد الاعلى

والذي يجب ملاحظته هنا ان سوفيت الارياف الزراعية كانت قبل التعديل الدستوري الاخير محرومة من التصويت السري والتمثيل المباشر في المؤتمرين الاخيرين لكنها كانت تمثل فيها بطريقة غير مباشرة بواسطة مندوبين من مؤتمرات المناطق وفي بعض الاحيان من مؤتمرات الاقاليم ايضاً ، وكذلك لم يكن التمثيل متناسباً مع السكان اذ كان يجري على اساس عدم المساواة بين الريف والمدينة لان نسبة تمثيلهم كانت تقارب نسبة ١:٥ في الريف والمدينة على الترتيب

وقد كان هذا التفضيل الموقت للمدينة على الريف مقصوداً من قبل قادة الثورة اذ كانوا يعتقدون ان العمال في المعامل صناعيون حقا فهم لذلك اكثر اخلاصاً للنظام الاشتراكي ويمكن الاعتماد عليهم في بناء الاشتراكية لانهم اكثر فهماً لمبادئها وأساليبها وأقوى شعوراً بالنضال الطبقي ومساوىء النظام الرأسمالي الذي كانوا يعيشون في ظله ولانهم اكثر تحرراً من التقاليد والعقلية الرجعية الشديدة القوة عند الفلاحين الفرديين . اما بعد مرور ما يقارب ١٧ سنة على قيام دكتاتورية العمال في الاتحاد السوفياتي تمكنت المبادىء الاشتراكية في قلوب الفلاحين بعد ان شملتهم مشروعات السنوات الخمس وعمت بينهم التربية لذلك اخذ زعماء النظام يشعرون بالاطمئنان الى اخلاص الفلاحين فأقروا منحهم التمثيل المباشر والتصويت السري القائم على اساس المساواة بين المدينة والريف دون ان يخشى الزعماء انقلاب الفلاحين على النظام الذي اصبحوا منتظمين فيه مرفهين بواسطته

ولهذا النظام السوفياتي للحكومة — عدا عن هذه الخصائص — ميزات اهمها : —

١ً — اتحاد واسع مفتوح لا وحدة مغلقة ضيقة — ان هذا الاتحاد لا يقوم على اساس الوحدة المغلقة التي تكون فيها السيادة مطلقة بيد القومية الاكثرية لكنهُ اتحاد حر لقوميات حرة على اساس التحالف والتعاون لا القوة والاستعمار كما كانت في عهد الامبراطورية القيصرية . لكن لما كانت روسية الاصلية اوسع جمهوريات الاتحاد مساحة اذ تبلغ ٧٫٣ مساحة الاتحاد بأجمعه وفيها من السكان ما يقارب ثلثي سكان الاتحاد ايضاً ، ولما كانت هي التي قامت بالثورة الكبرى لذلك اصبحت هي المسيرة لشؤون الاتحاد العامة تاركة للجمهوريات الاخرى التمتع بالاستقلال الذاتي في شؤونها الداخلية والثقافية على الاخص وتعليم ناشئتها باللغة القومية الخاصة . وللجمع بين حكومة الاتحاد وحكومة روسيا الاصلية يدير الشؤون العليا عادة نفس الزعماء السياسيين ، لكن هذا لا يمنع تقلد غير الروسيين من الاجناس الاقلية مناصب في حكومة الاتحاد العامة

٢ً — جمع السلطات — والميزة الثانية ان ليس في نظام الحكومة السوفياتي فصل السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية الواحدة عن الاخرى فصلاً مطلقاً . فالسلطة التشريعية والتنفيذية موحدتان وفي بعض الاحيان تدخل السلطة القضائية ايضاً في هذا التوحيد . فلذلك اصبح في امكان نفس السلطات ان تهيىء القوانين وتوافق عليها وتصدرها وتنفذها وتفسرها وفي بعض الاحيان تعاقب المخالفين لها

« البحث تتمة »

حول المشكلة الايطالية الحبشية

— ١ —

المستعمرات والموارد الطبيعية

لا يسع الباحث ان ينعم النظر في ما ورد في الاسابيع الاخيرة من أنباء النزاع الايطالي الحبشي وأقوال الاقطاب فيه الاّ أن يدرك ان سر الخلاف أبعد مدى من قول ايطاليا ان الحبشة لا تصلح أن تكون عضواً في جامعة الامم لانها لم تنهض ببعض العهود التي قطعتها أو أن موسوليني حشد ما حشد من القوى المسلحة ليحمي المستعمرات الايطالية في شرق افريقية من تهديد الاحباش لها . مع ان هذين القولين على جانب غير يسير من الصحة

ولكن سرّ النزاع ان في هذا العصر الصناعي الذي اكتسحت فيه النزعة القومية في الميدان الاقتصادي معظم الامم ، حتى بريطانيا المشهورة بتملقها بحرية التجارة ، نجد أمماً كبيرة تتدافع الحياة في عروق ابنائها ، لا تملك مستعمرات تستطيع أن تعتمد على موارد ثروتها الطبيعية لتقيم أود صناعاتها من جهة وتجعلها سوقاً لمصنوعاتها ومنفذاً لازدحام ابنائها في وطنهم الاصلي من جهة اخرى . ولكننا نجد في الوقت نفسه بعض أمم اوربا يملك بلداناً تقدر مساحاتها بملايين من الاميال المربعة شديدة الغنى بموارد الثروة الطبيعية فيها بحيث اصبحت طائفة غير يسيرة من المواد الخام التي لا تقوم قائمة للصناعة الحديثة من دونها ، أشبه ما يكون باحتكار لها . وهذه الحالة تفضي في الدول المحرومة الى شعورها بالحرمان فبالثورة عليه . فهي لذلك لا تطمئن ولا يستريح لها بال ولا يمكن أن تكون في اوربا عامل استقرار بل لا بدّ ان تظل عامل قلق واضطراب حتى تستكمل حاجتها في هذا الصدد

ونحن لا نقول ان الاستعمار خير . ولكننا من الوجهة العملية يجب أن نعترف بأن سلام اوربا لا يتوطد حتى تجد ايطاليا والمانيا بعض الرضى على الاقل من هذه الناحية . وقد اعترف السر صموئيل هور في خطبته التاريخية في الجمعية العمومية بجامعة الامم المحظورة هذا الأمر وقال أن حكومته مستعدة أن تنظر في الموضوع بقصد إعادة توزيع الموارد الطبيعية توزيعاً يكون أقرب الى العدل — اذا كان في الاستعمار عدلاً — وأوفى بالحاجة . وقد نقلت الينا البرقيات من المانيا ان الهر فون روبنتروب أحد أقطاب الريخ الثالث ومستشار الهر هتلر في شؤون التسلح صرح بأن المانيا لا يسعها أن تصبر طويلاً على حرمانها من هذه الموارد

فكأن اوربا من هذه الناحية مائدة لها اربع قوائم اثنتان متساويتان طولاً وثالثة أقصر منهما ورابعة مجزوزة من أصلها فلا تقوى المائدة على الوقوف الاّ اذا تساوت قوائمها الاربع أي الاّ اذا أحرزت ايطاليا والمانيا ما تحتاجان اليه اسوة ببريطانيا وفرنسا

وهنالك عامل آخر يؤثر تأثيراً نفسيًّا بعيد المدى وهو أن لبعض الدول الاوربية الصغيرة كالبرتغال مستعمرات ليست حاجتها اليها مثل حاجة ايطاليا والمانيا . وفي هذا باعث على شعورها بالامتهان لكرامتها القومية

فلما نشبت الحرب الكبرى وحصرت المانيا بأساطيل الحلفاء وأصبحت لا تستطيع الدفاع عن مستعمراتها سطت دول الحلفاء على المستعمرات الالمانية واحتلتها ، فاحتلت حكومة جنوب افريقيا مستعمرات المانيا في الجنوب الغربي من افريقية واحتلت استراليا الجانب الخاص بألمانيا من غينيا الجديدة واحتلّ اليابانيون الجزائر الالمانية في الجانب الشمالي من المحيط الهادىء والبريطانيون شرق افريقية وبلاد الكمرون . وقد صارت هذه الاخيرة من نصيب فرنسا بعدئذٍ

وكان شعور الناس لا يزال مستفزًّا بعيد الحرب فكان من المتعذر أن تقنع الدول المحتلة وقد آتاها الظفر ولها حق في الغنائم والاسلاب ، بارجاع المستعمرات الى أصحابها حتى ولو قضت بذلك الحكمة العملية وبعد النظر السياسي . ويروي الاستاذ غلبرت مري وهو من أعلام الانكليز انهُ سعى بعيد الحرب لانشاء حركة غرضها ارجاع مستعمرات افريقية الشرقية الى أصحابها السابقين فقال له من لا يرتاب في صدقه وصحة حكمه ان ابناء تلك البلدان يتوجسون خيفة من ذلك ويؤثرون الانتقال بسائمتهم الى قلب افريقية . لذلك كان حل هذه المشكلة بعيد الحرب متعذراً

***

أما ايطاليا فتختلف مشكلتها قليلاً عن مشكلة المانيا ولكنّ المشكلتين ترتدان الى أصل واحد . فايطاليا لم تبلغ المقام الاول بين دول اوربا الاّ من عهد قريب فلما بلغته وبدأت تحس ما تقتضيهِ صناعتها وتجارتها وازدحام أبنائها في بلاد تحتاج إلى معظم المواد الخام اللازمة للصناعة ، وجدت أن معظم بقاع الارض التي تصلح لها من هذا القبيل ، قد اقتسمتها الدول فقنعت أولاً بالاريترة والصومال وهما منطقتان لا تسدان حاجتها من هذه الناحية ، وظنت أن الحلفاء ينصفونها في مؤتمر الصلح فخاب ظنها فكتمته على مضض وهي تتحين الفرص لتحقيق ما تريد أو بعض ما تريد

وقد كان الفاتحون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لا يقيمون وزناً لضمير أو حساب اذا رأوا بلاداً يريدون احتلالها فكانوا ينتحلون الاعذار ويقيمون الحرب ويحتلون البلاد . فاذا اعترضتهم دولة او اكثر سالموها أو فاوضوها أو حاربوها أو اتفقوا معها على أن تحتل هي بلاداً اخرى كما نهم موكلون بسطح الكرة يهبونه من يشاؤون

ولكن الحال تغيرت بعد عقد معاهدة فرساي ففيها قطع الحلفاء عهداً بالجري على شروط ولسن والشرط الخامس منها ينص على وجوب إعادة النظر في المطالب الاستعمارية بروح الانصاف والتجرد ومراعاة مصلحة المستعمَرين (بفتح الميم) . ثم انها كانت قد صرحت برغبتها عن ضم بلدان جديدة اليها اذا استثنينا مقاطعتي الالزاس واللورين وقد كانتا في حكم الحق يعاد الى صاحبه . لذلك اخترعوا

نظام الانتداب ، فاحتفظ الحلفاء بالمستعمرات التي احتلوها في خلال الحرب وبمظاهر الشروط الولسنية التي قطعوا عهداً باحترامها

ولو أن العالم مال بعد الحرب الى الأخذ بحرية التجارة وبحرية المهاجرة لكان من السهل على الدول التي فقدت مستعمراتها ، أو الدول التي ليس لها مستعمرات تكفيها ، أن تقنع بذلك الى حد ما من الوجهة المادية العملية — دون القومية وكرامتها — لان ذلك يمكنها من استيراد ما تريد استيراده من دون عائق يعوقه . وتصدير ما تريد تصديره الى حيث تريد من دون عقبات تجارية واقتصادية تقوم في وجهه — كالحواجز والحصص وغيرها من القيود — . والسبق في ذلك لمن كان أدق علماً وأبرع صناعة وأوفر حيلة تجارية . ثم أن ما تشكوه بعض الامم من ازدحام أبنائها كانت تجد له منفذاً في بعض هذه المستعمرات المترامية الاطراف أسوة بغيرها والفوز هنا لمن كان من الشعوب أصلب عوداً على الاجراء المختلفة وأمضى عزيمة في استغلال مواردها

فالحضارة الصناعية في لبها تقتضي اعادة النظر في هذا الموضوع الحيوي . ولا يغرنّ أحد ان المشكلة الحبشية قد تنتهي سلماً بما يحقق بعض مطالب ايطاليا ويحفظ استقلال الحبشة ، أو حرباً يبسط سيادة ايطاليا على الحبشة — ولو لم تفض الحرب الخاصة الى حرب عالمية . فان المشكلة تبقى هي هي لان ما تجهز ايطاليا بطلبه اليوم وتعد له العدة تطلبه المانيا بصوت خافت اليوم ولا بدّ ان تطلبهُ بصوت جهوري غداً بصحبة سليل السيوف . ولا يمكن ان يستقر لاوربا قرار ما لم تتساو الغوائم التي تقوم عليها مائدتها

***

فهذا النزاع سواء أحل بالاتفاق أم بالحرب ليس الاّ نذيراً لدول اوربا بان ما ارتكب في معاهدة فرساي من الهفوات قد أخذ يستفحل أمرهُ الآن وينذر بحروب استعمارية بين الدول كالحروب التي دارت رحاها في القرن السادس عشر . فقد كتب المستر هند الانكليزي في مجلة السبكتاتور يقول «ان وضع معاهدة فرساي كان خاضعاً من الناحية الاوربية للصورة القائمة في ذاكرة كل منصور من هزيمة فرنسا في حرب السبعين . فضيق واضعو المعاهدة الخناق على المانيا . ومن الناحية غير الاوربية كان خاضعاً للجشع البريطاني فكانت النتيجة ان عدم التساوي في المستعمرات الذي سبق الحرب الكبرى استفحل بعدها . وقد ظهرت نتائج الخطإ الاول من بضع سنوات وبدأت الآن تظهر نتائج الخطإ الثاني حتى ليخشى ان نكون في خطر من عودة دول اوربا الى سلسلة من الحروب الاستعمارية كما كانت الحال في القرن السادس عشر»

فبعد ما اكتشفت الطرق البحرية الكبيرة وتسابقت الامم الى احتلال البلدان الجديدة التي افضت اليها هذه الطرق نشبت سلسلة من الحروب بين اسبانيا والبرتغال وهولندا وفرنسا وانكلترا على جزر الاقاويه والهند والعالم الجديد . ولكن هذا الخلاف بين الدول الاوربية في المستعمرات

نفسها لم يفض الى خلاف عظيم بينها في اوروبا . ثم ان اقتسام افريقية لم يسبب حروباً تذكر بين هذه الدول. ولكن نتائج هذا الاقتسام اخذت تفعل فعلها الآن وهي تهدد بما لا يريد محب للسلم ان يتخيله . وتفسير ذلك ان السلطة في مستعمرات العالم الجديد انتقلت من ايدي الحكومات الاوربية الى ايدي المستعمرين من ابنائها بالقوة بعد ما ايدت في الغالب الشعوب الاصيلة فقلت مشكلتها على هذا النحو

اما في افريقية او في معظمها فيظهر ان الحكم سيبقى طويلاً في ايدي الاوربيين . وامتلاك البلدان الافريقية مثار للنزاع بين الحكومات الاوربية لانها بلدان أصبحت قيمتها في عيون الاوربيين الآن ضعف ما كانت قبل نصف قرن من الزمان . وسبب ذلك مثلث . فالحضارة الصناعية تدفع الدول الى التنافس في البحث عن المواد الخام والاسواق الجديدة التي لم تتخم بمصنوعاتها . ولا يخفى ان الثورة الصناعية كانت من نحو ثلاثين لا تزال في مستهلها في المانيا وروسيا والولايات المتحدة الاميركية بل كانت اساليبها لا تزال غريبة عن اليابان وايطاليا فارتقت ارتقاء عجيباً في الربع الاخير من القرن الماضي وما انقضى من هذا القرن وصحب اشتداد التنافس بين الدول الصناعية على المواد الخام والاسواق : احاطة البلدان التي تصلح لذلك باسوار من الحواجز والحوائل . وقد اجمع اهل الرأي وكان لورد كرومر من اقطابهم ان بقاء الامبراطورية البريطانية كان متعذراً في القرن الماضي ومطلع هذا القرن لولا حرية التجارة وسياسة الباب المفتوح . وجاء ردح من الزمن ظن فيه ان سائر الدول ستتبع بريطانيا في خطتها هذه . ولكن بريطانيا نفسها اصبحت اليوم من الدول الآخذة بخطة حماية التجارة . فاشتداد التنافس مع ما يصحبه من القيود الاقتصادية هو سر الخطر الذي اشار اليه المستر هربرت في مقاله ووزير خارجية بريطانيا في خطبته في جنيف

ويرى السر نورمن انجل وهو من كبار الباحثين الانكليز في الموضوعات الاقتصادية وصلتها بالسياسة الدولية ان الدول الصناعية يجب ان يتاح لها على السواء الوصول الى المصادر الطبيعية للمواد الخام من دون اي تمييز بينها من جهة ، والى الاسواق العالمية من جهة اخرى . ولكنه يذكر ان الاستعمار او امتلاك المستعمرات او اعادة توزيعها سبيلها الى ذلك . فكون كندا مثلاً احدى الولايات المستقلة في الامبراطورية البريطانية لا يبيح لاصحاب معامل انكلترا ان يأخذوا منها موادها الخام بلا مقابل او ان يشتروها بثمن مخفض . وهو لذلك يرى ان موطن الخطر ليس في عدم توزيع المستعمرات على مختلف الدول بل في استفحال النزعة الاقتصادية القومية التي ترصد في وجوه الدول الابواب الموصلة الى المصادر الطبيعية او الى الاسواق . ومن آثار هذه النزعة الحواجز والحوائل والحصص وسائر القيود الاقتصادية . وعنده ان العلاج لا يكون باعادة توزيع المستعمرات بل بالجري على خطة من حرية التبادل وعندئذ تستوي الامم المستعمرة وسائر الامم في الفرص الاقتصادية التي تتاح لها في المستعمرات وما اليها

— ٢ —

نظام العقوبات

ما هو نظام العقوبات في دستور جامعة الامم ؟ وما هي انواعها ؟ وكيف تفرض ؟ وعلى من يقع عبء تطبيقها ؟ وهل يمكن فرض العقوبات الاقتصادية من دون اللجوء الى الحرب لجعل هذا الفرض فعالاً ؟ هذه هي الاسئلة التي تخطر للباحث فما هي الاجوبة عنها

تعتمد جامعة الامم على انواع من العقوبات في تأييد قراراتها . الاول أدبي وهو قوة الرأي العام الدولي . والثاني اقتصادي وهو فعل الحصر البحري والبري . والثالث عسكري وهو القوة المسلحة على انواعها اي الحرب

واول ما تحتاج اليه الجامعة في توجيه الرأي العام المحلي الى حل مشكلة دولية معقدة او خلاف قائم بين دولتين او اكثر من الدول ، هو اذاعة الحقائق المتصلة بهذا الموضوع . فلا يلبث جمهور القراء من مختلف الامم اذا كانت الحقائق صريحة وكان الظلم بادياً في جهة دون اخرى ، حتى يتأثر بما يذاع وينحاز في الغالب مع المظلوم على الظالم . او مع المعتدى عليه ضد المعتدي . وقد اعترف واضعو دستور الجامعة بما لهذه الاذاعة من المقام الكبير في تأييد مكانة الجامعة وتعزيز احكامها فجعلوا جمعيتها العمومية منبراً عاماً ومنحوها الحق في ان تتناول في اجتماعاتها كل موضوع يدخل في نطاق عمل الجامعة او له صلة بسلام العالم . (المادة الثالثة من عهد الجامعة) ولا ريب في ان بحث مشكلة دولية بحثاً حراً وافياً في مؤتمر عام يحضره مندوبو معظم امم الارض ، وسيلة من افعل الوسائل لاطلاع الرأي العام في كل بلاد ممثلة في الجمعية العمومية — وغيرها كذلك — على حقائق الموضوع . والباحث في عهد الجامعة لا يكاد يرى للجمعية العمومية عملاً غير هذا العمل . وكأن بعضهم لا يقيم وزناً للرأي العام في المشكلات العامة فسخر من الجمعية العمومية اذ وصفها بانها « جمعية مناظرة »

وقد أشارت المادة الثامنة من عهد الجامعة الى القوة المعنوية التي تعتمد عليها في تنفيذ ما يعقد من اتفاقات نزع السلاح اذ قالت « ان اعضاء الجامعة يتعهدون بان يتبادلوا تبادلاً صريحاً تاماً كل ما يختص بمدى تسلحهم وبرامجهم العسكرية والبحرية والجوية وحالة المصانع الصالحة لاغراض حربية » . فالجامعة تعتمد في هذا الصدد على قوة الرأي العام في الحيلولة بين اي عضو من أعضاء الجامعة ونبذ اتفاق نزع السلاح (او تحديده) لان اذاعة الحقائق تدل على نقضه الاتفاق وعلى سوء نيته . وقد كانت هذه النقطة موضوع بحث طويل ودقيق عند اقتراح انشاء لجنة للرقابة يحق لها الاطلاع على كل ما يخص شؤون التسلح في الامم المختلفة . وكانت بريطانيا في مقدمة المعارضين في انشائها

وليس الغرض من هذا الفصل ان ننشىء بحثاً فقهياً مسهباً في مواد العهد ولكننا نقول ان ثلث مواده على الاقل يشير اشارة صريحة كل الصراحة او بعضها الى اعتماد الجامعة على الرأي العام الدولي

في تحقيق اغراضها وسائل تنويره ومنها ما جاء في المادة الخامسة عشر وهي ان على مجلس الجامعة ان يضع تقريراً يبسط فيه حقائق المشكلة التي رهن البحث ويتضمنهُ المقترحات التي يراها لحسم النزاع على ان واضعي عهد الجامعة لم يعتمدوا على الرأي العام وقوته المعنوية دون غيرها في المحافظة على السلام الدولي. فنصوا في المادة السادسة عشرة على ما يعرف بالعقوبات. والجانب الاول من هذه المادة بل جلُّ نصوصها عدا نصًّا واحداً يقتصر على ذكر العقوبات الاقتصادية. وليس ثمة من يرتاب في ان مهمة الحصر البحري او البري او كليهما لتنفيذ العقوبة الاقتصادية عمل مشترك يقع على عاتق جميع الاعضاء ولكن الصعوبة في هذا كله ان الامم المختلفة لا تلزم بتنفيذ العقوبة الاقتصادية الاَّ بعد ان يقرر مجلس الجامعة ان دولة ما انتهكت حرمة العهد وبعد ان يوصي المجلس بالقوات المسلحة التي على كل دولة ان تقدمها للقوة المشتركة المتحركة باسم الجامعة لحماية عهود الجامعة

واول ما يتجه اليه الحصر البري والبحري اي اول غرضه من اغراض العقوبات الاقتصادية هو حظر تصدير الاسلحة الى البلاد التي يراد توقيع العقوبة عليها. ولكن كيف تستطيع الجامعة الآن ان توقع هذه العقوبة وثلاث من الدول الكبرى التي فيها طائفة من اكبر مصانع الاسلحة في العالم وتمني اليابان واميركا والمانيا — ليست اعضاء في الجامعة فهي غير مقيدة بقرارها. ثم ان هذا الحظر لا يضر ايطاليا لان فيها مصانع سلاح كبيرة ووافية المعدات

ثم يتجه النظر بعد ذلك الى منع توريد المواد الخام التي تدخل في صنع الاسلحة. فاذا امكن الاتفاق بين الدول التي تصدر هذه المواد فالاتفاق كاف لشل صناعة الاسلحة في الدولة التي تمنع منها. ولكن قيل في الايام الاخيرة أن بعض الدول بدأ يشكو من الآن — مع ان الحديث لم يتعد الكلام التمهيدي — ان توقيع العقوبة الاقتصادية قد يضر بمصالحها التجارية. ولا يفوتنا أن نشير في هذا الصدد الى اقتراح كان قد اقترحهُ السر توماس هلند وهو عالم جيولوجي بترولي مشهور في خطبة الرئاسة بمجمع تقدم العلوم البريطاني من سنوات ثم أعاده من اسابيع وهو ان يمنع تصدير بعض الفلزات والمعادن النادرة التي لا بد منها في صنع اصناف الصلب الجيدة القاسية. فأنواع الصلب القاسي لابد منها في صناعة المدافع والبنادق والدبابات وغيرها من الاسلحة. وهي تحتاج لكي تبلغ درجة وافية من القساوة، الى مقادير يسيرة من عناصر المولبدنوم والتنغستن والكروم والنكل والقصدير وغيرها. فمنع تصدير هذه المواد اليها فعال في شل صناعاتها الحربية ولا يضر ضرراً كبيراً بالتجارة الدولية لان ما يستعمل منه مقادير يسيرة. وقد يقال ان الامة التي تنوي الحرب قد تخزن منها مقادير كبيرة. ولكنها لا تستطيع ان تمضي في الحرب طويلاً قبل ان تنفد هذه المقادير المخزونة

وقد يوسع نطاق هذا النوع من بتّ صلة التبادل التجاري حتى يشمل جميع الواردات والصادرات ولكن اعتراض الامم المصدرة عليه يشتد بقدر ما تتأثر به تجارتها الخارجية

وقد تتخذ العقوبة الاقتصادية شكل الحصر المالي فلا تعقد لها قروض ولا تباع عروضاً الاَّ

نقداً ولا تفتح لها اعتمادات فاذا لم يكن لدولة ما اعتمادات سابقة في المراكز المالية او ذهب كاف في خزانتها توفي به نقداً ثمن ما تبتاعه عجزت عن مواصلة الحرب . ولكن الغالب ان الدوائر المالية في العالم ترغب عن الاخذ بهذه الخطة

ويرى السر آرثر سولتر وهو من كبار المشتغلين بالشؤون الاقتصادية وصلتها بالسياسة الدولية في انكلترا رأياً ملخصهُ ان افضل شكل يمكن ان تتخذه العقوبات الاقتصادية في مرحلتها الاولى ، هو الاتفاق على عدم استيراد اي عرض من صادرات البلاد التي تفرض عليها هذه العقوبات . فهذا النوع من العقوبات الاقتصادية اسهل تطبيقاً من الناحية السياسية ، لان الامم اقل اعتراضاً على من يمنعها من الشراء منها على من يمنعها من البيع . اي ان الامم التي تمتنع عن تطبيق العقوبات الاقتصادية بالضرر الذي يلحق تجارتها اذا امتنعت عن التصدير الى بلاد ما قد لا تكون شديدة الاعتراض اذا طلب اليها ان تمتنع عن شراء ما تصدره تلك البلاد اليها . وهو اسهل تطبيقاً من الناحية الادارية لان نظام الجمارك كفيل بتنفيذه من دون اي اداة حكومية جديدة تنشأ لهُ ولانهُ اسهل جداً في هذا العصر ان تعرف مصدر العروض والبضائع من ان تعرف مصيرها . فقد تبيعها لتاجر من اليونان وهذا بدوره يبيعها لتاجر في ايطاليا . فمنع صادرات البلدان المختلفة من الوصول الى بلاد معينة يقتضي في آخر الامر حصراً بحرياً او برياً او كليهما وهذا يعني الحرب . يضاف الى ذلك ان الامتناع عن شراء ما تصدره بلاد معينة يحرمها من ثمن هذه الصادرات في الاسواق الخارجية فلا تستطيع ان تبتاع ما تحتاج اليهِ الاَّ اذا كان لها اعتمادات مفتوحة او كانت تملك ذهباً كافياً توفي بهِ ثمن ما تشتري

والمحك الاخير في كل هذا هو اجتماع كلمة الدول الكبرى على تطبيق العقوبات المتقدمة والمتفق عليها . ولسنا نعلم إلى أي مدى يمكن الفوز بهذا الاتفاق بين الدول التي لا تزال أعضاء في الجامعة دع عنك الدول التي خارجها . ولا يخفى أن السنيور موسوليني قال أن كل سعي لتطبيق العقوبات على ايطاليا يقاوم من الامة الايطالية بالقوة المسلحة . فمن العبث أن تقول الدول بفرض العقوبات الاقتصادية ان لم تكن على استعداد لتأييد قرارها بالقوة المسلحة . ولذلك تقول الدبلوماسية الكبرى وفي قولها تصيب كبد الموضوع « ان الحرب هي العقوبة النهائية » . لان الحصر الاقتصادي أشبه ما يكون برجل قوي قابض بكلتا يديه على عنقك يحاول ان يخنقك ولا يمكن ان يكون ذلك العمل عملاً سلبياً

والسر آرثر سولتر يعتقد كما يعتقد غيره ممن يعالج هذه الموضوعات من ناحيتها العملية ، ان العقوبات ايّاً كانت لا تصلح لتحقيق الغرض منها الاَّ اذا كانت فعّالة . ولا يمكن ان تكون فعّالة الاَّ اذا كانت الامم متفقة على تأييدها بالقوة ، متخذة العدة لاظهار هذا التأييد بمظهره الفعال . ولكنه يشدد في أن الانصاف يقتضي من هذه الدول ان تعين موقفها هذا في بدء النزاع لكي لا يخامر الدولة التي قد تفرض العقوبات عليها أي ريب في هذا الصدد

واذن فالعقوبات العسكرية او بالحري الحرب نفسها هي الملجأ الاخير لردع دولة معتدية على احد اعضاء الجامعة ، او منتهكة لحرمة العهد . وهذا هو لب السلامة الاجماعية ولا معنى لها من دونه

فما هي النصوص الخاصة بفرض العقوبة العسكرية التي ينطوي عليها عهد الجامعة وكيف يمكن تطبيقها ؟

تنص المادة العاشرة في عهد الجامعة على ما يلي : « يتعهد اعضاء الجامعة بان يحترموا الوحدة السياسية والاستقلال السياسي لكل عضو من اعضاء الجامعة وان يقوموها من الاعتداء الخارجي فاذا وقع الاعتداء او اذا كان هناك تهديد بوقوعه فعلى مجلس الجامعة ان يشير بالوسائل التي ينجز بها هذا التعهد »

نعم ليس في هذه المادة اية اشارة الى القوى المسلحة ولكن من الجلي انهُ اذا هوجمت امة في عقر دارها فلا سبيل الى المحافظة على وحدتها السياسية واستقلالها الاَّ بطريقة واحدة وهي تنظيم قوة حربية دولية ترسل الى البلاد المغزوة لرد الغازي وقد يكفي احياناً بأن يهدد مجلس الجامعة بأنهُ مستعد لحشد قوى اعضاء الجامعة ضد الدولة الغازية ليردعها ويحملها على سحب قواتها ولكن اذا لم يفلح التهديد في تحقيق هذا الغرض فعلى المجلس ان يتعدى القول الى الفعل

واستعمال القوى المسلحة المنصوص عليها في المادتين ١٦ و ١٧ من عهد الجامعة يقصد بهِ معاقبة دولة معتدية . الاَّ ان الفرق بين المادتين ان الاولى (أي ١٦) تشير الى دولة تعمد الى الحرب متجاهلة عهودها اذا كانت تلك الدولة من اعضاء الجامعة . واما الثانية (أي ١٧) فتشير الى دولة غير منتظمة في الجامعة اي خارجها . فاذا شجر خلاف بين دولة غير منتظمة في الجامعة واخرى عضو فيها تدعى الاولى لقبول ما تفرضه الجامعة على اعضائها من العهود والتبعات فاذا رفضت وعمدت الى الحرب فعندئذٍ تستعمل العقوبة العسكرية ضدها دفاعاً عن عضو الجامعة اي تطبق عليها المادة ١٦

وبالرجوع الى المادة ١٦ من عهد الجامعة والمادة ١٧ كذلك نجد ان الخطوات الاولى التي تتخذها الجامعة هي الحصر البري والجوي ولكن الفقرة الثانية في المادة ١٦ تنص ان للجامعة ان تعمد الى القوة المسلحة برية وبحرية وجوية اذا وجد ان ذلك ضروري « لحماية عهود الجامعة » . والفقرة الثالثة في المادة نفسها تشير الى واجب اعضاء الجامعة في تمهيد السبيل لمرور القوات المسلحة التي تبعثها احدى الدول من اعضاء الجامعة المتعاونة في الدفاع عن عهودها

وهاتان العبارتان تشيران من دون ريب الى أن واضعي عهد الجامعة كانوا يرمون الى اعمال عسكرية واسعة النطاق اذا اقتضت الحال ذلك

ولكن نظام الجامعة يجعل تطبيق العقوبة العسكرية صعباً كتطبيق العقوبات الاقتصادية. ففي المقام الاول يجب ان يكون قرار المجلس باستعمال القوى المسلحة اجماعيًّا (ما عدا صوتي او اصوات الدول المتنازعة) ثم يجب ان يكون قراره اجماعيًّا كذلك في تعيين ما على كل دولة من الدول ان

تقدمه من قواتها المسلحة للقوة المسلحة المشتركة التي تعمل باسم الجامعة . وكل هذا يجب ان يتم قبل ان يبحث اصحاب الشأن في توحيد القيادة للقوة المشتركة واختيار قائد لها وما يجره ذلك من المناقشات وما عهدنا بصعوبة توحيد القيادة في جيوش الحلفاء في الجبهة الغربية ببعيد

— ٣ —

القنال والموقف الدولي

اجتمع مجلس جامعة الامم في ٤ سبتمبر الحالي وشرع حالاً في معالجة مشكلة النزاع بين الحبشة وايطاليا . وكان يغلب على مساعي الدول روح الرغبة الصادقة في البحث عن حل سلمي يضمن حرمة العهود والمواثيق الدولية المختلفة ويصون استقلال الحبشة ويمهد السبيل لتحقيق ما اعترفت به المعاهدات السابقة لايطاليا من مقام ممتاز وحقوق خاصة في الحبشة واستغلال مواردها . وقد ساعد على تعزيز تلك الروح تنصل الحكومة البريطانية بتصريحات حاسمة من الامتياز الاقتصادي الكبير الذي فاز به المستر ريكيت ، واشارتها على النجاشي باسمائه ، وقرارها ان تستمر الآن في حظر اصدار السلاح الى الحبشة لكي لا يكون الغاؤها لهذا القرار استفزازاً لايطاليا ، والتعاون الصادق بين لندن وباريس في سبيل الوصول الى صيغة تكفل ما تقدم . ثم ان العقوبات وفرضها على ايطاليا من قبل الجامعة اذا هي مضت في طريقها وشهرت الحرب على الحبشة ، لم تذكر مطلقاً في حديث او خطبة رسمية تشياً مع هذه الروح مع كثرة التحدث بها قبل الاجتماع لان اقطاب الجامعة يدركون ان الاشارة الى هذه العقوبات وجعية الحلول السلمية لم تفرغ بعد لا بد ان تحسب ايطاليا سهماً يصيب كرامتها القومية وتفسره بأنه تحدٍّ لها لانه يوقفها امام الرأي العام الدولي موقف المتهم

ومع ذلك لا يزال ذكر قنال السويس واقفاله او تركه مجازاً حرًّا في حالة نشوب الحرب موضوع مقالات ضافية تنشرها الصحف ومباحثات قانونية دقيقة بين المستشارين القضائيين في الحكومات ذات الشأن . والاسئلة التي تحمار المباحث في موضوع قنال السويس من حيث ان اقفالها سيكون احدى العقوبات الثلاث التي تفرض على ايطاليا اذا اقتضت الحال فرضها هي :

١ — هل معاهدة سنة ١٨٨٨ التي تنص على ان القنال يجب ان تكون مجازاً حرًّا لجميع الدول في زمن الحرب وزمن السلم للسفن التجارية والسفن الحربية على السواء معاهدة نافذة الآن

٢ — هل للحكومة البريطانية سيطرة شرعية على القنال

٣ — اذا اختلف عهد جامعة الامم عن معاهدة ١٨٨٨ في حكم من الاحكام فهل يحل العهد محل المعاهدة اي هل يكون الفصل في الخلاف بحسب نصوص العهد دون نصوص المعاهدة

وقد عني المستر ريمون لسلي بيول وهو من كبار الثقات الاميركيين في التاريخ السياسي الحديث ورئيس جمعية السياسة الخارجية الاميركية بدراسة الموضوع فنشر رسالة تاريخية أشار فيها الى ان

القوات البريطانية نزلت في الاسماعيلية سنة ١٨٨٢ وأقفلتها بضعة ايام . ولكن في العقد السابق عرض موضوع القنال مرتين . ففي الحرب الفرنسوية البروسية (١٨٧٠) سمح لبوارج الدولتين المتحاربتين بأن تجتاز القنال ولكن لما نشبت الحرب الروسية التركية سنة ١٨٧٧ بعثت حكومة بريطانيا الى حكومة روسيا بمذكرة في ٦ مايو من تلك السنة حذرتها فيها من ان كل سعي للتدخل في شؤون القنال تحسبه الحكومة البريطانية تهديداً للهند . فردت حكومة روسيا بأنها لن تمس القنال بأذى

كان هذا قبل معاهدة سنة ١٨٨٨ فلما نشبت الحرب الاميركية الاسبانية سنة ١٨٩٨ سمحت الحكومة المصرية للاسطول الاسباني وكان في طريقه الى مانيلا عاصمة جزائر الفيليبين بأن يعيد الفحم في مرافىء القنال بعد ان وعد بالعودة الى اسبانيا . وفي الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ — ١٩٠٥) سمحت الحكومة البريطانية للاسطول الروسي باجتياز القنال مع انهُ كان في طريقه الى منازلة اسطول حليفة لها . وفي الحرب التركية الايطالية سنة ١٩١١ جازت البوارج الايطالية القنال مع ان مصر كانت حينئذ جزءاً من الامبراطورية العثمانية . وفي بدء الحرب الكبرى أصدرت القيادة العسكرية البريطانية امراً يحظر على اي سفينة من سفن الاعداء دخول القنال . ولكن تركيا اعترضت بأن هذا الامر انتهاك لحرمة معاهدة ١٨٨٨ فسوغته السلطات البريطانية بأنهُ لا تدحة عنه للدفاع عن سلامة القنال نفسها . فالحقائق الاساسية في موضوع القنال هي :

أولا — ان ادارة القنال في يد شركة خاصة مصرية تملك الحكومة البريطانية جانباً من اسهمها ولكن اساس هذه الشركة امتياز منحته الحكومة المصرية ينتهي سنة ١٩٦٨

ثانياً — ان معاهدة الاستانة (١٨٨٨) تنص على ان القنال مجاز حرٌّ في زمن الحرب وزمن السلم لكل سفينة حربية او تجارية بصرف النظر عن العلم المرفوع عليها . وان موضوع الدفاع عن القنال يجب ان يرجع في آخر الامر الى مجمع الدول

ثالثاً — اعلنت الحكومة البريطانية من ناحيتها الخاصة الحماية على مصر سنة ١٩١٤ واقفلت القنال في وجه سفن الاعداء . ولكن الحماية الغيت سنة ١٩٢٢ وكان موضوع حماية القنال احد التحفظات الاربعة

رابعاً — ان مصر صاحبة السيادة على القنال والارض التي تجتازها ولكنها ليست عضواً في جامعة الامم ولا هي اعترفت بمعاهدة سنة ١٨٨٨

خامساً — لم تعقد مصر معاهدة ما اعترفت فيها لبريطانيا بحق الدفاع عن القنال

ويرى المستر بيول في نتيجة بحثه انه اذا قرر مجلس جامعة الامم ان يفرض عقوبات على ايطاليا وعهد الى الحكومة البريطانية في اقفال القنال وفقاً للمادة العشرين من عهد الجامعة فللحكومة الايطالية حينئذ من الوجهة القانونية الدولية ان تعارض في ذلك امام محكمة العدل الدائمة في لاهاي بدعوى ان معاهدة سنة ١٨٨٨ لا تزال نافذة الفعل وان السيادة على القنال هي لمصر لا لبريطانيا

حديقة المقتطف

ثلاث قصائد لميخائيل نعيمة

الباق

—

الجوع

—

الحائك

—

الوالد

قصة للكاتب النرويجي

بيورنسن

السباق

لا تقل يا أخي قد خسرتَ السباق !
فأنا وان اكن اخفَّ منك قدماً وأوسع خطىً ، فسبيلي وسبيلك ابداً يلتقيان في الفضاء الذي لا سبل فيهِ ولا شُعب

***

سريعة هي الريح ؛ ولكن النسيم الناعس الذي يلذها ، ثم ينام في احضانها ، ليس بأبطأ منها

والعصفورة المرفرفة فوق وكرها معها تعادت في الفضاء ، لا تستطيع ان تسبق الفراخ في الوكر

والنهر الذي يكرمن ذروة جبل معربداً مزبداً ، ليس بأسبق الى الأعماق السحيقة الساكتة من دمعة او قطرة ندى

***

قم بنا يا أخي ، قم بنا !
فالنهار ما يزال فتيًّا ، ونحن ما نزال في المضمار
وليس لنا ان نتساءل عمن هو السابق واللاحق الا من بعد ان ينصرم الزمان ويتقلص المكان
اما الآن فهات دموعك لنغرق فيها ضحكي ، طارحين عنا اثقالها القتَّالة للروح ولنسر في سبيلنا غير آبهين بالهازجين ولا بالساخرين الباركين على جوانب الطريق

الجوع

ألقت الاقدار في قلبي بذرة

وسرعان ما اشتبكت جذورها وتمادت ، وضخمت ساقها وتعالت ، والتفت أغصانها وتراءت الى ان حجبت عني الارض والسماء

وها هي اليوم مثقلة بثمارها التي لا أخال الملائكة يتذوقون مثلها

وانا الذي يغذيها بعصير قلبه : — وان اكن جائعاً حتى التلف — لا أجرؤ ان امد يدي الى ثمرة من ثمراتها

الحائك

انا هو المنوال والخيط والحائك

وأنا احوك نسيي من الاموات الاحياء ، اموات الامس واليوم والأيام التي لم تولد

وما احوكهُ بيدي لا يستطيع احد ان يحله حتى ولا يدي ! ها هي قصتي يا عابر الطريق

فصلّ معي لكيما تكون المحبة قائدة لمكّوكك مثلما هي قائدة لمكّوكي في هذه اللحظة التي اراك فيها على منوالي صورة سرية كالقدر وسرًّا سرمديًّا كالله

والآن سر في سبيلك ، ولا تقل لي وداعاً !

فأنا لا اقول وداعاً لأحد

أنا ماضٍ في حياكتي

[عن خليل هنداوي]

من الادب النرويجي

الوالد

مؤلف هذه الحكاية بيورنستيرن بيورنسون Bjornstjerne Bjornson ١٨٣٢ — ١٩١٠ وهو من اركان الادب النرويجي الحديث كان شاعراً ومؤلفاً قصصياً ومسرحياً وسياسياً وزعيماً من زعماء الشعب . ولحكاياته short tales مكانة عالية بين آثاره الادبية والحكاية التالية في نظر النقاد آية بديعة في بساطتها وايجازها

كان الرجل الذي تروى حكايتهُ في هذه السطور اغنى رجال مقاطعتهِ واعلاهم نفوذاً . وكان اسمهُ ثورد اوفرساس

جاء الى مكتب القسيس في احد الايام ووقف امامهُ بقامتهِ المديدة ونظرتهِ القوية وقال :

— لقد ولد لي ولد واريد ان اقدمهُ للعمودية

* وما عسى ان يكون اسمهُ

— فِينْ ، وهو اسم والدي

* ومن عسى ان يكون ضامنهُ

فذكرت اسماء طائفة من الرجال الاشراف فاذا هم من اكبر اقرباء ثورد مقاماً في المقاطعة

* فقال القسيس : وهل ثمة شيء آخر ؟

— فتردّد الفلاح الكبير قليلاً وقال : اريد ان يعمَّد ولدي وحدهُ

* اي انك تريدهُ ان يعمَّد في احد ايام الاسبوع

— يوم السبت القادم عند الظهر

* فسأل القسيس وهل ثمة رغبة اخرى
— كلاَّ . ثم وضع ثورد قبعتهُ على رأسهِ يتحفَّز للخروج
* فوقف القسيس . واخذ ثورد من ذراعهِ وقال : بقي ان اتمنى لك ان يكون ابنك نعمةً عليك

***

وفي احد الايام ، بعد ستة عشر عاماً جاء ثورد ثانية الى القسيس ودخل عليهِ في مكتبهِ . فقال القسيس بعد ان حدجهُ بعينهِ : حقاً انك محتفظ بفتوتك
— فقال : ثورد لانني لا اعاني همًّا ما
* فلم يردَّ القسيس على هذا القول ولكنهُ بعد هنيهة قال : ما هي رغبتك الليلة
— اتيتك الليلة في شأن آخر لولدي . انه ينتظم في الكنيسة غداً
* انهُ ولد ذكيٌّ
— ولكنني لا اريد ان ادفع رسم الكنيسة قبل ان اعلم أين تكون مكانته بين الشبان المتقدمين معهُ للانتظام فيها
* في المقدمة
— قيل لي هذا . دونك عشرة ريالات
* أليس ثمة خدمة اخرى استطيع ان أسديها . قال القسيس هذا وهو ينظر نظرة ثابتة في عيني ثورد
— كلاَّ . وخرج ثورد

***

ثم انقضت ثماني سنوات اخرى ، وفي أحد الايام سمع القسيس ضجة وصياحاً خارج مكتبه ، لأن جماعة من الرجال كانت تقترب منهُ وعلى رأسهم ثورد ، فتقدمهم في الدخول الى المكتب

فحدق فيهِ القسيس وعرفهُ . وقال :

* لقد أتيت مصحوباً الليلة

— لقد أتيت الليلة لاطلب اصدار رخصة بزواج ابني . انهُ سيتزوج كارن ستور ليون ابنة «ڤردستود» الواقف الى جانبي

* انها أغنى فتاة في المقاطعة

— فقال ثورد وهو يمرُّ كفهُ على شعره كأنهُ لا يعبأ : كذلك يقولون

فتكأ الكاهن على مكتبهِ كأنهُ غارق في بحار التأمل . ثم دوَّن الاسماء في كتابهِ، وعلَّق عليها بما يرى ، وتقدم الرجال من محبة ثورد ووقَّعوا . ثم ألقى ثورد ثلاثة ريالات على المكتب

* فقال القسيس : حقي منها ريال واحد فقط

— اعلم ذلك حق العلم ولكنهُ وحيدي واريد ان يكون زواجهُ فخماً

فاخذ القسيس المال

* هذه هي المرَّة الثالثة التي اتيتني فيها في شأن ولدك

— نعم : ولكنني انتهيت منهُ الآن . قال ذلك وهو يطوي محفظتهُ في جيبهِ ثم ودَّع وانصرف وتبعهُ صحبهُ

***

وبعد انقضاء اسبوعين على ذلك ، كان الرجل وابنهُ يجذفان في زورق قاصدين الى ستور ليون ليتمّا تدبيرات حفلة الوقاف . كان الجوّ صافياً والبحيرة كأنها مرآة زرقاء

واذ هما يجذفان قال الفتى : هذا المقعد متقلقل . ووقف في الزورق يبغي تثبيت قطعة الخشب التي كان جالساً عليها . ولكن القطعة التي وقف عليها ، زلقت من تحت قدميهِ ، فرفع ذراعيهِ في الهواء ، وصاح وسقط في البحيرة

فصاح والدهُ وقد قفز الى قدميهِ ومدَّ مجذافهُ : تمسَّك بهذا المجذاف . وبعد ان حاول الفتى ان يمسك بالمجذاف ، مرة او مرتين ، على غير طائل ، تصلَّب جسمهُ

فصاح الوالد : اصبر قليلاً . وجعل يجذف نحو ابنهِ . ولكن الفتى انقلب على ظهرهِ ، ونظر الى والدهِ نظرة طويلة وغاب في الاعماق

فلم يكد ثورد يصدِّق ما حدث . فجلس في الزورق المستقرّ ساهماً . يحدق في البقعة التي غاص فيها ولدهُ ، كأنهُ عائد بلا ريب الى سطح الماء . فرأى اولاً فقاقيع

صغيرة على سطح الماء ، ثم اخرى ، و اخيراً رأى فقاعة كبيرة تنفجر واذا البحيرة عادت ساكنة صافية كالمرآة

ويقول الناس انهم شاهدوا الوالد ثلاثة ايام بلياليها يحدق حول تلك البقعة غير عابىء بالاكل ولا بالشرب . كان يبحث عن جثة ولده . وفي فجر اليوم الثالث ، وجدها ، فحملها بين ذراعيه وتوغل بها الآكام الى مزرعته

***

وبعد انقضاء نحو سنة على ذلك اليوم ، كان القسيس جالساً في مكتبه ، وقد ساء مساء خريف كئيب ، اذ رأى في المجاز امام بابه رجلاً يبحث عن قفل الباب ليفتحهُ . ففتح القسيس الباب ، واذا هو امام رجل طويل نحيف محني الظهر ابيض الشعر . خدّق فيهِ طويلاً قبل ان عرفهُ . لانهُ كان صاحبهُ ثورد

* فقال القسيس وهو واقف امامه : انت متأخر في عودتك الى دارك

—فقال ثورد : نعم . وتهالك على مقعد

فجلس القسيس كذلك ، كأنهُ ينتظر ، وبعد سمت طويل قال ثورد

— معي شيء اريد ان اعطيه للفقراء . اريد ان يسرّ هبة باسم ولدي . ثم وقف ووضع على المائدة مبلغاً من المال وعاد الى مقعده

فاحصى القسيس النقود . وقال

* هذا مبلغ كبير من المال

— هو نصف ثمن مزرعتي . فقد بعتها اليوم

فصمت القسيس طويلاً ثم قال لثورد بلطف و تؤدة وماذا تبغي ان تعمل الآن

— خيراً مما فعلت في الماضي

ولبثا هنيهة صامتين . الوالد ذابل النظر يحدق بالارض . والقسيس يحدق بثورد ثم قال القسيس متمهلاً متلطفاً:

* اظن ان ولدك قد اسبغ عليك النعمة الحقيقية اخيراً

— اني على رأيك

والتفت الى القسيس فاذا دمعتان كبيرتان تنحدران على خدّيهِ

مكتبة المقتطف

المعجم الفلكي

تأليف الفريق امين فهد الطوف — طبع بمطبعة دار الكتب المصرية — ثمنه ١٥ قرشاً

للفريق أمين فهد المعارف باشا مؤلف هذا المعجم فضل على اللغة العربية العلمية لايدرك قيمته الاَّ من أدركته حرفة الكتابة العلمية باللغة العربية فاضطرَّ في خلال الترجمة أو التأليف أن يحقق اسم حيوان أو نبات أو جرم من الاجرام السماوية . ولو لم يشغف الفريق العلامة بهذه المباحث لما وسعه ان يديم النظر فيها مدى ثلاثين سنة أو تزيد . الاَّ ان الشغف وحده لا يكفي وان كان لا متدوحة عنه . وقد أعدَّ الباشا عدَّته لهذه المباحث من علم منظم وأسفار واسعة النطاق وصبر لا ينفد وتدقيق وانصاف هي في الواقع صفات العالم العامل ويجب أن تشد بعضها بعضاً والاَّ كانت نتيجة العلم مشوهة . وقد انحفنا من سنوات بمعجم الحيوان بعد ان نشر معظمه فصولاً متتابعة في المقتطف . وها هو ذا يتحفنا اليوم بالمعجم الفلكي وفيه أسماء النجوم وصورها وأهم المصطلحات الخاصة بأقدارها وأفلاكها

قال في مقدمته انهُ اعتمد على ما نشر من كتب الفلك رخصَّ بالذكر منها اصول علم الهيئة ومحاسن القبة الزرقاء (فانديك) وبسائط علم الفلك (صرُّوف) وعلم الفلك عند العرب وزيج الصابىء (نللينو) والآثار الباقية (البيروني) وترجمته للدكتور ادورد ساخو وترجمة تاج العروس (لاين) . وأشار الى كتب اخرى كان فانديك قد أخذ عنها لذلك أسند التحقيق الى فانديك ولم يتخطه الى القزويني أو الصوفي أو اولغ بك أو التيزيني . وهذا الاعتراف من الفضائل العلمية التي يتصف بها المؤلف ويجب أن تذاع ليأخذ بها جميع المؤلفين المحققين

والمعجم مرتب وفقاً للابجدية الانجليزية فيبتدىء باصطلاح Aberration of Light وما يقابلها باللغة العربية ويلتهي باسم نجمين في صورة العقرب

لم يكتف المؤلف بذكر الاسم العلمي باللغة الانجليزية وما يقابله باللغة العربية بل وضح الاسم العربي في الغالب بنبذ تاريخية أو علمية تدل على واسع علمه . ولا يستغني عنها الباحث . فتحنا الكتاب فاستوقفنا عند الصفحة ٣١ فاذا في الصفحة تحقيق تاريخي نفيس لاسم النجم الكبير في صورة الجبار المشهور باللغة الانجليزية باسم Betelgeuse فقال بعد ان وضع امام الاسم الفرنجي مقابلين عربيين هما منكب الجوزاء ويد الجوزاء ما يلي :—

والمشهور عند الافرنج ان الكلمة من إبط الجوزاء بالعربية وهي ليست كذلك . فكتبت الى

السيد البكري مستندتيه في ذلك وقلت اني لم اعثر على إبط الجوزاء في كتاب عربي قديم ولعل الافرنج قرأوا يد الجوزاء بالياء المثناة بدل الجوزاء بالباء الموحدة فأجابني بما يؤيد رأيي. وجواب السيد البكري يستغرق عشرة سطور وفي كل سطر تحقيق علمي مفيد

وليست جميع التعليقات في المعجم في طول هذا التعليق ولكنها جميعاً تؤدي الخدمة التي يتوخاها المؤلف لمن يعتمد المراجعة في معجمه

ولا يسع الباحث ان يقلب صفحات هذا المعجم من دون أن يستوقف نظره كثرة الأسماء الفلكية باللغات الاعجمية المنقولة من أسماء عربية بعد تحريفها تحريفاً يسيراً أو كبيراً. بل لا تخلو صفحة من صفحات هذا المعجم من اسم واحد على الاقل. فتحناه عند الصفحة ٧٣ نوجدنا Menkalinan وهو من منكب ذي العنة و Menkar نجم في سورة قيطس وهو منخر قيطس وكذا Menkib منكب الفرس و Merak وهي مراق الدب الاكبر. وهذا في صفحة واحدة

ولم يكتف المؤلف الفاضل بترتيب ما حققه السابقون من أعلام البحث. بل حقق بنفسه الفاظاً مختلفة واسماء عدة نجوم منها الماسح Achromatic أي خال من اللون فيقال مرقب ماسح وشبحية ماسحة. واللصيق Acolyte وهو نجم خفي قرب نجم آخر أشد منهُ لمعاناً كالسها في الدب الاكبر

ومن الصور النجومية سورة تعرف باللغة الاعجمية باسم ترجمته «الصليب الجنوبي» ومنه أخذ اسم الطيارة المشهورة التي استقلها كنسجفورد سمث الاسترالي في رحلاته الجوية. ولكن المؤلف لم يكتف بالترجمة بل علم من المستر فلبي ان العرب يسمون هذه الصورة «نعيما» والحاشية التي كتبها في تحقيق هذا الاسم تدل على الجهد الذي بذل في اعداد الكتاب

وكنا نود ان يشتمل المعجم على بعض المصطلحات في علم الفلك الحديث مما لا يستغني عنهُ الكاتب في هذا الموضوع مثل عبارة Expanding Universe وقد ترجمت بألفاظ وعبارات عربية مختلفة فقيل الكون المتمدد والمنشقت والآخذ في التمدد او التشقت أو الاتساع وغيرها. وعبارة Red line shift وقد ترجمت بجمود الخط الاحمر (فليف) وانحراف الخط الاحمر. وهذه العبارة من مصطلحات علم البصريات ولهُ صلة بظاهرة تفرق السدم اللولبية خارج المجرّة ولا يمكن أن يكتب فصل في علم الفلك الحديث من دون الاشارة اليها. ثم هناك لفظ Interferometer وهو جهاز دقيق استنبطه العلامة ميكلسن لقياس أقطار النجوم السحيقة وثمت عبارات والفاظ اخرى لا غنى عنها

والسدم انواع ميز بينها العلم الحديث منها ما هو داخل المجرّة ومنها ما هو خارجها وما كان منها داخل المجرة انواع كذلك ولكن المؤلف لم يشر الى كل هذا واكتفى بذكر السدم مع ان الكاتب العلمي باللغة العربية لا يكاد يطرق موضوع السدم حتى يشعر بالحاجة الى اسماء عربية تطلق على أنواعها المختلفة

ثم اننا لا نعلم لماذا رسم المؤلف الفاضل لفظ Ether وهو الوسط المفروض في طبيعة الكون

التاسع عشر المالىء لرحاب الفضاء — «ايثر» بتقديم الياء على الثاء . والذي نعلمه أن المصطلح السائر الآن تعريباً لهذا اللفظ هو «اثير» بتقديم الثاء على الياء تمييزاً له عن السائل الطيار المخدر المعروف للاطباء . فالوسط المفروض في الطبيعة «اثير» والسائل الطيار «ايثر» وبهذا الفرق يميز أحدهما عن الآخر . وفي هذا تحديد لمعنى اللفظين

وفي ترجمته لفظ epoch (مبدأ التاريخ) ولفظ era بـ (التاريخ) غموض لان لكل من هذين اللفظين معنىً عامًّا ومعنىً فلكيًّا ومعنىً جيولوجيًّا فالتفصيل في هذا المقام كان أدل أو على الاقل تفصيل المعنى الفلكي لان المعجم فلكي

والخلاصة ان الكتاب مفيد مفيد وبوجه خاص في كل ما يتعلق بأسماء النجوم والسيارات والصور النجومية

ولا يسعنا أن نختم الكلام على هذا الكتاب من دون الاشارة الى اتقان اخراجه . فالفرق بين حروف الاسماء الرئيسية وفواصلها واضح كل الوضوح ، والحروف اليونانية لا بدَّ منها في أي معجم فلكي لان نجوم الصور الفلكية سميت بالحروف اليونانية فيقال الفا الكلب وهي الشعرى اليمانية والفا السنبلة وبيتا الاسد . وهذا المعجم يحتوي عليها في مواقعها . ومعظم الفضل في اخراج هذا السفر النفيس على هذا الشكل المتقن يعود الى الاستاذ نديم مدير مطبعة دار الكتب المصرية

نبات سورية وفلسطين

تأليف بوست — المجلد الثاني — المطبعة الاميركية ببيروت

Flora of Syria and Palestine

نبغ في بيروت في النصف الثاني من القرن الماضي طائفة من العلماء يشار اليهم بالبنان منهم في الجامعة الاميركية — وكانت تسمى قبلاً المدرسة الكلية السورية الانجيلية — الدكتور كرنيليوس فانديك وابنهُ وليم والدكتور بوحنا ورتبات والدكتور جورج بوست والدكتور ادون لويس والدكتور يعقوب صرُّوف والدكتور فارس نمر والدكتور هارفي بورتر والشيخ خليل اليازجي والاستاذ جبر ضومط والاستاذ انترداي ، وفي المطبعة الاميركية الشيخ ابرهيم الحوراني ، وفي جامعة القديس يوسف للآباء اليسوعيين الاب لويس شيخو والاب هنري لامنس والاستاذ سعيد الخوري الشرتوني ، وفي المدرسة الوطنية المعلم بطرس البستاني وابنهُ سليم والشيخ ناصيف اليازجي ، وفي مدرسة الحكمة للاطران يوسف الدبس الشيخ يوسف الاسير والشيخ عبدالله البستاني ، وفي مدرسة الثلاثة الاقمار للروم الارثوذكس الاستاذ شاهين عطية ، وفي المدرسة البطريركية نسبة إلى البطريرك غريغوريوس الشيخ ابرهيم اليازجي ثم الشيخ ابرهيم الحوراني ، وفي الشوير على مقربة من بيروت الدكتور كارسلو والاستاذان ظاهر خيرالله وجرجس عمّام وكلاهما من الشوير ، ولم يبقَ من هؤلاء العلماء الاعلام على قيد الحياة الاَّ ثلاثة هم الدكتور فارس نمر والاب هنري لامنس والدكتور وليم

فان ديك اطال الله في عمره . اما الباقون فتوفرا الى رحمة خالقهم بعد ان تركوا آثاراً خالدة ابد الدهر ولعل الدكتور كرنيليوس فان ديك والمعلم يعقوب الميساني واليازجيين والآباء لويس شيخو والدكتور جورج بوست اكثرهم آثاراً علمية وان القلم ليعجز عن ذكر مؤلفاتهم وهي لا تزال حية حتى الآن ولا اعلم في رجال التاريخ العربي من فاقهم في كثرة المؤلفات المفيدة الا جلال الدين السيوطي

اما الدكتور جورج بوست مؤلف هذا الكتاب فمن علماء النبات المشهورين فهو من طبقة بوامبه السويسري والسر جوزف هُكر الاسكتلندي والدكتور شوينفورث الالماني وكان معاصراً لهم وكانت بينهم مكاتبات . ولا شبهة ان كتابه في نبات سورية وفلسطين وسيناء خير ما كتب في هذا الباب . وقد كان الدكتور بوست جرّاحاً مشهوراً وخطيباً مفوّهاً يعرف العربية كاحد ابنائها وكان سمعهُ على ما قيل لي في اوائل عمره الاستاذ الياس سعادة الطرابلسي لذلك بقيت اللهجة الطرابلسية في كلامهِ الى آخر ايامهِ . اما مؤلفاته التي اذكرها فكثيرة منها علم النبات وهو كتاب مدرسي ونبات سورية وفلسطين والبادية وهو بالعربية وكتابه هذا وهو بالانكليزية وهو اشهر مؤلفاته طبع المرة الاولى في بيروت نحو سنة ١٨٩٢ وكنا نستعمله في المدرسة . وله كتاب في الحيوان اسمه نظام المخلوقات في سلسلة ذوات الفقرات وهو جزءان . ومن آثاره الطبية كتاب الاقرابادين والمصباح الوضّاح في صناعة الجرّاح ومجلة الطبيب . ومن آثاره الدينية فهرس الكتاب المقدس مجلدان وقاموس الكتاب المقدس مجلدان . اما مواعظه وخطبه فكان يرتجلها بلغة عربية فصيحة ولا اعرف اجنبياً ولد في بلاد اجنبية يحسن العربية مثله ومثل الدكتور كرنيليوس فان ديك وكانا يتكلمانها بلا شبهة في النطق وربما فاقه فان ديك في ذلك واذكر كتاباً من كتب فان ديك العديدة في علم العروض وقليلون يعرفون ذلك

اما كتاب بوست في نبات سورية فقد طبع لاول مرة في سنة ١٨٩٢ كما تقدم وطبع في المرة الثانية في سنة ١٩٣٣ واما الآن الجزء الثاني منهُ اما الجزء الاول فلم اره ولكن يمكن بمراجعة الجزء الاول بمقابلته بالطبعة الاولى وهي في مكتبتي فالطبعة الثانية نفيسة جداً وهي في ٩٢٨ صفحة منها الاضافات والتصويبات وتمتاز عن الطبعة الاولى بفهرس الالفاظ العربية وهذا لم يكن في الطبعة الاولى . كذلك فهرس الالفاظ العبرانية . على انني لم ار ذكراً لكثير من الالفاظ العربية منها الكرّوب مثلاً فقد ورد في المتن في الصفحة ٧٤ ولم يرد في الفهرس . ثم ان في الطبعة الثانية اشياء كثيرة لم تكن في الطبعة الاولى فهي طبعة منقحة وفيها زيادات كثيرة وانهُ يتعذّر عليّ تقد هذا الكتاب النفيس وانا لا يقبل لي بنقده فالمؤلف استاذي وله فضل كبير عليّ وهو الذي علمني فكيف انقد استاذي وهو من مشاهير علماء النبات وكتابه هذا خير ما كتب في نبات سورية وفلسطين وشرقي الاردن وسيناء وليس عليّ ان أقول سوى ان المستر دنسمور قد احسن واجاد في اخراج هذا الكتاب النفيس الذي هو من مفاخر الجامعة الاميركية في بيروت وسيبقى كذلك ابد الدهر

مصر الجديدة امين المعلوف

شهر في أوربا

بقلم سامي الكيالي. ١٩٠ ص من القطع الصغير

اذا خلا كتاب من الادعاء والتكلّف واللغو فليكن هذا الكتاب . فان سطوره لتجري رشيقة خفيفة ، وكأني بالقلم الذي خطها لم يعالج شدة ولم يكابد عقبة ، بل كأني به لم يطلب خطة بعيدة ، وشاهد ذلك ان صاحبه قال (ص ١٥٤) «اني اتقل حسّي وارسم ما تقع عليه عيني» . ألا لو اراد المؤلف غير ذلك لما تمّ له ان يخرج مثل هذا الكتاب ؛ وهل لأحد من الناس ان يقدر على الفحص البعيد والبحث الدقيق وهو جائز طريق . وهل تُخبر اوربا في شهر او سنة ؟

تفضل هذا الكتاب انهُ ينتقل بك من روما الى باريس الى لندن الى غيرها من البلدان وانت لهُ منقاد واليهِ ملبسط . وبعيد ان يكون هذا الكتاب مجموعة اوساف « موضوعية » و« تقريرات » جافّة ، فان صاحبه احسّ وفكر وحاول بصدق بيانه ان يجعلك تشاركه في احساسه وتفكيره ، وان كانا — في الغالب — « من الخارج » على قول الفلاسفة . إلاّ ان المؤلف ربما اتفق لهُ ان يعلل ظاهرة من الظواهر (كالتبلات في الطريق ص ٤٣) ، او يستوضحها (كالشعور الايطالي الوادع ص ١٤٢) ، او يتوجع لها (كالفجور في باريس ؛ ص ٦٤) ، او يتهكم بها (كالقصر الابيض ، ص ٢٣١) ولهُ في كل هذا قلم أخّاذ ينزل توًّا الى وليجة النفس

وانك لتلمس في هذا السفر نزعات المؤلف الوطنية . فعربيّته الصادقة وشرقيّته الغالبة عليهِ تقفزان من بين الاسطر . فاذا هو واقف امام قصر عصبة الامم كتب «العرب يطلبون حقًّا . كيانهم مفقود . . حريتهم مضيعة . . استقلالهم مسلوب . . » (ص ١٣٢) واذا رأى انجليزيًّا يطعم العصافير خبزاً بسطت عليهِ زبدة قال « . . اترى هذا الخبز من دقيق الهند ؟ . . الانسان في الهند يضلهُ الجوع وعصفور لندن يتلذذ بالخبز الابيض والزبدة النقية ؟ » (ص ١٠٢) . ولكنهُ اذا انتهى الى خاتمة كتابه لم يفته ان ينوّه بصفات الغرب كمثل المرح والنشاط والاتكال على المرأة والعدول عن الشعور الى العقل (ولا زد هنا « معرفة الواجب ») ، تلك الصفات التي اخذت بيد الغرب الى مقاعد السيادة والغلبة

وبعد فهنالك تعابير لم تنشط لها أذني ، منها « البحر الحالم » (ص ١٥٣) ، « انثناء العاريات اللواتي يعرضن اجسامهن عليك عرضاً بوهيميًّا (؟) » (ص ٦٢) ، « العوائل » (اي الأسَر) (ص ٦٤) ، « وتأخذ فكرة لا بأس بها عن طابع البلد » (ص ٣٥) . بيد ان كل هذا الى الذوق يرجع (١)

برلين بشر فارس

(١) كأني بالمؤلف يعيب بطنزة ؛ ذاهبة برسم مثلاً : « مشوقة » (ص ٣٦) ، « في نفوس اعضاء » (ص ١٣١) « أعضاء » ص (١٣٢)

مؤلفات المستشرقين — رسالة من برلين

الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير (الجزء التاسع)

لابي طالب علي بن انجب تاج الدين المعروف بابن الساعي الخازن

عني باخراجه مصطفى جواد — طبع في المطبعة السريانية الكاثوليكية في بغداد — سنة ١٩٣٤ — ٣٩٠ ص، بقطع الشرق، ثمنه ١٢ غلماً

ان الاب انستاس ماري الكرملي علامة العراق وعضو مجمع اللغة العربية الملكي قد اسطنع الى المشتغلين بالتاريخ العربي معروفاً يوم نشر الجزء الثامن من «كتاب الاكليل» لابن ابي الدمينة. وها هو ذا يتحفهم بسفر آخر نشره على نفقته ووكل اخراجه الى الاستاذ مصطفى جواد. والاستاذ مصطفى جواد فوق التعريف: تخرّج على الاب الكرملي فيمن تخرّج عليه وأخذ عنه فانصرف الى علوم اللغة العربية في نشاط لا تكاد تصيبه اليوم عند شبابنا. ومقالاته في فنون العربية تشهد بوقوفه على اسرارها واحاطته بأصولها وفروعها

اصاب الاستاذ مصطفى جواد هذا الكتاب مخطوطاً في المكتبة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية، ايام كان نزيل مصر فانبرى له ينسخه. ولما انقلب الى العراق جعل ينظر فيه فأصلح تصحيفه وقوّم نواحيه وعلق عليه ثم نشره بنفقة الاب الكرملي

وهذا الجزء من تاريخ ابن الساعي (المتوفى سنة ٦٧٤) تجري فيه حوادث ١٢ سنة (من ٥٩٥ الى ٦٠٦). وهو مرتب على السنين يبدأ بالسنة فيذكر حوادثها ثم يأتي بتراجم من مات فيها من الاعيان. وفي الكتاب من الحوادث ما له شأن عظيم. مثال ذلك فصل في «الفتوة» انطوى على قصة نقلها الى الخليفة الناصر لدين الله مقدمة مستجدّة (ص ٢٢١ وما يليها). وقد عمل مخرج هذا الكتاب مقدمة له تقع في ٣٦ صفحة ادرج فيها وصف النسخة المخطوطة وترجمة المؤلف وثبت تصانيفه وذكر شيوخه وأقوال العلماء في تاريخه الجامع. ثم صنع بعد ذلك خمسة فهارس: اولها للاسماء الواردة عرضاً في الكتاب، وثانيها لاعلام الناس، وثالثها للكلمات المفسرة والاصلاحات المشروحة، ورابعها للاخلاق والعادات والشؤون الاجتماعية في الكتاب (مثل اسلام اهل الذمة والاستخلاف في القضاة والاسعار وتواخيها)، وخامسها لاسماء المواطن. ومما لا يفوتني ذكره ان مخرجي الكتب سواء في الشرق او في الغرب لم يألفوا اثبات فهرست «عمراني» للاخلاق والعادات والشؤون الاجتماعية. فأن يصنع مخرج الكتاب مثل هذا الفهرست ذلك عمل جليل جداً. الا اني لعلني تمنيت ان يكون للكتاب فهرست سادس شامل يهتدي به القارىء الى نواحي الكتاب وفهارسه الاخرى

ثم ان صفحات الكتاب مشحونة بالتعاليق المفيدة بين لغوية وتاريخية وجغرافية وعمرانية، وقد اعتمد المخرج في اجرائها على تآليف قويمة نحو اخبار الحكماء لابن القفطي وشرح نهج البلاغة

والفخري الى غير ذلك مما اثبته في جدول خاص (ص ٩٠) . ولربما اخذت على الناشر اثباته هذه التآليف على اسلوب غير تام ، ذلك بأنهُ لم يذكر سنة الطبع ولا مكانهُ ؛ ولربما اتفق له ان يغفل اسم المؤلف

وقد صنع المخرج فوق هذا ثلاث خرائط طريفة : الاولى خريطة بغداد الشرقية في اواخر الدولة العباسية ، والثانية خريطة بغداد الغربية في ذلك العهد نفسه ، والثالثة خريطة « دار الخلافة » فيه . وأما صحة طبع الكتاب فلا غبار عليها . ومن المتعذر ان (نجد تصحيفاً او تحريفاً او اضطراباً او سوء فهم للنص ، ومخرج هذا الكتاب الى الناس مخرجه ؟)

برلين بشر فارس

الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي

بقلم الدكتور . ج . فِدْمر

في مجلة « عالم الاسلام » (الالمانية) ، المجلد السابع عشر سنة ١٩٣٥ ص ٩٧ من القطع المتوسط

Der irakische Dichter, Gamil Sidqi az-Zahawi
(in : "Die Welt des Islams", B. 17, H. 3/4 1935)

مما لا يخفى على قراء المقتطف ان المشتغلين بالآداب العربية في بلاد الفرنجة يستوضحون الادب الحديث فضلاً عن خصومهم الادب القديم . وعلى رأس هؤلاء المستشرقين الاستاذ كراتشكوفسكي الروسي وجبّ الانجليزي وكامْفْماير الالماني . واظن الاول اسبقهم في هذا الميدان : فله عدة مباحث نشرها بالروسية والالمانية والعربية ثم له مبحث مدرج في ملحق دائرة المعارف الاسلامية (التي تبرز في هولاندا) ، وقد عالج فيها جميعاً نشوء الادب العربي الحديث وارتقاءه بدراية وفطنة

والحقّ ان هذا الادب لموضع عناية من حيث انهُ نفيس في ذاته لا من حيث انهُ مظهر من مظاهر النهضة الفكرية في البلاد العربية . ومما انكره ان بعض المستشرقين — وما هم بجهابذة والحمد لله — قد انصرفوا الى بحث ادبنا الحديث مستخفين به لاهين باصحابه ، وفي هؤلاء المتحاملين تارة البلداء اخرى نفر من الفرنسيين خاصةً يذهبون الى ان التفكير العربي لهذا العهد حقير الشأن . تلك قضية سأتقلب اليها تفصيلاً في هذا الباب ان شاء الله ، الا اني احب ان اقول ان للاستاذ كراتشكوفسكي مقالاً مدرجاً في المجلة الالمانية المذكورة أعلاه سنة ١٩٢٩ (الخاتمة خاصة ، ص ١٩٩) يدفع ذلك الرأي دفعاً من طريق غير مباشر [1]

هذا ومما يفسح الصدر ان المستشرقين وبخاصة الالمان منهم ما يزالون على عنايتهم بأدبنا الحديث. واليك عدداً من أعداد مجلة « عالم الاسلام » مرتوفاً على الشاعر العراقي البعيد غاية ، ألا وهو جميل صدقي الزهاوي . وينقسم هذا العدد قسمين . اولهما ترجمة حياة الزهاوي وبحث في طريقته ،

(١) يأذن لي الاستاذ محمد كردعلي — وقد امتد نفس الكلام بقلمي الى هذا الحد — أن لا أسايره في طعنه على الاستاذ كراتشكوفسكي (انظر الاسلام والحضارة العربية مصر ١٩٣٤ ص ٢٣—٢٨) فلقد اطلعت على مقال الاستاذ كراتشكوفسكي ، ذاك المقال الذي عليه دار الطعن ، فاشهد اني لا ارى بقلم الاستاذ محمد كردعلي ان ينبري على ذلك النحو

والثاني طائفة كبيرة من قصائده منقولة الى اللغة الالمانية . والذي عُني باخراج هذا العدد هو الدكتور ج . ڤيدمير G. Widmer والرحلي مباحث سالفة في أدبنا

يستند الدكتور قدمر في ترجمته لطبقات الزهاوي الى ثلاثة مصادر . الاول : « كتاب الادب العصري في العراق العربي » لرفائيل بطي الاديب العراقي العامل ، والثاني : مقالة للزهاوي نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي (الدمشقي) سنة ١٩٢٨ ، والثالث : ايضاحات بعث بها الزهاوي نفسهُ الى المؤلف . فجاءت الترجمة وافية اذ ضمت الوان سعي الزهاوي في سبيل استقلال العراق وتحرير الفكر . هذا وفي رأي الدكتور قدمر ان الزهاوي شاعر فحل بتربيته دون حكمته ، وأنهُ يمت الى المعرّي بصلة

ولا يسع الناقد — وان اختلف بعض الشيء عن رأي الدكتور قدمر في الزهاوي — الاّ ان يشكر له اليد التي امتدها عند الادب العربي الحديث وينوه بالجهد الذي بذله في اخراج عيون شعر الزهاوي . على انهُ صرّح (ص ١٧) بان قصد كثيراً ما كبا عند نقل روعة قصائد شاعر العراق فاي قلم يقوى على ان ينقل الشعر من لغة الى لغة بل من لغة سامية الى لغة غير سامية بزهده وانانته ؟

بقي اني لا ارى منصرفاً عن ان احدث قراء المقتطف عن مجلة « عالم الاسلام » التي تقدم الكلام عليها . فان الغاية التي اليها تجري هذه المجلة انما الفحص عن احوال « النهضة العربية — الاسلامية » لهذا الزمان فحصاً لا ينخفض بها تشيع ولا يزوغ بها لؤم قائماً على تدبر المصادر نفسها على اختلاف الوانها . وقد جرت تلك المجلة في هذا الميدان الواسع شوطاً بعيداً على يد ناشرها الاستاذ كامفماير Kampffmeyer وهو ممن يميل الى الشرق العربي ويحتج له وينزله من نفسه منزلة كبيرة

برلين ب . ف .

مكتبة الاطفال الحديثة

وضع احمد عطية الله — مجموعها ٢٦ كتاباً — مختلفة الموضوعات

اتفق الاستاذ أحمد عطية الله مؤلف لندن وبسائط علم النفس وقتاً غير قليل في وضع مكتبة حديثة قيمة للاطفال بمجموع كتبها ٢٦ كتاباً بين صغير وكبير ضمنها الكثير من الفوائد الادبية والعلمية والادبية والتاريخية فضلاً عن مجموعة حكايات مبتكرة عن النبات بطريقة أخّاذة وقصص شيقة عن مبادىء الطبيعة موضحة بصور كثيرة ملونة بالالوان الجميلة وهذا مما يحتاج الى معرفته الاطفال لانها تربي فيهم ملكة المطالعة والدرس . وقد أعجبنا بهذه المجموعة لما فيها من الفوائد الجمة وما تحويه من لذيذ القصص والحكايات نذكر منها قصة ملك النمر الذهبي ومعروف الاسكافي والديك المغرور والزمار الصغير وهذه الاخيرة من القصص العالمية (بيترمان) للكاتب الانكليزي سير جيمز بري ملخصة للاطفال بها ١٨ صورة وصورتان بالالوان وصفحاتها ٤٠ صفحة

كتاب الاساس

في الامم السامية ولغاتها وقواعد اللغة العبرية

تصفحت كتاب الاساس بكل دقة فوجدته كتاباً جميل المنظر مطبوعاً على ورق ابيض فاخر مجلداً تجليداً جيداً ولكنهُ ضخم كبير الحجم ثقيل للمناولة والدراسة يقع في ٦٥٤ صحيفة . نصفه الاخير عبارة عن مجموعة تمارين ومفردات وقاموس للافعال . وعن فصول من التوراة تشغل ١٤٠ صفحة من النصف . وعدد كبير من الصحائف يحتوي على ٦ او ٧ اسطر فقط لا تزيد عن ٢٧ — ٣٣ كلة . مما يدل على علامات البذخ والاسراف في الطبع . وأما شكل الحروف العبرية ولا سيما الكبيرة فليست من نوع المربع الجميل المألوف . وكان يمكن الاستغناء عن قاموس الافعال والمفردات وفصول التوراة اذ لم تكن من خصائصه فيخف حجمه

يقسم الكتاب الى قسمين الاول بحث في علم اللغات عموماً والسامية خصوصاً للدكتور علي العنابي . والقسم الثاني في آداب اللغة العبرية للاستاذ ليون مخرز في دار العلوم

بحث الدكتور في القسم الاول منه مليًّا وأفاض وأفاد في تعريف اللغة وبسط الآراء في كيفية نشأتها وشرح المذهبين في تكوينها الديني والطبيعي وتكوين المقاطع والالفاظ . ثم تناول وضع الكلمات والقواعد ولغة الانسان الاولى فقال اما كانت واحدة بحسب نظرية المذهب الديني واما متعددة بحسب المذهب الطبيعي وظهرت في بقاع مختلفة

ثم انتقل في البحث الى اللغات القديمة . فمنها (١) القديمة التي لا يوجد دليل لحدها وهذه تشمل العربية القديمة . والكنعانية والبابلية والسانسكريتية ومنها (٢) المعروفة النشأة والزمن كالعبرية والسريانية والاغريقية واللاتينية . ومع أقدميتها نجد فيها قواعد وتنسيقات لغوية مما يثبت وجود قواعد في الصرف والنحو قديمة العهد جدًّا

ثم انتقل الى علم اللغات عموماً (الفيلولوجيا) وبحث في اصل هذه اللفظة وبعدها وفي اول من نطق بها وهو افلاطون ثم في نوعيها الاكلاسية او المحتذاة والعامة وتاريخ ابتدائها يرجع الى القرن ١٨ ثم عن فوائدها وما انتجت المقارنة اللفظية والمعنوية بها وفي آدابها وعلم فقه اللغة والنقد الفني والادبي وفي أدوارها الاربعة (١) الايطالياني من القرن ١٤ — ١٦ و (٢) الفرنسي الى القرن ١٧ و (٣) الانكليزي الهولندي الى القرن ١٨ و (٤) والالماني الاخير الى الآن

ثم بحث مطولاً في مجاميع اللغات واقسامها والاسس التي استندوا اليها في التقسيم ثم كيف انهُ بمجهود عنيف ومثابرة وصلوا الى حل النقوش والخطوط القديمة ولغاتها الهيروغليفية والمسمارية والسنسكريتية وبروايات الكتب المقدسة والرحلات والروايات المتوارثة والوثائق الرسمية وصلوا

ايضاً الى التاريخ الدقيق ثم الى الروي الاسطوري ما خلا من الاعتماد على التاريخ الدقيق ما لم تدحضه البراهين الاثرية والمباحث العلمية الطبيعية

ثم بحث طويلاً في مجاميع اللغات واقسامها والاسس التي استندوا اليها في التقسيم ومنها تقسيم التوراة الى سامي حامي ويافثي وتقسيمات الطبيعة بحسب الوان البشر والاماكن والاوساط ثم اضافوا مجاميع اخرى فاوصلوها الى ١٠ وتعرف بالسامية والآرية . ثم بحث في اقسامها وطبقاتها . وتناول قسماً آخر الحادي عشر وهو مجموعة اللغات المنعزلة التي لا تشبه بعضها بعضاً ولا رابطة وصلة لها كالجركسية واليابانية والاسكيمو . وبين في احصاء اللغات ان عددها يتراوح ما بين ٩٠٠ و ١٥٠٠ وقد اوصله اطولغ الى ٣٠٠٠ لغة

ثم انبرى الى المجموعة السامية وفروعها الاصلية العربي والعبري والسرياني وأول من سماها بالسامية شلوزر ١٧٨١ وبين اختلافهم في مهدها الاول وفي كيفية نشأتهم في اماكن مختلفة في مصب النهرين وكنعان والحبشة وفي افريقيا وبلاد العرب وان انصار الرأي الاخير الراجح اي في بلاد العرب ومنها ابتدأت الهجرة السامية الاولى . وبناء على هذا الرأي يعتقد أن اللغة السامية الاولى كانت عربية . وهي اما العربية الارمية او ام لها نشأت منها اللهجات التي تفرعت عنها لهجات العرب

ثم قارن بينها مقارنة لفظية فنية اي في اللغة . ومعنوية ادبية اي تاريخية وفي التفكير الديني والفني الاجتماعي المدني والفلسفي والمجهود العقلي التاريخي الادبي ثم عن العلاقة وتأثير الامتين العربية والعبرية وتحرير تاريخه . ثم بين مقارنة ثالثة تختص بجميع اللغات السامية ونتائجها الخاصة وتعيين أثرها في الحضارة وبالنسبة الى حضارة الانسانية العامة وهذه المقارنة خاصة بالجنس السامي

اما نشأة هذه المقارنة المعنوية الادبية تنسب الى منتصف القرن ١٩ وكان رينان الفرنسي المستشرق اول من كتب كتاباً في قواعد اللغات السامية والمقارنة بينها وبحث عن نوعها اللغوي والمعنوي ثم تولدكه وبروكلمن . ثم قال الخلاصة ان اهم مجاميع اللغات العشر لا يتعدى المجموعتين السامية والآرية وان أعظم الاجناس البشرية وافضلها ينحصر في السامي والآري وان لهذين الشعبين السلطان الاكبر في قيادة الامم . والسامي أقدم وأبعد من الآري . ومن اطلع على المباحث في هذا الجزء النفيس من الكتاب يتأكد من متانة الاستاذ عنايي في علم اللغات ولا سيما في اللغات السامية وكفاءته وتضلعه منها وقد سد فراغاً محسوساً في لغتنا العربية في هذا الموضوع

***

ثم بحث الاستاذ ليون محرز في الجزء الثاني من الكتاب فأفاض عن الخط العبري وعن اصله من الكنعانية اصل جميع الخطوط السامية . وكان يعرف الخط العبري القديم بالقلم العبري (كتاب عبريت والاصح كتاب عبري) الى عهد بابل وآثاره موجودة للآن في نقش سلوان قال « يصف هذا

النقش عملية الحفر في جبل سلوان في عهد الملك حزقيال حوالي ٧٠٠ ق م » اني لا اعلم ملكاً لبني اسرائيل بهذا الاسم مطلقاً ولربما يقصد الملك حزقيا . واذكر بهذا الصدد نقشاً آخر واقدم منهُ وهو حجر مرآب للملك ميسع ملك موآب اكتشف في ديبون ١٨٠٨ عبري فينيقي موجود في باريز الآن يرجع تاريخه الى سنة ٨٦٠ ق م يحتوي على ٢٨٠ كلمة في ٣٤ سطراً

ثم ترك العبريون هذا الخط واخذوا الخط المربع الاشوري المستعمل للآن وكانوا يستعملونهُ في الشؤون الدينية فقط والقديم الى نهاية القرن الثاني ب . م ومن الغرابة ان الاستاذ لم يذكر شيئاً عن الخط المعروف بالراشي الذي كتبت به معظم شروحات التوراة والتلمود وغيرها من المؤلفات التي لا تحصى الى يومنا هذا

ثم بين كيف ان نظام الابجدية وحساب الجمل معروف قديماً ونجده في المزامير والمراثي والامثال في التوراة وكيف انهم استعملوا حروف العلة في الابتداء لضبط النطق ثم اخترعوا نظام الحركات في القرن ٥ و٦ وانهُ كان لها عدة نظم اشهرها العراقي والطبري المستعمل للآن

***

ومما يؤسف له أن الاستاذ لم يستوف الكلام عن الحروف وأنواعها وحروف الابدال والحروف التي تنقص في العبرية وحروف العلة والحروف الحلقية والمقاطع . ولا عن الحركات الثابتة والقابلة التغيير ولا عن الحركات الفنية أي علامات الترقيم التي عليها يتوقف تقطيع الآيات في ضبط قراءة التوراة ولا عن المقاف علامة الوصل والمنع والجمعيا ولا عن أحكام الشوا والقامص ونبرة الصوت وحروف المعاني كواو القالبة وواو العطف وشين المرصولية ولا عن الحروف الزائدة « اهوين » ولا عن الحذف في الحروف ولا عن صيغة المنسوب ولا عن اوزان الاسماء كما يجب ولا عن الحروف والظروف وأعمل كلية اسم التصغير كما في العربية وقواعد التأنيث والتثنية واوزان النعت . وهاء الندا والرافه علامة التخفيف وقواعد الاختصار وعلاماتها واوزان المزيدات في الافعال النادرة غير السبعة

ولم يضبط كيفية لفظ الحروف الحلقية المشكلة بالفتحة التي سماها المستعارة (والاضبط المختلسة كما هي في العبرية) فانها تلفظ كالفتحة المختلسة بتقدير حرف الالف ولا اليرد او الواو ولم يتقن كيفية لفظ الحركات بالعربية ولم يأتِ بالاسماء العبرية المعربة في بعض المحال

ثم جاء بسلسلة تمرينات وتراجم حياة بعض الشعراء وبعض مفردات في اللغة ومعجم في الافعال العبرية ولكن ينقصه كثير من الافعال التي وردت في التلمود . ثم جاء بفصول من التوراة مع ترجمتها العربية شغلت نحو ١٤٠ صحيفة من الكتاب . ومن الغرابة أنهُ لم يتكلم عن قواعد النحو « كلية » (شحوش هلاشون) واظن أنهُ كان أول وأزم من المعجم والمفردات التي جاء بها وليست من خصائص هذا الكتاب فكان أوفى وأخف وألصق بما هو الآن ككتاب في قواعد اللغة

الدكتور هلال فارحي

قصص علمية للاطفال

الجزء الاول : النحلة العاملة — الجزء الثاني : العنكب الحزين — للاستاذ كامل كيلاني

ليس اسم الاستاذ كامل كيلاني في حاجة الى تقديم وتعريف ، فهو من خاصة أدباء الشرق الذين كان لانتاجهم أثر كبير ، وقد عرف بنشاطه المتواصل في الإنتاج ، وتعدد جوانبه في التأليف ، فمما أخرج في الادب : رسالة الغفران وديوان ابن الرومي وابن زيدون ، ومما أخرج في التاريخ : ملوك الطوائف ومصارع الاعيان والخلفاء . ومما أخرج في القصة : مختار القصص ، وروائع من قصص الغرب

ومنذ سنين صرف تفكيراً كبيراً من جهده في انشاء مكتبة للاطفال ، ووضع لها برنامجاً يفي بالحاجة . وهذه فكرة قويمة ، لانها تسد في المكتبة العربية فراغاً من العار أن لا يسد ، وقد وفق في كل ما انفذه من برنامجها الوسيع ، فالذي بين ايدي القراء من هذه الكتب يدل دلالة واضحة على ان مؤلفها يدخر لها ذخيرة نفيسة من اليقظة والعناية

وعلى الرغم من ان تلك الكتب التي وضعت خصيصاً للاطفال هي الاولى من نوعها في اللغة العربية ، وانها فتح جديد في عالم التأليف ، فقد بلغت من الاجادة المبلغ الذي يخيل اني مؤلفها سار في طريق صادر وارد ، وان كتبه نتيجة تطور ، وخاتمة تجارب ، ووثبة سبقتها خطوات . . .

ومن حديث ما اظهره الاستاذ كامل كيلاني من كتب الاطفال ، كتاب : « قصص علمية » وهو جزءان كبيران ، الاول اسمهُ : « النحلة العاملة » والثاني اسمه : « العنكب الحزين »

وهذا الكتاب — كما يدل عليه عنوانه — قصص صغيرة مملوءة بالمعلومات العلمية في الحيوان والنبات ، واسلوب هذه القصص طلي غاية الطلاوة ، تتخللهُ المحاورات التي توقظ انتباه القارىء وتغريه بمتابعة القراءة ، اما المعلومات العلمية فمسوقة في اطواء القصة بلباقة ومهارة وحذق ، بحيث يتلقاها القارىء الراغب في التسلية بشغف ورضى . وهذه الظاهرة وحدها جديرة بالاعجاب

وقد اخذ المؤلف على نفسه ان يستعمل الكنى العربية للحيوانات التي يرد ذكرها في القصص ، مثل « ام خداش » للهرة ، و« ام راشد » للفأرة ، وهذه وسيلة طريفة للتسمية ، ولو ذكر الحيوان باسم جنسه : او سمي باسم خاص ، لما اخذ سياق الحديث هذا الرواء الذي اخذه باستعمال الكنى . على ان لهذه الوسيلة فائدة اخرى ، هي اطلاع القارىء على ثروة لغوية يتبين بها سعة الفصحى ، وضربها في كل فن بسهم . ويحسن ان نذكر هنا ان الجزء الاول من هذا الكتاب ختم بمعجم لغوي لاسماء الحيوان وكناه ، ومعجم آخر للنحال شمل اسماء النحل وبيته وولده وما اليه . ويبدو ان هذين المعجمين لم يستقل بهما كتاب لغوي فيما نحسب ، بل جمعت موادهما من كتب لغوية شتى

ومن ظريف التدبير في الجزء الثاني أن كل قصة أتبعت بها قصة منظومة نظماً رائعاً وبذلك اجتمعت في الكتاب مقطوعات تؤلف ديواناً صغيراً للأطفال

والحق أن ذلك الكتاب ، بنبل موضوعه ، وحسن أسلوبه ، وأناقة طبعه ، تحفة رائعة ، تناصرت على تزيينها قُوَى عاملة من المؤلف والناشر كليهما

***

باب الأخبار العلمية

الحرب والمرض

بحث احصائي طريف

قيل ان قتلى الحرب العالمية بلغوا عشرة ملايين نفس . ولكن الباحثين ورجال الاحصاء يذهبون الى ان الحرب العالمية لم تنته في ١١ نوفمبر سنة ١٩١٨ بل عندهم ان الثورة الروسية والحرب التركية اليونانية ذيلان من ذيولها . فالحرب الاهلية والانقلاب في روسيا افضيا الى مساعي فرنجل ودنيكين وكولشاك وغيرهم من الروس البيض على ما يدعون ، لانقاذ روسية من براثن البلشفة . ثم هناك الحرب الروسية البولونية التي انتهت سنة ١٩٢٠ « بقيادة الفرنسويين وشجاعة البولونيين »

ويقدر قتلى هذه الحروب بنحو ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة . تضاف الى الملايين العشرة الذين قتلوا في الحرب العالمية

والمرض يصحب الحرب دائماً . فالهواء الاصفر صحب حرب القريم والحرب البروسية النمسوية وسار في اثرها . وصحب مرض الجدري الحرب الفرنسية البروسية فات به ٢٧٠ الفاً من الناس . ولم تشذ الحرب العالمية عن الحروب السابقة . واشهر الامراض التي تفشت فيها وبعدها حمى التيفوس والنزلة المعروفة بالانفلونزا وقد زاد فتك هذين المرضين ضعف الناس جنوداً وغير جنود عن المقاومة ، وضعفهم ناشئ عن عسر المعيشة في ايام الحرب . فالذين ماتوا بالانفلونزا يجب ان يحسبوا من قتلى الحرب ، كالجنود والضباط الساقطين في الميدان

وقد عجبنا قبلاً لماذا نعتت الانفلونزا باسنادها الى اسبانيا . ولكن كاتباً في مجلة الفورم الاميركية يقول ان اقلام المراقبة في دول الحلفاء منعت اولاً تسرب اخبار الانفلونزا الى الجماهير لئلا يفت نبأ المرض وتفشيه في عضدها . ولم يذع نبأ هذه الوافدة الا لما تخطت في فتكها البلدان المحاربة الى البلدان المحايدة فبدأت عندئذ انباء تفشيها تتسرب الى الخارج . ولما كانت اسبانيا من البلدان المحايدة التي اصيبت بها شر اصابة ، كانت الانباء الاولى التي اذيعت عنها في العالم مقرونة بذكر ضحاياها العديدين في اسبانيا . فقيل الانفلونزا الاسبانية مع ان هذا المرض لم ينشأ في اسبانيا

وقد بلغ عدد الذين ماتوا في الولايات المتحدة الاميركية بالانفلونزا ٦٠٠ الف نسمة . وهذا احصاء يعتمد عليه . ويقال ان عدد الذين ذهبوا ضحيتها في المكسيك ٤٠٠ الف نسمة وهو تقدير تقريبي . اما بلدان جنوب

اميركا فقد اصيبت بها اصابة شديدة : حتى ليسع الباحث ان يقول ان عدد الذين ماتوا بها في قارتي اميركا الشمالية واميركا الجنوبية بلغ ١٥٠٠ر٠٠٠ نسمة

وبلغ عدد الذين ماتوا بها في اوربا ٢٥٠٠ر٠٠٠ نسمة وفي افريقيا مليون (وقد كان القطر المصري من البلدان التي اصيبت بها شر اصابة) . اما عدد ضحاياها في بلدان آسيا فلا يكاد يصدق . فقد قدرت وزارة الصحة العمومية في بريطانيا عدد الذين ماتوا بها في الهند بثمانية ملايين نسمة وخسرت بها اليابان ٢٥٠ الفاً وايران ٢٠٠ الف وجزائر الفيليبين ٨٥ الفاً فمجموع ما خسرته بها آسيا يكاد يكون عشرة ملايين . اما مجموع الخسارة في القارات المختلفة فكما يلي :

آسيا	١٠ر٠٠٠ر٠٠٠
اميركا الشمالية والجنوبية	١ر٥٠٠ر٠٠٠
اوربا	٢ر٥٠٠ر٠٠٠
افريقية	١ر٠٠٠ر٠٠٠

ومن الامراض التي حصدت كثيرين مرض السل . فقد زاد متوسط الوفيات به بعيد نشوب الحرب . ولما اشتدت حرب الغواصات بلغ متوسط الوفيات به مبلغاً عظيماً سببهُ سوء التغذية في البلدان المحاربة

ففي سنة ١٩١٨ كان متوسط الوفيات به في فرنسا ١٠ في المائة اعلى من المتوسط السنوي قبل الحرب وفي انكلترا ٢٥ في المائة وفي ايطاليا ٤٤ في المائة . ولكن زيادة الوفيات به بلغت اقصاها في اوربا الوسطى . ففي تشكوسلوفاكيا زادت ٣٤ في المائة عما كانت عليهِ قبل الحرب وفي المانيا ٦١ في المائة وفي النمسا ٦٧ في المائة . وقد زاد عدد وفيات السل في المانيا خلال سنوات الحرب ١٦٠ الفاً على عدد وفياته في سنة ١٩١٣ و١٤٠ الفاً من هؤلاء كانوا من غير الجنود

وكما زادت وفيات السل في الحرب عما كانت عليهِ قبلها زادت كذلك الوفيات بالامراض الاخرى . وهذا يصدق على جميع البلدان المحاربة . ولكن احصاءات ايطاليا يصح ان تتخذ مثالاً فقد زاد عدد الوفيات بالسكتة القلبية فيها من ٣٥ الفاً في السنة الى ٤٤ الفاً . والوفيات بالانيميا من ١٠ آلاف في السنة الى ١٥ الفاً . وبالامراض المعوية من ١٦٠ الفاً في السنة الى ٩٣ الفاً . وبالتهاب الرئة والتهاب الرئة الشعبي من ٧١ الفاً في السنة ١٧٨ الفاً وبالتيفوئيد من ٧ آلاف الى ١١ الفاً وهكذا

ولم ينحصر اثر هذه الامراض في البلدان المحاربة بل تعداه الى البلدان المحايدة لان حالة معيشتها من الوجهة الصحية لم تكن تختلف كثيراً عن حالة البلدان المحاربة . وقد عكف الاستاذ هرش احد اساتذة جامعة جنيف على درس هذه الناحية من الموضوع درساً احصائياً فوجد ان زيادة عدد الوفيات في اسبانيا خلال الحرب على عددها قبل الحرب بلغ ٥٣٠ الف وفاة

فاذا جمعت هذه الارقام وجدنا ان نحو ٢٧ مليوناً من غير المحاربين ماتوا خلال الحرب الكبرى بسببها . فاذا اضيف هذا الرقم الى عدد ضحاياها في الميدان بلغا ٤١ مليوناً من الناس

عود الى البلون

والبلون الالماني الجديد

بعد النكبة التي أصابت البلون البريطاني ر١٠١ باسطدامه باكة قرب بوفيه سنة ١٩٢٩ فقدت بريطانيا الثقة التي كانت قد عقدتها على البلونات كوسيلة من وسائل السفر الجوي بين بلدان الامبراطورية . وقد خسرت بريطانيا في تلك النكبة لورد طمسن والسر سفتن برانكر بخسرت رجلين كانا في مقدمة الداعين فيها الى استعمال البلونات في المواصلات الامبراطورية

وقد أصيبت الولايات المتحدة الاميركية بغير نكبة واحدة في بلوناتها الكبيرة . فاصيب اولاً البلون شنندوى ثم اصيب البلون اكرون ولكن ذلك لم يقعد الاميركيين عن المضي في بناء البلونات . ففي يناير من هذه السنة قررت لجنة الطيران الاميركية انشاء محطة للباحث وتجربة التجارب الخاصة باستعمال البلونات للنقل بين اميركا واوربا تغلبا على منافسة السفن البحرية الجديدة . فلما حدثت نكبة البلون الاميركي «ماكون» في فبراير أي بعيد ما اتخذت اللجنة قرارها المتقدم جاءت تلك النكبة حائقاً في سبيل استعمال البلونات أو بنائها في اميركا

وقد ثبت حتى الآن ان الالمان فقط نجحوا في استعمال البلونات وسيلة صالحة للنقل والانتقال على مسافات بعيدة . وقد بلغ من نجاح التجربة بالبلون المشهور المعروف باسم غراف تسبلن ، ان عمدوا مؤخراً الى بناء بلون جديد دعي باسم (١٢٩ ز.ز) وينتظر أن يقوم برحلته في الشهر القادم فيكون حينئذ اكبر بلون بني حتى الآن

وارتقاء البلون مقترن باسم رجلين المانيين كان لهما اكبر شأن في ارتقائه . نعني الكونت تسبلن والدكتور هوغو اكنر

أما الاول فهو السابح الصناع وقد مضى على مصنعه خمس وثلاثون سنة وهو يصنع بلونات بلا توقف . وأما الثاني فهو الربان البارع الذي سار بالبلون غراف تسبلن في الشرق والغرب في الشمال والجنوب ، فوق البحار الشاسعة وفوق الجبال الشاهقة وفوق القفاني المقفرة ، وطوق الارض وعبر المحيط الاطلنطي حتى الآن سبعين مرة ناقلاً في كل مرة ركاباً وبريداً

رحل البلون غراف تسبلن رحلته الاولى سنة ١٩٢٨ وكانت من مدينة فريدرشهافن بالمانيا الى مطار ليكهرست بنيوجرزي في الولايات المتحدة الاميركية . وقد انقضت عليه ست سنوات وهو ينقل الركاب والبريد بين بلدان الارض وفي السنوات الاخيرة كان يطير بين المانيا وجنوب اميركا طيراناً منتظماً

فمجرد اتساعه لاربع وعشرين من الركاب يقطعون ألوف الاميال في راحة ورفاهة ، ومقدرته على قطع المحيط سبعين مرة من غير حادث يحدث له الا في رحلته الاولى — دليل

على إن السفر بالبلون امر عملي يمكن الاعتماد عليه — كالسفر بالسفن والقطرات ولكن على شرط واحد وهو حسن قيادته

والبلون الالماني الجديد (ز ١٢٩ ك ٥) يتسع كيسه لسبعة ملايين قدم من الغاز أي انهُ يفوق البلون الانكليزي المنكود (ز١٠١) خمسين في المائة حجماً . وقوة محركاته ٤٤٠٠ حصان وتدار بالزيت الخام ويستطيع أن يقطع ثمانية آلاف (٨٠٠٠) ميل من دون أن يحتاج الى الوقود. طوله ٨١٠ أقدام وقطره ١٣٤ قدماً ويبلغ عدد ملاحيه ٣٥ ملاحاً ويتسع لخمسين راكباً وينتظر ان يملأ كيسه بغاز الهليوم وهو غاز غير قابل للالتهاب كغاز الايدروجين الذي ملىء به كيس البلون غراف تسبلن وكيس البلون (ز ١٠١)

من المتعسر على بلون واحد يقطع مسافة طويلة بين بلادين ان يعود على اصحابه بربح ولو كان ريحاً يسيراً . ولكن اذا كثر عدد البلونات قلت نفقات البلون الواحد ، سواء في صنعه أو في الترتيبات اللازمة له في المدن التي ينبغي أن ينزل فيها

لذلك يقترح الدكتور اكنر صنع اربعة بلونات كبيرة تمتد خطوطها بين المانيا وريو جانيرو بالبرازيل . وبين الولايات المتحدة الاميركية وجزائر الهند الشرقية . وثمت خط ثالث يقترح انشاءه وهو مثلث الشكل يمتد بين اوربا واميركا الشمالية واميركا الجنوبية. وينتظر ان يقترح كذلك خطاً رابعاً يمتد بين اوربا والهند وجزائر الهند الشرقية

وقد تمّ الاتفاق على ان يسير البلون الالماني الجديد سيراً منتظماً مرة كل اسبوعين بين المانيا والولايات المتحدة الاميركية فينزل أما في ليكهرست بنيو جرزي الى الجنوب من نيويورك أو في مدينة مياي وهي المشتى المشهور في فلوريدا . وتستغرق هذه الرحلة خمسين ساعة واجرتها ستون جنيهاً ، وهي لا تزيد كثيراً على اجرة السفن التي من الطبقة الاولى بين اوربا واميركا

وقد اتفقت الحكومتان الالمانية والاسبانية على انشاء خط آخر بين برلين وبرشلونة واشبيلية على ان يكون من حق البلونات التي تسير في هذا الخط ان تتم الرحلة الى اميركا الجنوبية

فاذا تحقق جانب من الخطط الالمانية التي اشرنا اليها كان ذلك باعثاً جديداً يحفز سائر البلدان وبوجه خاص اميركا وبريطانيا لتجديد عنايتهما بالبلون

تقاليد زوجية قديمة

يقول الباحث الاثري الشاب جون الكسندر ان رسائل النساء البابليات اعسر حلاً من رسائل البابليين ولكنها ابعث على الدهشة . فقد وجد رسالة قديمة لسيدة بابلية ، تدل على انها اثبتت صفقة زوجية لزوجها بشراء زوجة ثانية له، ذلك انها اتخذت فتاة شقيقة لها ثم قدمتها الى زوجها كزوجة ثانية ولكنها اشترطت انهُ اذا قرر زوجها ان يطلقها — اي الزوجة الاولى — فلها ان تأخذ معها كل ممتلكات الزوجة الثانية. اما اذا اشتدت غيرتها هي ورغبت في ان تترك زوجها فليس لها ان تأخذ معها شيئاً

العنب والذباب والحرارة

من المعروف عند علماء الحشرات ان بعض الآفات الحشرية التي تصيب النباتات المختلفة تنتقل في الغالب مع شحنات الثمار المختلفة كشحنات البرتقال والتفاح والكمثرى والعنب وغيرها . ومن هنا نفهم دقة القوانين التي تحول دون استيراد اصناف معينة من الفواكه من بلدان مصابة بالآفات الى بلدان غير مصابة بها

وقد كان العنب الذي يجنى من كروم اميركا الجنوبية من الفواكه المحظور استيرادها الى اميركا الشمالية أي الولايات المتحدة الاميركية ولكن اكتشافاً علمياً حديثاً يمكن الآن اصحاب الكروم الجنوبية من تصدير عنبهم الى اميركا الشمالية

وخلاصة الحكاية انهُ في سنة ١٩٢٨ ارسل الدكتور داربي وزوجته وكلاهما من علماء الحشرات الاميركية الى بلاد المكسيك ليبحثا عن أفضل الطرق لمكافحة ذبابة الفاكهة المكسيكية وهي من الآفات التي يخشى شرها كثيراً في اميركا وخصوصاً في المناطق المشهورة ببساتين الفاكهة

وبعد البحث والامتحان وجد الدكتور داربي وزوجته ان هذا الحشر شديد الاحساس بفعل الحرارة والى حرارة من درجة ١١٢ فارنهيت (نحو ٤٥ سنتغراد) تكفي لقتلها

وما كاد هذا الاكتشاف يذاع ، حتى سطت ذبابة الفاكهة المعروفة في مناطق البرتقال باسبانيا ، على بساتين فلوريدا ، فخشيت وزارة الزراعة الاميركية شرها وعمدت الى تطبيق اكتشاف داربي وزوجته فوجدت ان الحرارة التي تقتل ذبابة الفاكهة المكسيكية تقتل كذلك ذبابة الفاكهة الاسبانية . وان هذه الحرارة نفسها لا تضر بالفاكهة . واذن صار في الامكان معالجة الفواكه المعرضة لهاتين الآفتين بالحرارة فتصبح صالحة للتصدير من مواطنها

الحمى وأشعة اكس

وجدت طائفة من الاطباء الباحثين في مستشفى رفستر التذكاري بولاية نيويورك ان استعمال الحمى يتخللها العلاج باشعة اكس قد يكون علاجاً ناجعاً للسرطان

وقد قصرت التجارب الاولى بهذا العلاج على نوع من السرطان يصيب الارانب فاستعملته في السرطان الذي يصيب البشر قد لا يكون ممكنا قبل التوسع في تجربة هذا العلاج بانواع السرطان التي تصيب مختلف الحيوانات . فقد وجد احد هؤلاء الاطباء واسمهُ الدكتور وزن ان الحمى العالية تقتل الخلايا السرطانية خارج الجسم في مدة معينة ثم وجد كذلك ان الحمى العالية تقتل الخلايا السرطانية داخل الجسم ولكن في ٢٥ في المائة من الاصابات فقط . ووجد ان استعمال اشعة اكس يستمر من قتل الخلايا السرطانية داخل الجسم في ٤٢ في المائة من الاصابات . فلما جمع بين استعمال الحمى واستعمال اشعة اكس ثبت لهُ ان هذا العلاج المزدوج يقتل الخلايا السرطانية داخل الجسم في ٨٤ في المائة من الاصابات

التنويم المغنطيسي والجوع او الشبع

من الامور المعروفة ان المنوم المغنطيسي يستطيع ان يقنع من ينومهم بانهم جياع فيحسون بالجوع او انهم شباع فيشعرون بالشبع او التخمة . وكان الرأي حتى الآن ان هذا الاحساس انما هو احساس نفسي فقط لا يؤثر في اعضاء الهضم نفسها . ولكن ثلاثة من علماء الجمعية النفسيولوجية الاميركية اجروا تجارب ثبت لهم منها ان الحالة النفسية التي يخلقها المنوم المغنطيسي تؤثر في الجهاز الهضمي

فقد اخذوا رجلاً في الرابعة والثلاثين من العمر ونوم تنويماً مغنطيسياً بعد صوم دام من ١٨ الى ٢٠ ساعة ثم اوحى اليه المنوم انهُ اكل وشبع فظهر في حركة اعضاء الهضم ما يظهر فيها عند الشبع الحقيقي وكانت قبل هذا الايحاء تتحرك الحركة التي تصاحب الشعور بالجوع الشديد

زيت الزيتون ووزن الاطفال

انقذ الاطباء في بلطمور عشرين طفلاً من الموت جوعاً بحقن زيت الزيتون في عروقهم. لم يكن سبب جوع الاطفال قلة الغذاء ولكن اضطراب اجهزتهم الهضمية حال دون انتفاعهم بالغذاء يتناولونهُ عن طريق الفم

اخذ زيت الزيتون ومزج بمادة السيتين المستخرجة من صفار البيض ثم عولج المزيج تحت ضغط عظيم ، لتفتيت كريات الزيت الكبيرة وتحويلها الى كريات صغيرة يسهل مرورها في انابيب الدم الشعرية في الرئتين ثم عقم المزيج وحقن في الاوردة

ومضى الاطباء اسبوعاً يحقنون كل يوم كل طفل من هؤلاء بحقنة من هذا المزيج تحتوي على مقدار من الدهن يساوي مقدار الدهن الذي يتناوله الطفل من غذائه المألوف لو كان يستطيع تناوله . وبعد الحقنة الثانية ظهرت على الاطفال دلائل زيادة الوزن

يحقن الزيت والدهن في الاوردة مباشرة اسلوب جديد من اساليب الطب ويمكن استعماله في حالات اخرى غير حالة اضطراب الجهاز الهضمي عندما يتعذر على المريض تناول الطعام . ونحن نقول انهُ قد يصاب المرء باضطراب عصبي في جهازه الهضمي يحول بينهُ وبين الطعام حتى اذا تناول قطرة من الماء تهيجت المعدة وحملته على القيء . ونعرف من اسباب بهذا ضعف وهزل . فحقنه بحقنة من هذا القبيل تمكن الاطباء المعالجين من الاحتفاظ بقوته في خلال المعالجة

تغريد الكنار

تغريد الكنار من ارخم ما يسمع من تغريد الطيور . وكان يقال ان الكنار الصغير يتعلم التغريد من الكنار الكبير . ولكن طائفة من علماء جامعة كاليفورنيا الجنوبية أثبتت ما هو عكس ذلك . فقد أخذت اثنتي عشرة بيضة كنار ملقحة ووضعتها في اقفاص لا يخترق الصوت جدرانها ، ففقس البيض وربيت الصغار فيها ، فما ترعرعت ظهرت فيها المقدرة على التغريد

السلولوز وثفل قصب السكر

كل ما يتعلق باستعمال الثفل المتبقي من قصب السكر بعد استخراج السكر منهُ يهمنا وهذا الثفل هو الالياف المقطعة المتبقية من القصب بعد عصره . وقد بلغ مقدار الثفل المتبقي في معامل السكر بولاية لوزيانا الاميركية نصف مليون طن في السنة . وفي معامل بورتو ريكو مليوني طن في السنة . ولا نعلم ما وزن الثفل المتبقي في معامل السكر في القطر المصري كل سنة

وكانت العادة قد جرت على استعمال هذا الثفل وقوداً في معامل السكر نفسها . ولكنهُ لا يصلح كثيراً للوقود . فطن من الثفل الاخضر يحل محل برميل من النفط الخام أو الزيت الوسخ . وثمن هذا البرميل الآن يختلف من ريال الى ريال وربع ريال في اميركا . فقيمة الثفل من حيث هو وقود ليست كبيرة

وقد استعمل بعض الثفل في صنع الواح عازلة ولكن هذه الصناعة لا تستفيد منه الا قدراً يختلف من ٢٠ في المائة الى ٢٥ في المائة

ثم جرّب بعضهم ان يستعمله في صناعة الورق فثبت بعد التجربة أن الياف قصب السكر لا تصلح لذلك

ولكن في خلال الخمس عشرة سنة الاخيرة زاد الطلب على السلولوز (المادة الخشبية في النبات) ليستعمل في مطالب متنوعة غير صناعة الورق . ففي خلال هذه المدة نشأت صناعة الحرير الصناعي وما يتصل بها مثل صناعة السلوفان . وقد كان ما تصنعه الولايات المتحدة الاميركية من الحرير الصناعي سنة ١٩٢٠ يسيراً لا يذكر ولكن بلغ ما يصنع منه فيها سنة ١٩٣٤ ما وزنهُ ٢٠٨ ملايين رطل . وما صنع من الحرير الصناعي في مختلف بلدان العالم بلغ وزنهُ ٧٣٥ مليون رطل في السنة الماضية . والفروع التي تفرعت على صناعة الحرير الصناعي او اتصلت بها تقتضي استعمال مقادير كبيرة من السلولوز لا يمكن تقديرها الآن . وبعد ما رأيناه من سرعة الزيادة فيما ينفق من السلولوز في صناعة الحرير الصناعي

***

وقد دلت تجارب محطة المباحث التابعة لمكتب الكيمياء والتربة بوزارة الزراعة الاميركية انهُ يمكن تحويل ثفل قصب السكر الى سلولوز صالح لهذه الصناعات فيستعمل الحامض التريك المخفف في تحويل الثفل الى دبس . ولا يخفى ان امكان استعمال الحامض التريك يجعل هذا التحويل سهلاً اقتصادياً لأن هذا الحامض رخيص لامكان صنعهِ من الامونيا والامونيا يسهل الآن صنعها من الهواء المباح لكل انسان

ويقال ان السلولوز الذي حضر من ثفل قصب السكر يجاري أفضل انواع السلولوز المستعمل في معامل الحرير الصناعي . وتفقات تحضيره أقل من نفقات السلولوز المماثل له الذي كان مستعملاً حتى الآن

فيتامين جديد والبول السكري

في الاجتماع السنوي الاخير الذي عقدته الجمعية الاميركية الطبية والجمعية الكندية الطبية ، بسط الدكتور بست احد الذين اشتركوا في اكتشاف الانسولين (علاج البول السكري) نتائج بحثه في فيتامين جديد قال انه لا غنى عنه لقيام الكبد بعملها قياماً سويًّا ولذلك يرجح ان هذا الفيتامين سوف يكون لهُ شأن كبير في حالة الاصابة بالبول السكري

عرفت انواع الفيتامين التي كشفت حتى الآن بحروف الابجدية الفرنجية فمنه فيتامين A وفيتامين B وفيتامين C وفيتامين D الخ . اما هذا الفيتامين الجديد فقد اطلق عليهِ اسم لاحرف وهو يعرف باسم كولين Choline ويوجد في كثير من مواد الغذاء ولكنه كثير في اللحم ومح (صفار) البيض و الخميرة

لم يغتصب الدكتور بست نظر اكتشافه اغتصاباً بل صرح في رسالته ان جانباً كبيراً من المشاهدات الدقيقة التي افضت الى اكتشافه قام بها الدكتور هرش والمس هنتسن وكذلك يعترف اهل العلم الصحيح بالفضل لذويه

ويقول الدكتور بست ان نقص هذا النوع من الفيتامين يفضي الى تشحم الكبد فتعجز عن صنع السكر او تعريف الصفراء او غير ذلك من الاعمال الحيوية التي يجب ان تعملها . وقد اكتشف هذا الفيتامين في خلال البحث في الانسولين وتجربة التجارب به .

فالكلاب التي سُلبت منها الغدة الحلوة (البنكرياس) عجزت عن ان تحيى اكثر من بضعة شهور رغم حقن الانسولين التي تحل محل افراز البنكرياس عادة . فلما غذيت هذه الكلاب بالغدة الحلوة مفرومة علاوة على حقن الانسولين عاشت حياة جديدة

فاقبل الباحثون على الغدة الحلوة يدرسونها من جديد فوجدوا انها تحتوي على مادة الكولين علاوة على الانسولين ومادة هاضمة . ثم ثبت ان الكولين في الحلوة المفرومة هو ما يفيد الكلاب بعد سل هذه الغدة منها

وقد قال الدكتور بست ان الاصابة بالبول السكري (الدبابيطس) ليس سببها اصابة الغدة الحلوة دائماً . بل قد تنشأ عن اصابة الكبد وضعفها من ناحية أو شدة عملها في توليد السكر من النشويات والبروتينات من ناحية اخرى . وقد دلَّت التجارب على أن الكولين لازم لقيام الكبد بوظيفتها قياماً سويًّا ومن هنا صلة هذا الاكتشاف بالبول السكري

فيتامين د والتهاب المفاصل

المعروف عند المشتغلين بعلوم الطب والغذاء ان الفيتامين د يفيد في منع الكساح . وقد قرأنا الآن ان الدكتور ريد الاستاذ بكلية الطب في جامعة الينوي الاميركية قال في رسالة تلاها امام الجمعية الاميركية الفسيولوجية ان هذا الفيتامين نفسه يفيد في معالجة التهاب المفاصل (القصال) الذي يدعى احياناً باسم الروماتزم

فقد عالج الدكتور ريد وصحبه في الكلية

التي تقدم ذكرها ٧٠ مصاباً من مائة مصاب بالتهاب المفاصل خفت وطأة اصابة بعضهم وشفي البعض الآخر

وقد استعمل هذا الفيتامين في شكل مركز وكانت الجرع كبيرة جداً . فالجرعة المستعملة في حالة الكساح لا تزيد على ثلاثة آلاف وحدة ولكن الدكتور ريد استعمل في حالات التهاب المفاصل جرعاً تحتوي على ثلاثة ملايين وحدة وقد استفاد جميع المصابين بالتهاب المفاصل الا الذين سبب اصابتهم التعقية (السيلان)

مرايا المراقب وطلاؤها

المراقب نوعان النوع الكاسر وقد قل استعماله الآن والنوع العاكس وهو النوع السائد في معظم مراصد العالم الكبيرة . فالمرقب العاكس يحتاج الى مرآة مقعرة . وقد كانت مرايا المراقب العاكسة تطلى بالزئبق أو الفضة . ولكن أحد العلماء جرّب من عهد قريب طلاءها بمعدن الالومنيوم فأسفرت تجربته عن نتائج تبعث على الدهشة اذ زادت قوة المرآة العاكسة وصحب هذه الزيادة نقص في نفقة الطلاء لان الالومنيوم أرخص جداً من الزئبق أو الفضة . وينتظر الآن أن تطلى مرآة المرقب الكبير الذي يبنى بأميركا — وقطر عدسته مئتا بوصة أي ضعف قطر العدسة في اكبر مرقب عرف حتى الآن وهو مرقب جبل ولسن بكاليفورنيا — نقول انهُ ينتظر أن تطلى مرآة المرقب المنتظر بالالومنيوم فيقتصد نحو مائتي الف جنيه في نفقات المرقب وتزيد قدرة مرآته على عكس الاشعة الواقعة عليها

ارتفاع حرارة الهواء في طبقاته العليا

تختلف حرارة الهواء قرب سطح الارض باختلاف الارتفاع عن سطح الارض فتقل حرارته اذا تو قلنا جبلاً ولا يخفى ان أعلى الجبال مكللة هاماتها بعمم من الثلج الدائم ويقول الطيارون الذين حلقوا بالطائرات او البلونات الى ما فوق قمم الجبال ان الهواء هناك أبرد منهُ على متن الجبال العالية

فهذه الحقائق حملت الباحثين على الظن ان برد الهواء يزداد بازدياد امعاننا في التحليق

ولكن طرقاً جديدة للبحث دقيقة كل الدقة حملت العلماء على الاعتقاد بان الهواء في طبقاته العليا ليس بارداً كما يظن

وقد نشر الاستاذ اپلتون — وهو من أكبر الثقات المعاصرين في موضوع الامواج اللاسلكية — بحثاً طريفاً من نحو شهرين اقام فيه الدليل على ان حرارة الهواء في يوم من ايام الصيف تبلغ الف درجة مئوية (ميزان سلتغراد) على ارتفاع ثلثمائة كيلو متر

وهذه الحرارة تعني انه اذا استطعنا ان نعلق قطعة من النحاس على هذا العلو حتى تصبح حرارتها كحرارة الجو المحيط بها ، كانت حرارة هذا الجو حينئذٍ كافية لصهرها

واذن فسكان الارض يعيشون داخل كرة من النار لا يمنع اذاها عنا الا طبقات الهواء التي بيننا وبينها

***

ويعود الفضل الاول في هذه الناحية من

البحث الى عالم فرنسوي يدعى تسرنك ده بورت فقد اطلق في سنة ١٨٩٨ بلونات تحمل مقاييس للحرارة وادوات اخرى فدهش لما عادت البلونات وظهر من مقاييس الحرارة فيها ان حرارة الهواء فوق باريس ظلت تهبط حتى بلغ البلون الى علو سبعة اميال ثم وقفت الحرارة عن الهبوط . فانكر معظم الطبيعيين ذلك اولاً ثم وجد علماء الظواهر الجوية ان الارتفاع الذي تقف عنده حرارة الهواء عن الهبوط اقرب الى القطبين منه الى سطح الارض عند خط الاستواء

ولكنهم مع ذلك ظلوا عاجزين عن تعليل هذه الظاهرة تعليلاً مقبولاً

***

وظل الرأي يعد اكتشاف ده بورت ان حرارة الجو فوق ذلك الارتفاع المعين — وهو ١١ ميلاً فوق خط الاستواء واقل من سبعة اميال فوق القطبين — تظل ثابتة لا تتغير . ولكن في سنة ١٩٢٢ تبين للعالمين اندمان ودوبيس من مراقبة الشهب ودرجات اشراقها ان حرارة الهواء تأخذ في الارتفاع على ٣٧ ميلاً (او نحو ستين كيلو متراً) فوق سطح الارض

الحلوى والعمل العقلي

في بعض الاعلانات الاميركية والانكليزية البارعة عن اصناف السجاير المشهورة عبارة مؤداها «مديدك وخذ سيجارة» أما «رسالة العلم الاسبوعية» فتقول ان هذه العبارة تكون في محلها اذا كنت ممن يبغون النعاسة ولكن اذا كنت ممن يتحتم عليهم القيام بأعمال عقلية جاهدة فيجب ان تمد يدك وتأخذ قطعة من الحلوى

ذلك ان التجارب قد اثبتت ان طاقة الدماغ على التفكير مستمدة من السكر المعروف باسم غلوكوز . وهذه النتيجة قد توصل اليها العالمان الاميركيان همتش وفازيكاس من علماء جامعة يايل ونبعثا بها في رسالة الى الجمعية الفسيولوجية الاميركية

والدماغ يتناول السكر من الدم ثم يحله الى مركبات كيائية بسيطة ويحرق الحامض اللبنيك المتولد منه فيستمد من حرقه طاقة ونشاطاً كما تستمد القاطرة طاقتها من حرق الفحم وتوليد البخار . وقد وجد همتش وصاحبه صدفة واتفاقاً انه اذا كان في اثناء ما قطعة من نسيج الدماغ وكان في الاناء نفسه قليل من النيكوتين وهو المادة الفعالة في التبغ ، تعذر على نسيج الدماغ ان يحرق الحامض اللبنيك ، ولكن النيكوتين الذي يصل الى الدماغ من تدخين سيجارة اقل من ان يؤثر في مقدرة الدماغ على حرق الحامض اللبنيك

***

وعلى ذكر النيكوتين نقول اننا قرأنا في رسالة العلم الاسبوعية نفسها ان جماعة من علماء جامعة كورنل الاميركية يقولون ان التسمم بالنيكوتين يوقف التنفس لان اطراف الاعصاب في عضلات جهاز التنفس تشل عن العمل وقد كان الرأي قبلا ان النيكوتين يشل مركز التنفس في الدماغ . والفرق بين الاثنين واضح

تقدم الاختراع وسرعته

في سنة ١٨٣٦ اي من تسع وتسعين سنة اخرج قسم « الباتنت » في الحكومة الاميركية الامتياز الاول لاختراع جديد طلب منها تسجيله فيها . وفي ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٥ منح هذا القسم امتيازاً لمهندس في شركة يد الصناعية فكان رقم امتيازه ٢٠٠٠٫٠٠٠ وسيرة هذا المهندس نفسه تدلك على سرعة التقدم في الاختراع . ففي سنة ١٨٩٩ استخرج هذا المهندس امتيازاً فكان رقمه ٦٣٨٦٤٣ أي ان ٣٦ سنة انقضت بين ١٨٣٦ و١٨٩٩ سجل في خلالها ست مائة الف اختراع ولكن في المدة الثانية أي من ١٨٩٩ الى ١٩٣٥ (٣٦ سنة) فقد سجل نحو ١٣٠٠٠٠٠ اختراع او ما يزيد على ضعفي ما سجل في المدة الاولى

علاج لدوار الجو والطيران

يقول المشتغلون بعلوم الطب ان الدوار الذي يصاب به بعض الذين يستقلون الطائرات للسفر سببه حالة تدعى زيادة النهوية أو التهوية الزائدة (وقد اقترح بعضهم لفظ التروح بدلاً من لفظ التهوية). فالمسافر يكثر في هذه الحالة من زفر ثاني اكسيد الكربون فيصاب بالدوار والعلاج يقوم بتجهيز المسافر بوسيلة تمكنه من استنشاق قدر من ثاني اكسيد الكربون وتم ذلك باعطائه كيساً من الورق يتنفس فيه فيزفر فيه هذا الغاز ثم يعود فيستنشقه فيزول هذا الدوار . وقد يفيد في علاج هذه الحالة : الامساك عن التنفس مدة ١٥ ثانية . وتقول المجلات العلمية التي اطلعنا عليها ان هذه الطريقة افيد على ما يظهر من بعض أنواع العلاج التي ذكرت حتى الآن لانها تعالج السبب

بث الراديوم بأشعة صناعية

كان الاعتماد حتى الآن في معالجة السرطان بالاشعة على اشعة غما المنطلقة من الراديوم . ولكن طائفة من العلماء في معهد كاليفورنيا التكنولوجي الذي يرئسه العلامة ملكن كتبوا رسالة في المجلة الطبيعية الاميركية يقولون فيها انهم ولدوا اشعة غما في المعمل تفوق قوة اختراقها للاجسام نحو ستة اضعاف قوة اشعة غما المنطلقة من الراديوم فطاقة اشعة غما المولدة في المعمل تبلغ ١٦ مليون فولط حالة ان طاقة اشعة غما المنطلقة من الراديوم لا تزيد على ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ فولط

فاذا صح ما نقلناه وكانت نفقة توليد هذه الاشعة غير كبيرة فلا بد من ان يهبط سعر الراديوم ويشيع استعمال هذه الاشعة المولدة في المستشفيات لمعالجة السرطان

القوة المحركة في السفن الكبيرة

تقدر قوة المحركات الكهربائية في السفينة الفرنسوية « نورماندي » بمئة وستين الف حصان . فهي تفوق في هذا العدد جميع السفن التجارية والحربية الا سفينتين وهاتان السفينتان هما حاملتا الطائرات في الاسطول الاميركي وقوة كل منهما ١٨٠ الف حصان و تدعيان « لكسنغتن » و « سراتوغا »

الجزء الثالث من المجلد السابع والثمانين

صفحة

٢٦٥ الغدد والشخصية
٢٧٠ حكمة جوته : بقلم عبد الرحمن صدقي
٢٧٥ مجمع اللغة العربية الملكي : للاب انستاس الكرملي
٢٨٣ النظام الادبي بين الحيوانات
٢٨٥ أسلحة الجيش المصري :لعبد الرحمن زكي : (مصوّرة)
٢٩٤ النفسجة : لخليل شيبوب : (قصيدة)
٢٩٥ سطور زرق : لراجي الراعي
٣٠١ الدين والثقافة الحاضرة : للدكتور عبد الرحمن شهبندر
٣٠٩ ما بين الذهن الالماني والذهن الفرنسي : للدكتور بشر فارس
٣١١ النباتات المصرية القديمة : للدكتور حسن كمال
٣١٥ تجارب عجيبة بأشعة تعطل وتميت
٣١٧ السيد محمد رشيد رضا : بقلم الشيخ احمد محمد شاكر (مصوّرة)
٣٢٤ مفردات النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي
٣٢٩ التفاؤل والتشاؤم : لرسلان عبد الغني البني
٣٣٧ العبقرية العلمية وجدائة السن
٣٤٣ الغدد والفيتامين : لعوض جندي

---

٣٤٧ باب سير الزمان — الدستور السوفياتي الاشتراكي : للأستاذ وليم بلت موثرو ، حول المشكلة الايطالية الحبشية: المستعمرات والموارد الاقتصادية: نظام العقوبات : القتال والموقف الدولي

٣٦٣ حديقة المقتطف — السباق : الجوع : الحائك — لميخائيل نعيمة : الوالد قصة لبيورنستيرن بيورنسون

٣٦٩ مكتبة المقتطف ● المعجم الفلكي : نبات سورية وفلسطين : شعر في اوربا : الجامع المختصر في حوادث التاريخ وعيون السير (الجزء التاسع) : الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي : مكتبة الاطفال الحديثة كتاب الاساس : قصص علمية

٣٨١ الاخبار العلمية ● الحرب والمرض : عود الى البارود : تقاليد زوجية قديمة : العنب والذباب والحرارة الحمى والشمة اكس : زيت الزيتون ووزن الاطفال : تبريد الكتاب : السلولوز وثقل نصب السكر: فيتامين جديد والبول للسكري : فيتامين د والتهاب المفاصل : المسلوى والعمل الدقيق : مرايا المراقب وطلاؤها : ارتفاع حرارة الهواء في طبقاته العليا : تقدم الاختراع وسرعته : علاج لدوار الجو والطيران : بلد الراديوم : القوة المحركة

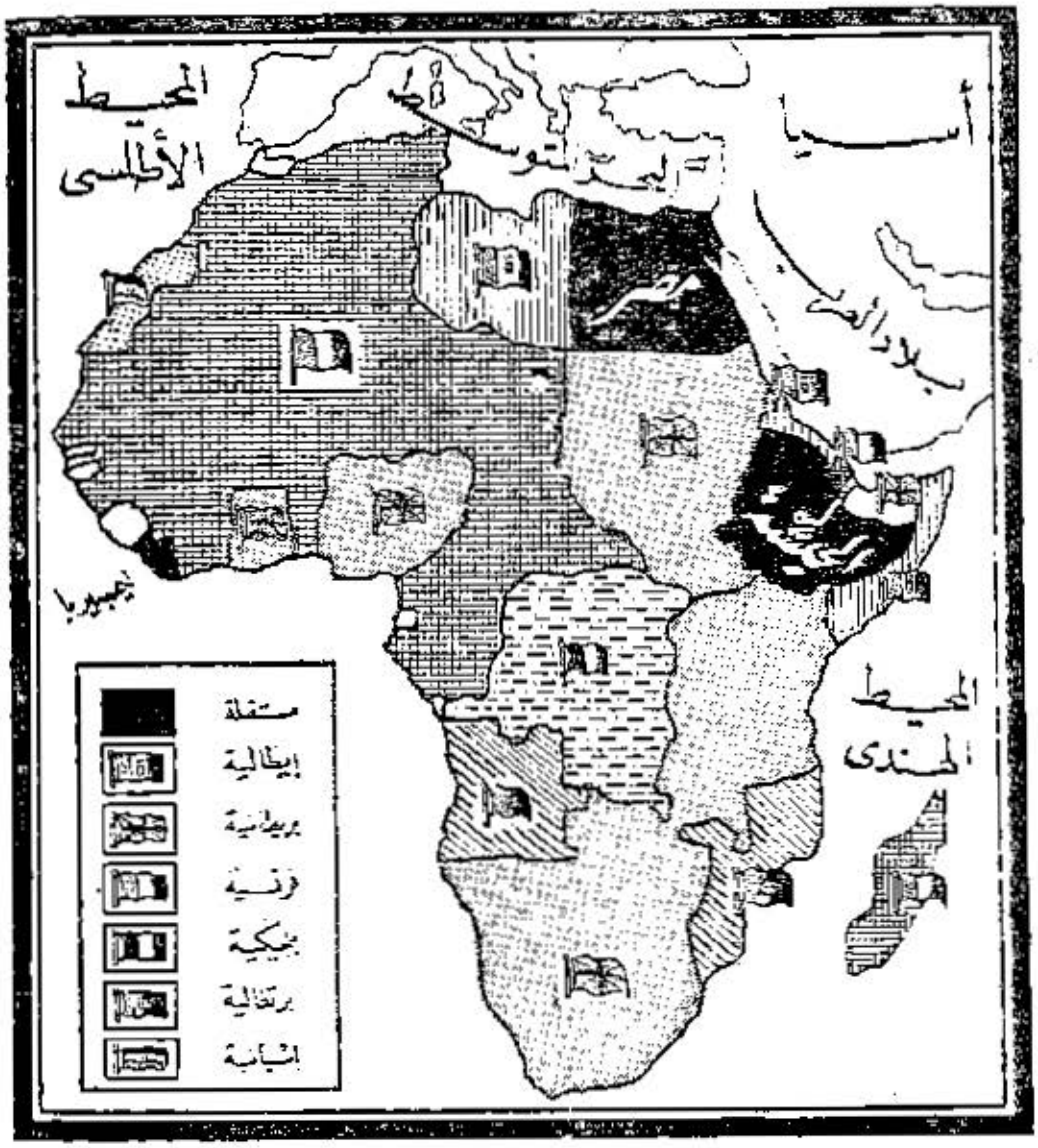

افريقية وتقسيمها الجغرافى السياسى